
البيداجوجيا

فهرست

الجـــــزء الاول

من كتاب البيـــداجوجيا

العلميـــــه

صحيفة

صحيفة

(تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه)

(الجزء الاول)

من كتاب البيـــداجوجيا العلميـــه

(أى هداية الاطفـال)

تأليف

حضرة الشيخ حسن توفيق مدرس اللغة العربيه فى المدرســة الشرقيه
ببرلـــين

اهدى الكتاب لسادتى * وأنا أخ لهم حـميم
فيـه لقد وافيتهـم * والله بالنبأ العظـيم
يتبينـون به مطـا * لع حكمة البارى الحكيم
والله يهـدى من يشا * ء الى صراط مسـتقيم

قررت نظارة المعـارف العموميه لزوم طبع هذا الكتاب وتدريسه بالمدارس الاميريه
بناء على قرار اللجنه الصادر فى ١٤ دسمبر سنة ٨٩٠

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميـه
سنة ١٨٩١ ميلاديه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أصفيائه المرسلين هداة الانام ومصابيح الظلام وعلى أتباعهم المهتدين بهديهم المستنيرين بنورهم

(وبعد) فلما كان لتربية الابناء المقام الاسمى لدى كل أمة متمدنة سالفة وكان مقدار تقدمهم دائرا على محور الاهتمام بها ان زيادة وان نقصا اهتم بشأنها أمة المغرب الحاضرة التى بلغت شأوها من الحضارة وأعاروها الجانب الاعظم من التفاتهم ولم يلقوا زمامها الى يد الصدفة أو العادة فيقعدوا الدهر على حال واحد الابناء نسخ الآباء الغابرين والامة صورة السالفين بل قابلوها بالعزائم الماضية والهمم العالية وأدمنوا البحث والتنقيب على نواميسها التى اتبعها الامم الخالية عمليها ونظريها وعززوا بحثهم هذا بالتجربة والاختبار حتى بانت لهم واضحة الطريق واهتدوا الى تأسيس قواعد وقوانين لها خدشوا بها أوجه التوحش وصادموا بها جيش العادات الخسيسة والطباع البسيطة وأودعوا تلك القواعد بطون كتب جمة وجرائد عامة حتى أصبح بها المربى أديبا والناشئ نجيبا والمعلم ماهرا والتلميذ شاطرا ولما قضى الله سبحانه على بالرحلة الى بلاد أوروبا والمقام بمدينة برلين عاصمة مملكة البروسيا للتخرج بمدارسها والتكمل بمعارفها وألفيت بها الحضارة ضاربة بجرانها والعلوم واسعا نطاقها والتربية جيدة الطريقة والتعليم حميد النتيجة انبعث منى الخاطر لاستكشاف أحوال المعلمين والمتعلمين ومعرفة كيفية التعلم والتعليم فأخذت فى زيارة مدارسهم العامة والخاصة والسافلة والعالية ومشاهدة أكاذيمياتهم وجمعياتهم العلمية والصناعية وعززت ذلك بدراسة علم البيداجوجيا فى مدرستهم الجامعة وخارجها الى أن وقفت بعونه سبحانه على خبيئة كنوزهم ووجدت الضالة التى كنت أنشدها خلال ربوعهم فاستعنت الله فى وضع كتاب فى علم البيداجوجيا ايفاء بحقوق الوطنية وقياما بواجب الانسانية استخدمت فى ترجمة

مواضيعه أشهر كتبها المعتمد عليها فى مدارسهم وعوّلت منها فى ترتيبه على كتاب لاحد علمائها الفاضل شومان الالمانى لشموله وحسن ترتيبه ولم أقتصر على ترجمة أحد تلك الكتب بخصوصه نظرا لانها موضوعة حسب عوائدهم وأحوالهم وأديانهم فما كان منها موافقا ترجمته وما كان مخالفا رجعت فيه الى العادات والآداب المشرقية والى الشرع الشريف والدين الحنيف

وقسمته الى ثلاثة أجزاء (الجزء الاوّل) فى التربية العلمية وتبحث عن النفس من جهة أحوالها وانفعالاتها بالآثار الظاهرية والباطنية وكيفية صدور الاعمال عنها وعن النسبة بينها وبين الجسم وعن الانسان من حيث طباعه وأخلاقه وعن المقصود منه وكيف يلزم أن يكون وعن حقيقة التربية وموضوعها والمقصود منها وطرقها ووسائطها على وجه عام

(الجزء الثانى) فى التربية العملية وتبحث عن كيفية الطرق التى يجب اتخاذها فى التعليم والتربية على العموم ثم تخصيصها بكل علم على حدته وعن نظام المدرسة وكيفية تأسيسها وادارتها وعن واجبات وظائف المعلمين وغير ذلك

(الجزء الثالث) فى التربية التاريخية وتبحث عن الطرق التى استعملها الاقدمون كأمم اليونان والروم والعرب والفرنج الى وقتنا هذا وعن تراجم حكمائهم وفلاسفتهم الذين قاموا بأعباء التربية وعن الوسائط التى اتخذوها لها

وحيث انى وأنا الخاضع كاسد القريحة قليل البضاعة مشتت البال كثير الاشغال ناء عن الاهل والاخدان بعيد عن الاوطان وان كتابى هذا صعب موضوعه وعر طريقه ولم يقدمه كتاب آخر غربى فيما أعلم فأنسج على منواله أو أبنى على أساسه فالمرجو منكم أيها السادة الاصدقاء أن تخلعوا عليه خلعة القبول وأن تقيلوا منه العثرات وتغفروا له الزلات وما كان منه صالحا فعضدوه أو فاسدا فأقيموه وأصلحوه فلست أقصد الا المنفعة وما أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله وهيا بنا نعلم فنعمل فنبلغ المأمل ونسير فنرشد ونصحو فنحمد

ومن يجد الطريق الى المعالى ❊ فلا يذر المطى بلا سنام

فهذا أوانه وقد دعا داعيه وذاك عصره وقد نادى مناديه عصر لحظنا فيه بعين العناية المليك الافخم وشملنا بالعطوفة السمو الاكرم ممهد سبل الصلاح ورافع أعلام الفلاح خديو مصر وعزيز العصر توفيق الانام وابتسام الايام أدام الله لنا ذاته الشريفه وجلالته المنيفه مسرورا بحفظ السادة الانجال موزرا بوزرائه أولى الفضل والكمال

والنشرع فيما اليه خطبنا فنقول وبالله الاعانة والتوفيق

البيداجوجيا العلميـــة

كلمة البيد اجوجيا يونانية مركبة من كلمتين احداهما بيد ومعناها الاطفال والاخرى اجوجيا ومعناها هداية فيكون المعنى هداية الاطفال وقد وضعوا هذه الكلمة علما على علم التربية الانسانية ولا يفهم منه أن هذا العلم كان مستعملا لديهم كلا فهو علم حديث استنبطه منذ عهد قريب أمم أوروبا وجعلوه تحت قواعد وقوانين هداهم اليها الاختبار والتجربة والتاريخ

ويبحث عن النواميس الطبيعية والنظرية التي يجب اتباعها في تربيـة الناشئ وموضوعه الانسان من حيث كونه مخلوقا أدبيا ومقصوده توصيل الانسان الى غاية الكمال حتى يكون نافعا لنفسه وللهيئة الاجتماعيه

ولما كانت تربية الشئ متوقفة على معرفة ذلك الشئ وعلى المقصود منه وكان الانسان مركبا من شيئين الجسم والنفس حسن بنا أن نقسم موضوعنا هذا الى ثلاثة أقسام الاول علم الجسم الثانى علم النفس الثالث علم الاخلاق الذى يعرفنا المقصود من الانسان وقد عززنا ذلك بخاتمة فى التربية وحقيقتها والمقصود منها ولنشرح كلا منها على الترتيب فنقول

القســـم الاول

عـــلم الجسم

هو قسمان الاول علم التشريح ويبحث عن الاجزاء المتألف منها الجسم باعتبار تراكيبها ونسبها واتصال بعضها ببعض الثانى الفيسيولوجيا وهو علم يبحث عن وظيفة كل عضو من أعضاء الجسم وعن النواميس التى يتبعها وعلم الجسم بهذين الاعتبارين يعتبر أساسا للتربية الجسمية المقصود منها حفظ الجسم ونموه وكذلك للتربيـة العقلية من حيث ان الجسم هو الآلة للنفس والعقل

والتربية الجسمية قسمان تربيـة تبحث عن القوانين الصحية التى تستعمل تداركا من لحوق الامراض وتربية تبحث عن نواميس الشفاء منها وحيث كان زمام التربيـة الجسمية بيد الاطباء فلنكلها اليهم ولنقتصر على قواعد عامة فنقول

الطعام

يلزم أن يكون الطعام من الانواع المناسبة للجسم المغذية المقوية للاعصاب وأن يكون من الانواع التى تنهضم وتتحلل سريعا ولذلك نرى أن لبن الرضاع أحسن مغذ للطفل وبعد ذلك لا يعطى له كثير من المآكل المركبة ولكن اذا بلغ سن التبديل فلا بأس لتمكن معدته من هضم المأكولات ولا يحمل ويجبر على تعاطى بعض الاطعمة التى تكرهها نفسه الا اذا كان سبب امتناعه عدم مناسبتها للمذاق الطيب فانه يجبر على الاكل منها ولكن شيأ فشيأ حتى يتعود عليها وينبغى أن يترك ليلعب ولكن ليس كثيرا فى زمن واحد وأن يعود على الاكل فى وقت معين يوميا وأن يجنب الاطعمة المتبلة كثيرا والمشروبات القوية فانها ترخى الجسم وجنبه صرف جهده فى الاعمال الجسمية والعقلية قبل الاكل وبعده بزمن يسير

الهواء

يلزم أن يكون محل الاطفال نظيفا ذا هواء صالح لتنفسهم ولذلك ينبغى أن تهوّى محلاتهم مرارا كل يوم وأن يتركوا فى المواضع الصافية الهواء لاسيما فى الفضاء والحرارة الشديدة والبرودة كذلك يضعفان البدن وجنبهم تعاقب الحرارة والبرودة سريعا ومرنهم على التنفس العميق بأن تحرك أمامهم حركة عظيمة وتتنفس لهم بكل جهد حتى يمكن لهم التقليد ويلزمون ببذل جهدهم فى الغسل والاستحمام حتى تقوى أعضاؤهم على الاعمال وتكون أبعد عن الامراض

النوم

مقدار النوم هو بحسب درجة العمر فالطفل يحتاج الى طول النوم أكثر من الاكبر منه سنا ويلزم أن يجنب الاعمال الجسمية والعقلية قبل النوم لان ذلك يعكر صفو راحته ولا يوقظ بسرعة فان ذلك مما يغير مواضع الاعصاب ويترك ليلعب على قدر جهده بالنهار ليطيب منامه بالليل

الحركة

يلزم تمرين العضلات بواسطة الاعمال البدنية حتى يقوى الجسم ويكون قابلا لخدمته فى الاعمال العقلية وأن تكون الحركة آخذة مقياسا ومقدارا واحدا وأن يقسم الزمن بين العمل والراحة بشرط أن لا يتجاوز حد كل منهما ويكون تمرين عضلات الذراع والوسط والارجل بالالعاب الرياضية واليد بالكتابة والرسم والتصوير والارجل بالسير وآلة النطق بالتكلم والغناء

الاحساس

يلزم أن يجتنب ما يهيج الحواس سواء كان شديدا أو ضعيفا تغير النور وسطوعه فجأة على النظر يضر كما يضر أعمال البصر بالكتابة والقراءة بدون نور الضجيج الشديد واللغط القوى يهز ويحرك الاعصاب وينبغى أن لا تصرف حاسة غاية جهدها طويلا وأن تمرن الحواس على سرعة ادراك المحسوسات

الاعصاب

المجهودات العقلية التى تخدمها الاعصاب لابد أن يعين لها أزمنة محدودة بالتدريج فيجبر الطفل فى أول أمره على الاعمال العقلية زمنا قليلا حتى يقدر على احتمال الزمن الكبير بأن تكون مدة الدرس من ٢٠ دقيقة الى ٣٠ دقيقه ويكون بين الدرسين دقائق للراحة فيها

الملابس

يلزم أن تكون الملابس مناسبة فى السمك والرقة حسب فصول السنة وأن تكون بسيطة وبهيئة يرتاح فيها الجسم نظيفة خالية عن الاوساخ وأن تغير الملابس الملاصقة للجسم غالبا وأن يجتنب غطاء الرأس السميك

هذا ويجب على أطباء الامة وجوبا انسانيا أن ينبهوا من التفات العامة الى كيفية تمرين الجسم وحفظه بأن يدرجوا ذلك ضمن الجرائد عامها وخاصها

القســـــم الثــانى

علم النفس

هو علم يصف لنا أحوال النفس وأسباب تلك الاحوال والاصول التى تأسس عليها ذلك العلم ثلاثة لا يخلو أغلبها عن التأمل كما يأتى

(الاصل الاول) ترقب الانسان واستكشافه لاحوال نفسه التى يشعر بها ولا يخفى أن ذلك بعيد الحصول لا يوصل الى حقيقة المقصود لانه يصعب على الانسان أن يضع نفسه فى موضعين موضع مترقب وموضع مترقب اليه ولو فرضنا امكان ذلك فالترقب الحقيقى لا يتم لامرين الامر الاول كون الاحوال النفسية سريعة فى صدورها وفى أخذها فى النقصان

فاذا ترقب الانسان من نفسه النوم مثلا قبل حصوله لا ينام ألبتة وعند تلبسه بالنوم لا محالة ينسى الترقب ومعناه وكذلك يقال فى الغضب والفرح وما أشبههما الامر الثانى الانسان لما طبع عليه من حب نفسه لا يعترف بما استكشفه من أحوالها

(الاصل الثانى) ترقب الانسان غيره بواسطة كلامه وبما يظهر من الآثار على وجهه ولا يخلو ذلك من التأمل أيضا فان الانسان الذى يعلم أن غيره يترقبه اما أن تأخذه الحيرة فجأة وحينئذ لا يمكن غيره من استكشاف أحواله واما أن يتخفى وحينئذ لا يريد أن تكون أحواله معلومة وكلا الحالين بعيد عن المقصود

(الاصل الثالث) ما وصفه لنا الكتب المقدسة والاحاديث وآثار وحكم الاقدمين والشعراء والتاريخ وتراجم الناس ووقائع الجانين وغير ذلك

ثم ان للنفس أربع أحوال وهى التصوّر والاحساس والطمع والارادة وحيث ان لنا نسبة بين الجسم والنفس استدعى المقام الى رسم أربعة أبواب . الاول فى النفس ونسبتها الى الجسم . الثانى فى التصوّر النفسانى . الثالث الاحساس النفسانى . الرابع الطمع والارادة النفسانيان ولنأت على كل بالتوضيح فنقول

الباب الاول

فى النفس ونسبتها الى الجسم

لا يخفى أننا نجد من شعورنا الانسانى أن الاحوال النفسانية المختلفة كالتفكر والاحساس والارادة صادرة عن شئ باطنى قائم بذاته مغاير للجسم فهذا الشئ يسمى بالنفس أو الروح وبما أن شعورنا يبقى على حال واحدة من الصغر الى الكبر وان الجسم تلحقه التغيرات المختلفة نعلم أن النفس ليست بمادة وليست قابلة للقسمة وأنها شئ آخر مخالف للجسم ولكنها مرتبطة به حيث نجدها تقتسمها أحواله كالقوة والضعف والصحة والمرض كما أن الجسم مرتبط بها ويقتسمها أحوالها كالفرح والحزن وخلافهما

ثم ان التفاعلات المتغايرة التى بين الجسم والنفس اما أن تكون متسببة عن النفس أو عن الجسم وذلك اذا كانت حالة من أحوال النفس تتولد من أثر ظاهرى فى الجسم تعتبر تفاعلا سببه الجسم واذا كانت حالة من أحوال الجسم تتولد عن أثر باطنى فى النفس تعتبر تفاعلا

سببه النفس وينتج من ذلك أن الاحوال الجسمية الظاهرية تكون محسوسة للنفس وأن الجسم تلحقه الحركة بواسطة تأثير النفس فيه

وأقرب أجزاء الجسم من النفس هي الاعصاب لانها توصل الآثار الظاهرية الى النفس وتكون واسطة لها في تأثيراتها في الظاهر وتدعو الجسم بواسطة الاحساسات النفسانية الى الحركة الاختيارية ولذلك يمكننا أن نعتبر الاعصاب آلات للنفس لان التجربة دلتنا على أن مواضع الجسم التي لم تكن بها أعصاب ليس لها خاصية الاحساس ولا يمكنها التحرك الاختياري

والاعصاب تكون فعالة اما بواسطة التأثيرات الظاهرية أو الباطنية فالظاهرية كالضغط والضرب أو الحرارة والنور والكهربائية والباطنية كدورة الدم والاحوال الصادرة عن النفس

والاعصاب قسمان أعصاب ترسل الآثار من محيط دائرة الجسم الى مركز الاحساس النفسي وتسمى أعصاب الاحساس وأعصاب ترسل التأثيرات النفسانية الطالبة للحركة الى محيط الجسم وتسمى أعصاب الحركة

فأما الاحساس فله آلات خمس حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة اللمس وحاسة الذوق وحاسة الشم وكل من أعصاب تلك الحواس مقتصر على تأدية وظيفة حاسته فمثلا أعصاب حاسة السمع مقتصرة على توصيل آثار ما يحمله التموج الهوائي من الاصوات ويمكن أن تتأثر بآثار باطنية لا دخل للتأثير الظاهري فيها كاضطراب النور وتموجه أمام البصر والطنين الحاصل للاذن اللذين يصدران عن بعض الامراض

والاحساسات الصادرة عن الحواس الخمس لها ارتباط شديد بالاحوال العقلية ومن ذلك تعلم سبب التنبيهات التي ذكرناها آنفا تحت عنوان الاحساس

وأما الحركة فلها ارتباط بالاحساس وهي قسمان فان كانت مسبوقة بالارادة سميت حركة اختيارية واذا لم يسبقها ارادة سميت حركة اضطرارية وهناك حركة شبيهة بالاضطرارية وهي التي لم يسبقها ارادة ولكن بعض تأثيرات من النفس

والحركة الاضطرارية تتولد عن التأثرات الحاصلة عن التفاعل في مراكز مجموع الاعصاب كمجموع أعصاب الدماغ وأعصاب الظهر بدون عمل وارادة للنفس مثال ذلك حركة الدم والتنفس والتقيؤ والسعال والعطاس والتثاؤب ثم ان الارادة يمكنها أن تبطل أغلبها عند ابتداء صدورها أو تقف بأحداها عند حد

والحركة الشبيهة بالاضطرارية تتولد عن آثار مختلفة اما ظاهرية كالضحك عند رؤية شيء غريب أو جسمية كالضحك عند تأكل مواضع الجسم أو نفسية كحركة الدم في الوجه عند الحياء أو حركة هروبه عند الخوف . ومن أنواعها حركات الاعضاء الصادرة تحفظا عند رؤية شيء خطر كتغميض العين عند رؤية ما عسى أن يضر بها والحركات التقليدية التي سببها العدوى كالتثاؤب فان الانسان يتثاءب عند رؤيته آخر قد تثاءب كما لا يخفى . وكذلك الحركات المصاحبة لحركات أخرى مقصودة كحركة الجسم عند التكلم والتمشي والعودة عنده أيضا وكذلك الحركات التي اعتيد عليها كتحريك الارجل عند التفكر أو الهراش في الرأس عند التحير

ويعد من ذلك النوع الحركات الطالبة لها الآداب في المقابلة والمؤانسة الانسانية فهي وان كانت اختيارية فالتمرن عليها يجعلها كالاضطرارية فالذي يتربى بأخذها تصير له عادة وطبعا لا تحتاج في صدورها الى ارادة منه وهذا النوع له ارتباط مزيد بالتربية المطلوبة لنا في هذا المشروع

وكما أن الحركات الاختيارية تصير بكثرة التعود والتمرن كالاضطرارية كذلك الاضطرارية تصير بكثرة التمرن اختيارية كبكاء المشخصين في مراسح التشخيص وكالمرأة التي تحث النساء على البكاء (الندابه)

الباب الثاني
في التصور النفساني

النفس في ذاتها لا شعور لها بالاحوال الظاهرية الا بواسطة الحواس فتوصل التأثيرات الحاصلة في الظاهر الى الدماغ ومنه اليها وتجعل تلك الآثار ضمن موجودات الشعور الانساني وبذلك تعتبر الحواس الخمس أبوابا للنفس تصل منها المعلومات اليها وحيث كانت كذلك فيلزم أن تمرن كثيرا على ادراكها الاحوال الظاهرية ولنبين خواص كل منها فنقول

حاسة البصر

الآلة البصرية توصل آثار النور الى أعصابها ومنها الى النفس فيحصل بسرعة الاحساس البصري

ثم ان شعورنا بآثار النور انما هو بدون واسطة خارجية وأما شعورنا بقوام المبصرات من جهة كبرها وصغرها أو بأحوالها من جهة حركتها وسكونها أو بعدها وقربها فهو بواسطة خارجية

وذلك امابقياس الابعاد أو أخذ مقدار الكبر والصغر أو مسكها لمعرفة الحركة من السكون وتمرن آلة البصر على نظرها مبصرات كثيرة يقوم مقام الواسطة الخارجية حيث ان المتمرن يعلم مقدار ذلك تقريبا بما عهده فى غيره من قبل وبدون التمرن يحتاج الانسان الى الواسطة الخارجية يرشدك الى ذلك الطفل والقمر فانه اذا رأى القمر يظن أنه قريب منه حتى انه ليمد يده طالبا مسكه ومثل ذلك جميع المبصرات بالنسبة اليه

حاســـــة السمع

الرنين الذى يحمله الهواء المتموج عند ما يصل الى آلة السمع يقرع على أعصاب السامعة فتوصله تلك الاعصاب الى النفس فيتولد الاحساس السمعى

والشعور بذلك الرنين ليس بواسطة خارجية وأما الشعور بأحوال الصادر هو عنه من الكبر أو الصغر كأن يكون صادرا عن رجل أو عن غلام أو عن آلة أو من الجهة كأن يكون من الجهة اليسرى أو اليمنى الى غير ذلك فانما يكون بواسطة خارجية فى أول الامر وكثرة التمرن على ذلك يقوم مقام تلك الواسطة كما تقدم مثله فى البصر

حاســـــة اللمس

الاحساس اللمسى هو شعور خيوط الاعصاب الرقيقة المتفرعة فى أغلب أعضاء الجسم الواصلة الى البشرة بالآثار عند التصاق جزء من البدن بشئ آخر أو عند ضغط الهواء على الجسم بحسب أمزجته المختلفة كالحرارة والبرودة وغيرهما . وتلك الخيوط ليست سواء فى أعضاء الجسم بالنسبة الى القوة والضعف فهى فى اليدين أقوى احساسا منها فى غيرهما

وتلك الحاسة تشعر بها الاحوال المختلفة فى مسطحات الملموسات كالخشونة والنعومة ليس الا كما لا يخفى

ويعد من أنواع الاحساس اللمسى الاحساس بالآلام وبتأكل مواضع الجسم وبضعف الجسم الناشئ عن التعب

حاســـــة الذوق

هذه الحاسة لها ارتباط شديد بغيرها وآلتها التى هى اللسان فى الحقيقة آلة لامسة وترتبط بحاستى الشم والبصر وبالارادة النفسانية وأعنى بذلك أن قوة الذوق وضعفه مرتبطان بشم المطعومات وبصرها وارادتها فان كانت طيبة الرائحة حسنة المنظر مالت اليها النفس فتحصل الارادة فيقوى الذوق والعكس بالعكس

حاسة الشم

احساس الشم صادر عن وصول الغازات التى يحملها الهواء المتوسط بين المشموم وآلة الشم وهذه الحاسة لا أهمية لها كبيرة فى خدمة الاحساسات العقلية المطلوبة لنا هنا وحيث علمت ماتقدم أمكن لنا أن نتكلم على التصوّر فنقول

التصوّر

الاحساسات النفسانية الصادرة عن احدى الحواس الخمس لا تنقضى بسرعة وانما تأخذ فى الضعف شيأ فشيأ وذلك إذا لم يصادفها التذكر والا فلا تزال باقية فى النفس فهذه الاحساسات الناشئة عن التذكر تسمى تصوّرات اذا علم ذلك نعلم أنه يلزم أن تعرض المحسوسات على الحواس الخمس مرارا حتى تتمكن آثارها فى النفس تمكنا يجعل تصوّرها فيما بعد قويا واضحا هذا وفى كل لحظة تعرض لنا آثار كثيرة ولكن لا نحس منها الا بما نعير اليه جانب الالتفات فمثلا اذا رأينا بستانا على وهلة فلا يحصل الاحساس البصرى بجميعه فى الحال بل يكون شيأ فشيأ بأن نصرف الالتفات أولا الى الاشجار ووضعها والى النسبة بينها من جهة البعد والقرب أو الكبر والصغر ثم منها الى الطرقات وهكذا الى جميع أجزائه كما أنه ليس بسهل أن نشعر باحساسين مختلفى المصدر معا فى لحظة واحدة كالبصر والسمع ومنه نعلم أن شعورنا الانسانى له حدود يقف عندها وأن تصورنا شيئين يكونان واضحين معلومين فى لحظة قليل الحصول جدا والاحساسات الحاصلة معا فى وقت واحد يضعف قويها ضعيفها ولكن لا يصل به الى حد المحو بل يصير الضعيف مشعورا به فى النفس ويجتمعان معا فى تصور واحد

والاحساس اما أن يكون متماثلا أو غير متماثل فالمتماثل اذا كان المحسوس جنسا واحدا كأن تسمع مرارا دورا من الالحان مقطعا على مقاطع مخصوصة فاحساس السمع به ثانى مرة أو ثالثة مثل الاحساس به أول مرة والغير المتماثل كالاحساس باحوال مختلفة يجمعها شئ واحد وتؤديها حاستان أو أكثر وتجتمع فى تصور واحد ويعلم من ذلك أن قوة تصور الاحساسات المتماثلة ووضوحه لا يكون الا باعادة المحسوسات مرارا وان قوة الغير المتماثلة لا تحصل الا باعتناء الاحوال المختلفة

والتصورات المختلفة يوقف حديثها قديمها كأن يتصور الانسان شيأ ثم يعرض له آخر فانك تجد التصور الثانى يوقف الاول بان يضغط عليه فى النفس ولكن لا يصل به الى حد المحو كما تقدم فانه متى زال الثانى نرى الاول منبعثا اذا عرضت أسباب لتذكره

والتصورات الموقوفة باعتبارها موقوفة تسمى تصورات هابطة وباعتبارها منبعثة ثانيا تسمى تصورات صاعدة والصاعدة اذا كان صعودها الاعن واسطة تسمى صاعدة بالنفس واذا كان صادرا عنها سميت صاعدة بالواسطة كأن يتصور الانسان مدينة قد شاهدها قبل بمجرد رؤيته مدينة أخرى ولذلك تحدثه نفسه قائلة ما أشبه تلك المدينة بمدينة كذا وينتج من ذلك أن التصورات المتماثلة تقوى حديثها قديمها لكونها السبب في صعودها ومنه نعلم أن تصور قاعدة علمية يقوى بتصور أخرى مشابهة لها

ومن هذا النوع التصورات التي واسطتها التعود أو الاخلاق فالتعود كتصور التلميذ كل صباح توجهه الى المدرسة وتصور التاجر في التجارة ومن ذلك نرى ان كل قوم جمعتهم صناعة يتحادثون فيها وأما الاخلاق فهي حسنة كتصور الانسان شيأ خيرا أو سيئة كتصور شر يرى الناس . ولذلك يجب أن تكون الاحوال المتخذة في التربية وسائط جيدة لتصورات حسنة وأن تكون قواعد العلوم مرتبطا بعضها ببعض مجددة اما بأمثالها أو باعادتها حتى بذلك تقوى تصورات الناشىء وتتسع دائرة فكره

ثم ان تجدد التصورات الصاعدة بالواسطة يدخل تحت أربعة نواميس

الاول ناموس المماثلة كتجدد تصور جهة بواسطة جهة أخرى كما تقدم في مثال المدينة آنفا

الثاني ناموس التضاد كتذكرك انسانا نحيفا عند تصور آخر غليظ سمين وكتذكرك خصام من الاخصاص عند تصور قصر مشيد وتذكر الولد عطوفة أمه بواسطة قساوة زوجة أبيه (وبضدها تتميز الاشياء)

الثالث ناموس الوحدة الزمنية فالتصورات التي وقعت احساساتها في زمن واحد يذكر بعضها البعض ويجدده كتذكرك الاسم عند تصور المسمى والمسببات عند الاسباب وتذكر الانسان وطنه عند تصور أيام طفوليته ولعبه

الرابع ناموس التتابع فالتصورات الموجودة في الشعور الانساني حال كونها تابعا بعضها البعض مرتبة المواضع يجدد أحدها الآخر كتذكر الالفاظ المتتابعة في جملة محفوظة عن ظهر قلب بواسطة تصور أول لفظ منها مثال ذلك تذكرنا ألفاظ محمد رسول الله عند تصورنا ألفاظ لا اله الا الله

وأحيانا تكون التصورات الداخلة تحت هذا الناموس الأخير موقعة في الالتباس والغلط لتشابه المواضع التابع بعضها بعضا امثال ذلك آيات القرآن الشريف المتشابهة فتجد القارئ يقرأ سورة كذا حتى اذا أتى على آية مشابهة لاخرى في سورة ثانية أخذ يتلو السورة الثانية ولذلك

ينبغي أن يعتني بتلك التصورات المتشابهة المواضع وتقويتها إما بعلامات أو بتكرارها مرارا حتى لا يقع الانسان في الالتباس وليعلم أن التأثيرات الاحساسية القوية توقف من تجدد التصورات كدخول شخص فجأة غير منتظر وكبعض أمراض الاعصاب وكالشيخوخة وبعكس ذلك تغميض العين عند التصور فانه يسهل تجددها ولذلك نرى البصير يسهل عليه تجديد التصورات وكذلك التمشي والعودة بانتظام وقراءة شيء مطلوب حفظه بصوت يسمعه القارئ فان ذلك مما يعين على تجديد التصورات وتذكرها فيما بعد

فصـــــــل

والذي يدعو التصورات لتجددها هو التفكر فيحصلها بدون تغيير في موضوعها واخلال في نظامها ولو ذهل عنها الشعور

والتفكر الجيد هو ما يكون سهل الادراك مأمونا عليه في الرجوع ثابتا لا تذهب به طول المدة مستعدا للاستعمال بدون طول عناء متسع النطاق يقبل ويجدد كثيرا من التصورات

وقوة الفكر وحدته تابعان لشدة الميل الى الاشياء المطلوب حفظها ولاتساع دائرة التصورات ولقوة ارتباط جديدها بقديمها

وتفكر التصورات التي يحصلها الانسان قصدا كالحفظ عن ظهر قلب له حالات ثلاث

(الحالة الاولى) أن يكون بحسب الارتباط الظاهري للتصورات ويسمى تفكرا آليا وهذا النوع يجدد بواسطة كثرة التكرار التصورات واضحة قوية في ارتباطها الآلي الظاهري ولكن لا يعتمد عليه لعدم الارتباط الباطني وان كان لا بد منه ولا غنى عنه في التصورات المطلوب انطباع صورتها التي لا ارتباط لها الا في الظاهر مثال ذلك الكلمات المفردة والاسماء والاعداد فانها لا تطلب الا انطباع صورتها الآلية وتقوية ارتباط ذلك النوع يكون بالتكرار أو بالاعادة منعكسا أو وضعه في قالب شعر منظوم

(الحالة الثانية) أن يكون تابعا للناموس المماثلة أو التضاد ويسمى تفكرا اختراعيا ويكون ذلك بوسائط صناعية كالاشارات المستعملة في تقييد المطلوب حفظه مثال ذلك الكواكب السبعة المشار اليها بالبيت المشهور وهو

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

ولكن لا يحتاج في التعليم الى تلك الوسائط الصناعية الا فيما يطلب تسهيله على الحفظ كالاعداد والاسماء وينبغي أن لا يتجاوز ذلك حده والا فيصير غير معتني بموضوعاته المقصودة منه ويكون كالعاب محضة

(الحالة الثالثة) أن يكون بحسب ارتباط التصورات من جهة الباطن والنظر الى الحكم بالنسبة بين موضوعاتها ومحمولاتها ويسمى تفكرا حكميا ويناسب هذا ما قيل انه لا ينبغي التعلم عن ظهر قلب بدون فهم المعاني

اذا تقرر ذلك نعلم انه ينبغي مساعدة فكر الناشئ بعرض كثير من التصورات لتكون له كمادة وزاد ينفق منها وأن يربط حديث التصورات المراد حفظها وبقاؤها في النفس بقديمها آخذة تناسبا ونظاما وان تكرر مرارا وأن يترك الناشئ لان يحفظ عن ظهر قلب ماله قيمة وفائدة جسيمة ولكن ليس في أغلب الاحوال فان الاخذ بالحفظ الآلي غير مأمون عليه حيث يذهب بالتصورات بواسطة تعاقب الاوقات على انه لا يفيد المقصود من توسيع الفكر ولذلك نجد أن الذين يتعلمون بالحفظ الآلي دائما تقل فيهم درجة الفهم وبعكس ذلك أخذ التصورات مرتبطا بعضها ببعض ارتباطا باطنيا فانه يحيي الفكر ويكثر مواده ويقوي الادراك

فصل

والتذكر يؤدي ما يؤديه التفكر من تجديد التصوّرات بدون تغيير في موضوعها ويزيد عليه بأن يربط الفكر مع تصوّرات كان مشعورا بها في زمن محدود كأن ترى انسانا كان صاحبا لك قديما فتتذكر معيشتك وأحوالك التي كانت معه

وبعض التصوّرات الهابطة ربما لم يحصلها ويجددها التذكر فتكون منسية وتعدّ في حيز النسيان التصوّرات التي لا تجدد الا بعد طول عناء أو التي لا تجدد ألبتة ولو مع طول العناء وان كان ذلك فيما يظهر للانسان فقد حكموا بأنه لا يوجد نسيان حقيقي مطلق لان التجارب دلت على أن بعض التصوّرات المنسية ربما شعر بها وتذكرها الانسان في حالة النوم أو في بعض الامراض

وأولوا الشيخوخة كثيرو النسيان بحكمة ضعف ميلهم الى الاشياء ونسيان الشبان ناشئ عن تشتت أفكارهم بكثير من التصوّرات التي لم تكن مرتبطة وآخذة نظاما

ولا يعد من هذا النوع نسيان الانسان معروف غيره وجميله معه أو نسيان واجباته أو الاوامر الالهية فان ذلك ناشئ عن عيب في الاخلاق والمشارب

فصل

والتخيل يجدد ويؤدي التصوّرات متغيرة في الصورة والنظام فهو مخالف للتفكر والتذكر حيث علمت أنهما يجددانها بدون تغيير في الموضوع أو اخلال في النظام

والقوة المخيلة لاتحدث موادجديدة بل تصوغ من التصوّرات صيغا مختلفة متغيرة الصورة مثال ذلك ما كانت تخيله قدماء اليونانيين من جعلهم فرسا له جناحان علامة واشارة لصناعة الشعر فنرى أنهم تصوّروا الفرس والطير كلا على حدته ثم صاغوا من ذلك تلك الصورة

والقوّة المخيلة لها ثلاث حالات

(الحالة الاولى) اما أن تفصل بعض التصوّرات عن مكانها او زمانها وتضعها فى مكان وزمان آخرين أو تخلص المقصود بالذات منها عما شابها من غير المهم وبواسطة عملها الأخير تحضر وتجعل التصوّرات مستعدة للفكر كما أنها تضع كثيرا منها تحت مجموع واحد وتعدها للحد والتعريف وفى هذه الحالة يسمى التخيل تخيلا تحضيريا

(الحالة الثانية) أن تشوب تصوّرات جديدة بين أخرى مختلطة وتضعها فى قالب منتظم ومن أعمالها فى هذه الحالة تقويه مواضيع الحكايات ووضع الاقوال الحكمية فى قالب قصص وخلاف ذلك ويسمى التخيل حينئذ تخيلا بديعيا

(الحالة الثالثة) أن تحدث بواسطة التخيل التحضيرى والبديعى تصوّرات مختلفة لها كتخيلها حيوانات تتكلم أو أخرى عظيمة الجسم كالغول والعنقاء وغير ذلك ويسمى التخيل حينئذ تخيلا مختلقا

ولتعلم أن القوة المخيلة لها أهمية كبرى فى تربية عقل الناشئة حيث تجعل الاشياء الغير محسوسة لهم فى قالب المشاهدة وعالم الظهور وتوسع دائرة التصورات وتساعد المعلمين على طبع صور الاشياء فى ذهن المتعلمين حين وصفهم شيأ غريبا او بعيدا عن نظرهم بواسطة الكلام أو بعرض صورته

والقوة المخيلة المطروح لها الزمام تصل بالانسان الى غير المطلوب منه لانها تخلط الخزعبلات بالحقائق وتترك العقل يعمه فى طرق الضلال وهو الذى له السلطان الاكبر على الارادة وتنتهى بالانسان الى أن تجعله مكبلا فى حبال الحياة لا يتمكن من تحصيله وسطا من المعيشة ولذلك يلزم أن نضبط تلك القوة فى الاطفال بواسطة آلات لعبية موضوعة للتفكر قصدا أو بواسطة الحكايات والقصص والامثال مع تعويدهم على التدقيق فى تأمل الاشياء من جهة صورها وتعاريفها وفوائدها

هذا والرؤيا المنامية هى محض تصورات متغيرة يجددها التخيل حالة النوم والدليل على ذلك اننا نشاهد التخيلات الحاصلة فى النوم كأنها تصورات حقيقية حتى لا يمكننا الفرق بينهما

ثم انك تعلم اننا حالة اليقظة قادرون على الشعور بالمحسوسات وعلى الحركة الاختيارية حتى انه يمكننا قصدا قبول الآثار الظاهرية أو دفعها ولكن فى حالة النوم تقفل أبواب الحواس ويرتفع الشعور الانسانى عن ملاحظته للاحوال الظاهرية وترفع قوة الارادة سلطانها عن العضلات والاعصاب حتى بذلك تتغشى الحياة الروحية والعقلية

والرؤيا المنامية لا تكون فى نوم حقيقى فقد أثبتت التجارب أن الروح عند الرؤيا لا بد أن تتصل بها أشعة اليقظة ولذلك تكون الرؤيا غالبا عند النعاس الذى هو متوسط بين اليقظة والنوم وكذلك قبل الاستيقاظ من النوم صباحا

وربما تحصل الرؤيا عن أثر ظاهرى تنفعل عنه الاعصاب فتؤدى وظائفها بدون شعور تام كأن يقرع صوت الموسيقى على اذن النائم فتضطرب له الاعصاب ويكون موضوعا تعمل فيه القوة المخيلة فتجدد تصورات تكون من خواص الموسيقى فيرى الانسان كأنه حاضر محفل سرور أو تزف عليه عروس وغير ذلك

وكذلك تحصل عما كان ثابتا فى الفكر قبل النوم كأن يتفكر الانسان حالة من الاحوال حتى اذا نام أتمت الاعصاب وظائفها فتجدد تصورات موضوعها تلك الحالة وبذلك تعلم حكمة الاستخارات المنامية ولقد اهتدى العامة الى هذا الناموس فارسلوا امثالهم قائلين (الجوعان يحلم أنه فى سوق العيش) وزيادة على ذلك تجد أن كل انسان يحلم فى موضوعات أعماله فى حالة اليقظة كالتاجر فى التجارة والعالم فى حل مسائل علمية ويشتد ذلك فى أولى الصنائع الجسدية كالحداد حيث ان أعصابه وعضلاته تنفعل فى حالة النوم تشبيها لانفعالاتها فى اليقظة بكثرة الطرق وكالملاح ومدمنى الركوب على الافراس والعربات الى غير ذلك

ومما تقدم تعلم حكمة ما اشتهر به بعض العلماء من تعبير الاحلام كابن سيرين رحمة الله عليه فلم يكن منه ذلك علما بالغيب اللهم الا أن يراد بالغيب ما غاب عن ادراك العامة بل كان عالما متقنا علم أحوال النفس وانفعالاتها ونسبتها الى الجسم فانك تجده أنه كان يسأل السائل عن صنعته وأعماله عقلية كانت أو جسمية ثم يتفرس فيه من جهة أخلاقه وتمدنه أو توحشه ويحكم بما هداه اليه تفرسه كما لا يخفى على البصير

والرؤيا الصالحة فى النوم فيض يفيض الله به على من يشاء من عباده وهى نوع من الالهام والوحى ولذلك بدئ بها رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

وبحكمة أن الاعصاب والقوة المخيلة تتأثر حالة النوم بالآثار الحاصلة فى اليقظة نعلم أن تعلم شئ قبل النوم أو حفظه عن ظهر قلب يكون ثابتا فى النفس قويا بعد الاستيقاظ صباحا

ومما ينبغي التنبه له تطبيقا على النواميس المتقدمة أن لا ينوّم الطفل على أثر بكاء أو أثر همّ وحزن فان ذلك مضر بالاطفال جسما وعقلا وأي ضرر بل يجب ترويحهم وبعث السرور فيهم حتى تصفو نفوسهم فلا تتأثر حالة النوم بما يكدرها وما يفعله بعض الآباء كابعادهم أبناءهم بالعقاب صباحا مثلا شر محض وجريمة عظيمة يجازيهم الله سبحانه عليها فانه ربما نشأ عن ذلك فساد الدم عند انفعالات الاعصاب بما يكدرها أصلح الله شؤونهم وأخرجهم من تلك الضلالة والظلمات الذين هم فيها يعمهون

هذا وحيث علمنا مما تقدم أن من أعمال القوة المخيلة وضع كثير من التصوّرات تحت مجموع واحد واعدادها للحدود التعريف نقول ان الذي يصعد بذلك المجموع الى حد التعريف هو الفكر فيبحث عن التصوّرات من جهة موضوعها فيربط متحدها ويبعد متخالفها

وعند الفكر يكون التعقل والتبصر فمن نظر الى كيفية الاشياء المتصوّرة والى نسبها فهو متعقل ومن تبعها من جهة ارتباطها المتتالى فقط فهو غير متعقل والفكر المتبصر ينظر الى التصوّرات من جهة الاسباب ونقائضها ويأخذ نفسه مارجح منهما على الآخر وكان خيرا وصاحبه حينئذ يكون متبصرا فاذا غالطته نفسه فيها أو شابها الشهوة أو العناد أو لم يلاحظ الاسباب ونقائضها السرعة مرورها على الفكر فهو غير متبصر وليعلم أن الاطفال عند تفكرهم لا يعتريهم الا تصوّر شبيه بالحقيقي ولذلك ينبغي أن ننبه من التفاتهم الى معرفة الاسباب والنقائض للاشياء وأن لا نقتصر على عرض الاشياء لتصوّرها من جهة كيفيتها ونسبها فقط

فصـــــــل

والتنبه حصر الشعور بالمحسوسات والمتصوّرات الحاصلة في النفس أو المنتظرة لها في مركز واحد

وهو اما اضطراري أو اختياري فالتنبه الاضطراري يوجد بالفطرة في الطفل ويختلف قوّة وضعفا بحسب اختلاف أحوال المؤثرات من القوة وطول المدة والكثرة أو الندرة أو البطء والسرعة الى غير ذلك ومن ذلك ينشأ التشتت أو التساوى والتشتت ينسب الى الفكر فيقال فلان مشتت الفكر وأما التساوى فهو أقوى وأصعب من التشتت حيث ان شعور صاحبه لضعفه لا يكترث بقبول الآثار أو عدمه فهما لديه سواء وصاحب الاول سهل الرجوع اذا أخذ الفكر بالتأمل في نسب الآثار وحصره فيها وصاحب الثانى صعبه كالناشئ الذى تشتت فكره فتساوى لديه التعلم وعدمه

وأما التنبه الاختيارى فهو مرتبط بالارادة ويلزم بعثه فى الاطفال بواسطة التعليم وهو ظاهرى أو باطنى فالظاهرى ما يلاحظ الآثار الظاهرية والباطنى ما يلتفت الى الاحوال الباطنية ويعنون به ترقب الانسان لاحوال نفسه وهو لابد منه فى حصول الانسان على درجة سامية من الآداب لانه يلجم الهوى ويحفظ من الشهوات ويكمل النفس

لاترجع الأنفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

اذا تقرر ذلك نعلم أن التعليم الابتدائى لا يكون منظورا فيه الا الى التنبه الاضطرارى ولذلك يلزم أن يجتنب المعلم ما يشتت أفكار الناشئة أو يصل بهم الى حد التساوى بأن تكون الاشياء المعروضة عليهم مفردة وحيدة على قدر الامكان وان تكون غير معلومة لهم مع تطبيقها وربطها بما يعلمونه وأن تعرض عليهم التصورات قوية ليس فى آن واحد وأن يكون التعليم جاذبا لسرورهم محركا لارادتهم جالبا لشغفهم حتى بذلك يصير الاضطرارى اختياريا

تذييل فى الأنا والنحن

اعلم أن الفلاسفة المتأخرين يعبرون عن شعور الانسان بنفسه وبجسمه بضمير المتكلم جاعلينه اسما ظاهرا ويدخلون عليه أداة التعريف فيقولون الانا وعن شعور الانسان بنفسه مع غيره بقولهم النحن ولنبحث عن كيفية حصول كل منهما فى الانسان فنقول

ان حصول الانا يكتسب شيأ فشيأ بواسطة مرور الزمان فالطفل فى بادئ الامر يتعلم بواسطة الحواس الخمس شعوره بجسمه ليس الا ولكن لا يعلم أنه ملك له ومخصوص به ولذلك نراه يخبر عن نفسه بضمير الغائب المفرد فيقول هو أو يشير الى جسمه باسم الاشارة المفرد فيقول هذا

ثم بواسطة الحاسة اللامسة يشعر بمواضع مخصوصة من جسمه لها خاصية الاحساس وبذلك يعلم أن الجسم آلة لامسة وبواسطة تأثير الاحوال الظاهرية على جسمه يشعر أيضا بانه مركز للاحساس بالآثار الخارجية ويكون ذلك كله باعثا لشغفه بجسمه وتكون الاشياء الخارجية المحيطة به سواء لديه ولكن يظن أن لها أيضا خاصية الاحساس وان كان يعيرها احساسه يدلنا الى ذلك معاملته مع آلات لعبه فيخاطبها ويأمرها وينهاها ويضربها قاصدا ايلامها ثم يلاطفها قاصدا الصلح الى غير ذلك

وبكثرة طروء الاحوال الظاهرية والتصورات النفسانية يجد الطفل أن مدلول الأنا موضع لاجتماع الاحساسات والارادة والطمع وأنه ذو سلطان عامل قادر على تغيير الاشياء الظاهرية بحسب ارادته وفى هذا المقام يشعر أيضا أن موضوع الانا مجموع للنفس والجسم وأنهما شئ

واحد ولكن التجارب تعلمه فيما بعد أن الجسم ربما لحقه التغيرات المختلفة كقص شعر أو ضياع عضو أو غير ذلك مع اطلاق وصف الانسان عليه وفى هذه الحال يشعر بان الجسم والنفس شيآن كل على حدته ولكن يرى الفضيلة للجسم لخاصية احساسه وقبوله للآثار الظاهرية

ثم ان المعاشرة والتربية والتعليم تكسبه الشعور شيأ فشيأ بارجحية النفس على الجسم فيستولى سلطانها عليه ويجد الناشئ حينئذ أنه معرض لتحمل الآثار الظاهرية والباطنية قابل لدفعها أو قبولها وهذا المقام أهم مقامات الاخذ بالتربية والتعليم وأصعبها على أولى الامر

النحن

متى تكمل حصول الأنا يرى أنه محاط بانات أخرى غريبة عنه وحينئذ يعتبر أفرادها أعداء له ولكن بواسطة كثرة المعاشرة يرى أن لتلك الافراد تصورات تماثل تصوراته وخواص كخواصه فيميل اليها بطبعه وفى هذه الحال يشعر الطفل بمدلول النحن والتربية حينئذ تكسبه كيفية معاملة أفراد الانات وبها يتعلم أن للنحن دوائر يجوزها شيأ فشيأ فيقول نحن الاشقاء ثم نحن التلامذة ثم نحن الاصحاب ثم نحن المصريين ثم المسلمين ثم الناس

اذا تقرر ذلك نقول يجب على المعلمين وأولى أمر التربية أن ينبهوا من التفات الناشئ الى معرفة تلك الدوائر والاخذ بآداب كل منها حتى يجوزها وليس لديه علم بمدلول كلمة ال هو أو ال هم اللهم الا فى موضوع الحكاية والاخبار ليعلم أنه عضو عامل لمجموع الانات فيحرص على ايصال المنفعة اليه ولا أزيدكم علما باهمية ذلك الموضوع فأديروا على محوره دائرة التربية والتعليم وهو الهادى لاقوم طريق

الباب الثالث

فى الاحساس النفسانى

تقدم لنا ان الاحساس اما ظاهرى وهو شعور النفس بالآثار الظاهرية عند وصولها من الجسم اليها واما باطنى وهو شعور النفس بآثارها الباطنية

وهذا الاخير هو أثر ينشأ عن هبوط أو صعود التصورات الحاصلة والمشعور بها فى النفس وبعبارة أخرى هو أثر تبادل وتوارد التصورات صعودا وهبوطا

فالاثر الحاصل عن الصعود يسمى احساسا ارتياحيا وعن الهبوط يسمى احساسا غير ارتياحي مثال ذلك لو أعملنا الفكر في تذكر اسم شخص أو قاعدة أو حكاية فاما أن تصعد فنتذكرها وحينئذ نجد من أنفسنا أثر ارتياح اليه واما أن تهبط فلا نتذكرها وحينئذ تشعر النفس بأثر لا تطمئن اليه

وبحكمة ارتباط الاحساسات النفسية بالتصورات نعلم أن من أراد أن يحدث احساسات ارتياحية أو غيرها يلزمه أن يولد لها تصورات

وربما يحصل الاحساس الارتياحي وغيره في احساس واحد ويسمى احساسا مختلطا كالامل والشوق فعند تصور بلوغ الامل يحدث الارتياح وعند تصور خيبته ينشأ عدم الارتياح وهما وان كانا في الحقيقة احساسين مختلفين لكن لكثرة تبادلهما وتواردهما سريعا في النفس جعلا احساسا واحدا مختلطا

وتنقسم الاحساسات مطلقا بحسب أصلها الى قسمين احساسات صورية واحساسات مادية ولنتكلم على كل منهما فنقول

الاحساسات الصورية

هي التي تنشأ عن الارتباط بين تصورين أو أكثر من جهة الصورة مثال ذلك الانتظار والرجاء والكدر والفزع والدهشة والشك والملل والانس

فالانتظار يحصل عند ملاحظة ورود آخر تصور من سلسلة تصورات متتابعة بحيث ان الاول يكون سببا للثاني والثالث مسببا عن الثاني وهكذا ولنشر اليها بهذه الاحرف ا ب ج د ه فعمل الفكر في ملاحظة التصور الاخير (ه) يسمى انتظارا

وكثرة التجارب تجعل تلك التصورات المتتابعة غير ملحوظة للفكر وذلك لورودها عليه سريعا كانتظار الزارع للثمرة والكيماوي عند تحضير الاجسام فان الاسباب تمر على فكرهما بحيث لا يعيرانها الالتفات

وينشأ عن الانتظار اما الارتياح كانتظار شيء مطلوب للنفس واما عدمه كانتظار الجاني للعقاب كما ينشأ عنه عدم الصبر لطول المدة . والامل له ارتباط بالانتظار اذا كان المنتظر مرجوا وكذلك الكدر اذا صادف أفراد التصورات المتتابعة عائق

وأما الشك فهو في الحقيقة انتظار يتجاذبه الخوف والرجاء ويقوى في الانسان بكثرة التجارب والاختبار ولذلك نجد الاطفال قليلي الشك في وقوع شيء منتظر لهم غالبا

وأما الملل فيحدث اذا وقفت التصورات الحاصلة في النفس في زمن مخصوص عند حد ولم يكن هناك شيء جديد يدعو الافكار الى العمل وكذلك يحصل عند سرعة ورود شيء جديد أو كثرته مثال ذلك تأثير المدينة الكبرى على طفل قد دخلها فانه لكثرة ما يرى فيها من الاشياء الجديدة التي لم تكن معلومة له قبل يشعر بالملل

ولذلك يجب أن يكون التعليم بحالة لا يملها المتعلم والافهو رأس كل ضرر وخيبة

وأما الانس فهو ضد الملل ويحدث لنا اذا كانت أسبابه بمعزل عن الملل ووسائطه كما علمت

الاحساسات المادية

الاحساسات النفسية المادية هي الشعور بكيفية التصورات ومادتها وتنقسم باعتبار موضوعها الى أربعة أقسام الاحساس بالحقيقة والاحساس بالحسن والاحساس بالآداب والاحساس بالدين واليك توضيحها فنقول

الاحساس بالحقيقة

الاحساس بحقيقة الشيء يتقدم معرفتها وهو الذي يسوقنا الى البحث عنها ويبعث أفكارنا الى التفكر فيها والاحساس بها ارتياحي اذا حصلنا عليها وغير ارتياحي اذا حصل الخطأ في اصابتها أو كانت غير واضحة

ولذلك نرى أن تربية الاحساس بالحقيقة في الاطفال ضرورية أثناء التعليم وذلك بواسطة أمثال تعرض عليهم كما ينبغي للمعلمين أن يبعثوا من اجتهاد الناشئ الى البحث عنها ويحركوا من شغفهم بها بأن يعرفوه أولا منفعتها او فائدة اصابتها ولكن فيما بعد يجب عليهم أن يصرفوا أفكاره عن النظر الى المنفعة والفائدة حتى يصير همه نظره اصابة الحقيقة ليس الا حيث ان تعليل الناشئ بالمنافع مضر جدا كالآباء الذين يغدون أبناءهم لكل عمل يجرونه باعطائهم ما يسر خاطرهم من المآكل اللذيذة أو الملاعب ومثل أولئك الآباء مع أبنائهم كمثل صاحب القرد الذي يسترزق به فتراه آخذا بيده كسرة من الخبز أو قطعة من السكر مثلا يشير بها اليه بعده بالقائها له اذا نط ووثب ثلاثا فان القرد يعمل أعماله وكل جوارحه مائلة الى الحصول على الموعود به لا يكترث بأعماله أكانت متقنة الصناعة أم لا

ولذا ينبغي أن نلقي في نفوس الناشئة شيأ فشيأ محبة البحث عن نتائج الاعمال من جهة مادتها كما نتركهم ليبحثوا عنها تحت ملاحظتنا ونعززهم بقليل من المساعدة وأن لا نعرض عليهم

الاعمال غير واضحة أو نتائجها قبلها فان اصابتهم الحقيقة من ذات أنفسهم مما يدعو الى انتعاش خواطرهم وسرورهم

الاحساس بالحسن

و يعنون به الاحساس بالحسن أو القبح وهو الاحساس بالاستحسان المطلق أو الاستقباح المطلق اللذين هما بمعزل عن الغرض الذاتي وموضوعهما الاشياء الطبيعية والصناعية من حيث مادتها او صورتها وما نستحسنه مطلقا نسميه حسنا وما نستقبحه مطلقا نسميه قبيحا

والاشياء المحسوسة خاصيتها الا مادتها أو صورتها فان كان الاحساس بها ارتياحيا سميت مقبولة أو لطيفة وان كان غير ارتياحي سميت غير مقبولة أو غير لطيفة كالعبير والالحان فيقال عبير مقبول أو لحن غير مقبول لا حسن ولا قبيح الا اذا استعمل مجازا وأما الاشياء التي ندعوها بالمفيدة أو المضرة فالاحساس بها يكون بصرف النظر عن مادتها او صورتها بل باعتبار شئ خارج عنها وهو النفع أو الضر

والعلم الباحث عن هذا الموضوع يسمونه استيتيك وهي كلمة يونانية معناها فن الحسن ولا يهمنا منه في هذا المقام أكثر مما ذكرناه

وحيث علمنا أن هذه الاحساسات متعلقة بالمحسوسات المبصرة أو المسموعة وأن آلاتها هي السمع والبصر لزم تربية تلك الاحساسات في الناشئة وأعني بذلك تربية ذوقهم السليم بشعورهم بالحسن والقبح الى آخره وذلك

أولا بأن نعودهم على النظافة والانتظام وتضبط أشغالهم و زمنهم بقاعدة لا تختلف وأن تكون أشياؤهم كالادوات المدرسية حسنة الصورة منتظمة الوضع والترتيب

ثانيا بان نعرض عليهم كثيرا من الاشياء الطبيعية كان ننبه التفاتهم الى السماء ونجومها والى الارض وأنهارها وجبالها وأحراشها والى بعض الحيوانات الهوائية والمائية والترابية اماذاتها أوصورها وكذلك الاشياء الصناعية كالمباني والادوات المستعملة في المعيشة حاجية كانت أوكمالية

ثالثا أن نمرنهم على ادراك الحسن بواسطة الكتابة والرسم والتكلم والرياضة البدنية وعلى كل فالحد الضابط لنا أن نروض أبصار الناشئة وأسماعهم على ادراك الحسن والفرق بينه وبين القبيح حتى تنضبط بذلك قوة تخيلاتهم فلا تعمه في طرق الخيال وتتسع دائرة أفكارهم فلا تتعدى مركز الحقائق

الاحساس بالآداب

ويعنون به الاحساس بالخير أو الشر والفن الباحث عن هذا القسم معناه فن الادب وهو أقرب الاقسام لفن الحسن لان الاحساس بهما مطلق بدون واسطة خارجية فهذا يتعلق بالاشياء الخارجية الطبيعية والصناعية من جهة حسنها أو قبحها وذاك يتعلق بالنسب الارادية والاعمال الجسمية والنفسية

وجل أماني الانسان أن الحسن والخير يلزم أن يكونا ويحصلا وأن القبيح والشر ينبغي أن لا يكونا ولا يحصلا

والغرض بتربية الاحساس بالآداب أن تجتمع أفراد الانسان على ارادة واحدة ويحصل ذلك بواسطة التربية والتعليم والمعاشرة وترقب الانسان لاعمال نفسه وغيره ويتربى احساس الطفل بالآداب بواسطة ترقبه لاعمال المحتاط بهم فتى كانوا أولي أدب نشأ أديبا والعكس بالعكس

وتربية الناشئة أثناء التعليم بذلك الاحساس مهمة بأن نعرض عليهم بعضا من الآيات القرآنية التعليمية والاحاديث الأدبية وآثار الحكماء وأمثال العقلاء والتواريخ لاسيما تاريخ الاسلام عموما ومصر خصوصا وكثيرا من الحكايات التي تتضمن المعاملات الحسنة أو السيئة وينبغي أن نسألهم عن آرائهم فيما ألقي عليهم من التاريخ والحكايات بأن يقال لهم أتجدون هذا جيدا أو رذيلا وما السبب في ذلك ومن هنا رأى أغلب علماء التربية أن اتباع الحكايات والامثال وارداقها بمغزاها ومضمونها غير حسن لان ذلك مما يثبط من همم الناشئة ويحيدبهم عن التفكر بأنفسهم لحمله عنهم مؤنة البحث

وأهم ما تبحث عنه التربية هنا أربعة احساسات الاحساس بالذات والاحساس بالشرف والاحساس بالحق والاحساس بالميل ولنتكلم على كل منها فنقول

الاول الاحساس بالذات هو الشعور بتقدم وغلبة الأنا على الموانع الخارجية وبعبارة أخرى احساس الانسان بكونه ذاتا قائمة بنفسها ذات سلطان وهو احساس ارتياحي مثال ذلك شعور الطفل بالسرور عند غلبته على شيء ذي قوة مانعة كأن يحمل شيأ ثقيلا أو يثب لنوال شيء مرتفع عنه أو أن يقلد شيأ يظنه صعبا فنراه حينئذ وقد لاحت على وجهه شارات الفرح المنبعث عن احساسه بذاته وتقدمها

والاحساس بالذات اما يصعد بالانسان الى العلوّ أو يهبط به الى الدنو وكلا هذين الاحساسين رذيلة فصاحب الاول تجده محتقرا للتعاليم والاوامر والنواهى مترددا الارادة والرأى معاندا شغوفا بالتسلط عديم الصبر معتقدا أرجحية علمه بالامور الى غير ذلك وهذا هو الذى ندعوه مدّعيا أو متعاظما

وصاحب الثانى تجده ضعيف القوّة الارادية عديم التنبه كسولا فى العمل يضع نفسه فى خسائس الامور وهذا هو الذى ندعوه متذللا

وحيث كانت فضائل الامور حدا متوسطا بين طرفى الافراط والتفريط نعلم أن الاحساس بالذات الذى نعتبره فضيلة هو الذى لا يصل بالانسان الى التعاظم أو التذلل وذلك بأن نجد صاحبه مترقيا بالنفسه عارفا بقدرها طلوبا للشرف تبوعا للحق وهذا هو الذى ندعوه متواضعا

ولتربية الاحساس بالذات فى الناشئ يجب على أولى أمره أن يمنحوه الفرصة لتمرين قواه الجسمية والعقلية شيأ فشيأ وأن يكون ذلك التمرين بحالة تكفل بالنجاح كى تنمو قواه ويزيد شغفه بتلقيه تمرينات أخرى سامية ودفعا لما عسى أن يتعدى احساسه بالذات حدوده ينبغى أن ننبهه الى قصور قواه كما يلزم أن لا نأخذ على أيدى الناشئ الضعيف الجسم والموهبة العقلية بكثير اللوم أو بالقساوة فتذبل قواه لشعوره بالعجز بل يجب أن ننبهه من اجتهاده ونزيد من شغفه وميله وأما الناشئ القوى الجسم والموهبة العقلية فكما نبعث من نشاطه نطلب منه زيادة العمل

(الثانى) الاحساس بالشرف وله ارتباط بالاحساس بالذات ولا بد لكل انسان أن ينزع الى الشرف ويصون نفسه عن الوضيعة وأن لا يستوى لديه مدح الناس وذمهم اياه

وضعف الاحساس بالشرف صادر عن جهل الانسان بقدره وبذلك يصير وضيع النفس تبوعا لغيره أسير آرائه ولذا يلزم أن نوقظ الاحساس بالشرف فى الناشئة بحيث لا نصل بهم الى حد الكبرياء وأن ننبه من التفاتهم الى أنهم سيكونون قائمين بذات أنفسهم أولى حرية فى الاقوال والافعال والآراء وفى كل مالم يمس بالآداب

وأن نعرفهم مواضع الشرف منهم التى هى النفس والعرض والمال بحيث يصونونها عن خدشها بأيديهم ويدافعون عنها اذا مستها يد الغير حسب ما هو مشروع بالقوانين والقواعد الوطنية

وليعلم أن الاحساس بالفخر وبالاعجاب بالنفس خلاف الاحساس بالشرف وذلك أن الاحساس بالفخر هو شعور بتقدم لم يكن لدى الغير بخلاف الاحساس بالشرف فهو شعور

بتقدم يقدمه الغير أيضا وأما الاعجاب بالنفس فهو شعور بتقدم هو فى الحقيقة باطل المصدر عديم القيمة

(الثالث) الاحساس بالحق وهو إما ذاتى أو وصفى ويعنون بالحق الذاتى ضد الباطل وبالوصفى معنى تصطلح عليه أمة أو طائفة فيما بينهم تمنحونه عامتهم أو خاصتهم وجمعه بهذا المعنى حقوق وهو احساس ارتياحى اذا حصل مفعوله فى الخارج وغير ارتياحى اذا صادف حصوله مانع وتنفيذه يسمى عدلا والوقوف به يسمى ظلما مثال ذلك اصطلاح حكومة على أن العبور بالطرقات بحالة لا تمس بالآداب حق لكل انسان فاذا رأينا أحدا منع آخر عن العبور أو صفعه مثلا يحصل لنا احساس غير ارتياحى الى أن يجازى ذلك الآخر فنرتاح ونطمئن ونجد تلك المجازاة عدلا وعدمها ظلما ثم ان العبور فى الطريق مثل للحق العام وطلب المصفوع مجازاة الصافع حق خاص وأما الاحساس بالاصطلاح على ذلك وعلى تقريره فهو احساس بالحق الذاتى بمعنى أن نراه صوابا وعدمه باطلا

ويتربى ذلك الاحساس فى الناشئة بواسطة ترقبهم لاعمال غيرهم وينبغى توطيده بأن نعرض عليهم كثيرا من الحكايات فى هذا الشأن حتى تتربى فيهم الحمية ويقوى شعورهم بالحق فلا تأخذهم فيه لومة لائم

(الرابع) الاحساس بالميل وبعبارة أخرى الشعور بالجاذبية ويعنون به الاحساس بالاحوال التى يحس بها الغير ويحصل لنا عند ترقبنا حركات الغير ورؤيتنا تقاطيب وجهه وسماعنا لكلامه ومتعلق هذا الاحساس اما السرور أو الحزن مثال ذلك أن نرى انسانا تلوح عليه شارات الفرح أو الحزن فنفرح لفرحه ونحزن لحزنه بمعنى أن يكون لنا احساس يقلد احساسه

والانسان أقرب بطبيعته الى الاسف لحزن الغير منه الى السرور لفرحه والسبب فى ذلك أن الاسف من الاحوال التى لا يرغب ولا يطمع فيها بخلاف السرور

ولكلا هذين الخلقين وهما الفرح لسرور الغير والحزن لحزنه الاهمية الكبرى فى المعاملة والمعاشرة الانسانية ولعدم شعور الانسان بهما أسباب وذلك كأن لم يفهم ويتصور احساسات الغير أو يفهمها ولكن يراها مضادة لارادته وتصوراته فيشعر عند فرح الغير باحساس غير ارتياحى وهو الحسد وعند حزن الغير باحساس ارتياحى وهو حب ضرر الغير وكلا هذين الخلقين الذميمين ينشأ عن ضعف القوة المخيلة فى الانسان وعن حب الذات ويدل على خشونة الطبع وقساوة القلب

ولذلك يجب تربية الاحساس بالميل فى الناشئة والاهتمام بها ولهامقامان مقام المنزل وأعظم مربٍ له فيهم تربية عملية هن الامهات اللائى طبعن على حب أبنائهن فيفرحن لفرحهم ويحزن لحزنهم ومقام المدرسة وفيها يجب أن نربيه فيهم تربية علمية وأعنى بذلك تربية شغفهم بذلك الاحساس من حيث كونه فضيلة يتحلى بها الانسان

الاحساس بالدين

وله ارتباط شديد بالاحساس بالآداب بحيث ان من قوى فيه الاحساس الدينى نراه قوى الاحساس بالآداب ومن كان ضعيفه أو عديمه قل أن يصل الى درجة أدبية محمودة كيف لا والدين هو الناموس الباطنى المرشد الهادى الى خطة الفلاح فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومتعلق الاحساس بالدين اما حقيقى أو نسبى فالحقيقى كشعور الانسان بذات موجودة أزلية أبدية قائمة بنفسها والنسبى كالاحساس بالارتباط والتعلق بيننا وبين خالق قادر هاد قهار رحيم ويتنوع احساسنا بحسب تنوع صفاته جل شأنه فعند تصورنا عظمته سبحانه نشعر باحساس الخشية وعند تصورنا قدرته نشعر بالعجز والتواضع ولكرمه نشعر بالشكر ولرحمته بالحب وهكذا

ويحصل عند الاحساس بارتباط وتعلق المخلوق بالخالق وبقربه منه الاحساس بالسلام وعند الاحساس بالبعد وقت اقتراف الذنوب أو فيما بعد يحصل احساس مؤلم وهو عدم السلام وفى الغالب يكون مقرونا بالاحساس بالامل

ولاجل تربية الاحساس بالدين فى الناشئة يلزم أن ننبه من التفاتهم الى الاشياء ثم الى علتها الاولى ومسببها الاول كأن نسألهم بقولنا من الذى أرسل الينا هذه الارزاق وتلك النعم التى بين أيدينا ومن هو الخالق المبدع لذلك الكون الممهد للارض والمجرى للانهار والمقيم للاعلام والمزهر للاشجار والرافع للسماء والمزين لها الى غير ذلك بحيث تكون أسئلتنا هذه بسيطة جدا فلا نعرض عليهم أولا الجمل المصطلح عليها الذى اتخذه الخطباء والوعاظ وعلماء التوحيد بأن نطلب منهم حفظها عن ظهر قلب حفظا آليا فان ذلك اخماد لنور أفكارهم لا يفيد الغاية المقصودة للتربية الدينية الحقيقية

ومن ذلك نعلم خطأ المعلمين الذين يأخذون الاطفال بادئ بدء بحفظ متن فى فن التوحيد عن ظهر قلب أو كلمتى الشهادة أو قواعد الاسلام أو التحيات المباركات وغيرها والاكتفاء بذلك بدون معرفة المعنى وسيأتى لنا فى الجزء الثانى الكلام على كيفية الطرق التى نتخذها فى تعليم التعاليم الدينية ان شاء الله تعالى

الباب الرابع

فى الطمع والارادة النفسانيين

الطمع هو نزوع النفس الى تحصيل شئ لم يكن موجودا مثال ذلك طمع الجائع حيث ينزع الى تحصيل الاحساس بالشبع الغير حاصل لديه وقت الجوع

وللطمع نواميس وقواعد مخصوصة به وذلك

(أولا) الاشياء المطموع فيها لابد أن تكون معلومة للنفس ولو قليلا والاحساس بها يلزم أن يتقدمه تصوّرات لتحضيره والاشياء المطموع فيها بالسهولة هى التى صادفت من التصوّرات ماله السلطان الاعظم فى النفس أو الجسم أو التى نعير اليها جانب الالتفات والتنبه مثال الاول الطفل فانه يطمع سريعا فيما يحرك حواسه كالشئ اللامع الساطع أو المتحرك وهكذا ومثال الثانى طمع العالم فى المعلومات والتاجر فى البضائع والصانع فى المصنوعات والخير فى الخير والشرير فى الشر وهكذا

(ثانيا) الطمع فى الاشياء يكون أشد منه فيها عند التهيئ لمباشرة قضائها مثال ذلك العطشان فانه يشتدّ طمعه حين وضع القدح على فيه حيث تمثل له مرآة المخيلة صورة الاحساس بشفاء الغلة

(ثالثا) كما يختلف الطمع مقدارا وأحوالا باختلاف الاشخاص يختلف فى الشخص الواحد حسب تغيرات الاحوال المعتورة عليه مثال ذلك رائحة الطعام قبل الأكل وبعده فانها تثير من طمع الجائع قبل تناوله اياه وتثبط منه بعده

وتنقسم الاطماع الى قسمين الاول الاطماع الحسية وهى التى منشؤها الحواس الخمس والثانى الاطماع النفسية ولنتكلم على كل من ذينك القسمين فنقول

الاطماع الحسية

هى إما أن تكون دائمية راسخة أو غير دائمية فالاولى قسمان وهما البواعث والاميال والثانية واحدة وهى الشهوات

فالباعث شعور دائمى مفطور عليه ينزع الى تحصيل شئ أو الى الاباء عنه فالانسان المندفع بالطبيعة الى الغذاء يشعر عند جوعه باحساس غير ارتياحى تعقبه شهوة الى الشبع فيثور باعث التغذى الذى يخمد بكسر حدة الجوع ثم بعد أوقات يثور ثانية وينتج من ذلك أن الباعث دائمى ملزم بالفطرة

ثم ان البواعث الاصلية فى الانسان اما أن تكون حسية وهى التى مصدرها الحواس الجسمية أو نفسية وهى الصادرة عن النفس

فالبواعث الحسية هى

(أولا) بواعث البقاء وهى ثلاثة الباعث الى الغذاء وعلى التربية أن تؤسس له قواعد بواسطة التعويد والباعث الى الاكتساب والتملك والتربية تربيه بواسطة تخصيص أشياء وجعلها ملكا للاطفال وتعليمهم احترامها واعتبارها والباعث الى المدافعة عن النفس والعرض والمال

(ثانيا) بواعث التعارف والتعاون وهى قسمان الاول الباعث الى الائتناس وهو الذى ينزع به الشخص الى التعلق والتعرف بابناء جنسه والتربية لها أن تربيه فى الاطفال حتى ينزعوا الى خير المجتمعات والثانى الباعث الى التناسل وهو الذى ينزع به الانسان الى توليد كون جديد من جنسه وحيث ان هذا الباعث يقوى بواسطة التفكر والتخيل والارادة يلزم على أولى أمر التربية أن يلاحظوه فى الناشئة كيلا يتنبه فيهم قبل أوانه بأن يعوّدوهم على الرياضة البدنية وأن يمنعوهم عن المؤثرات المهيجة للاعصاب اما فى المأكولات أو المبصرات وأن يشغلوهم باشغال ذات ترتيب وأن يبادروا بتربية الاحساس بالآداب فيهم وتعويدهم على أعمال عقلية وضبط القوة المخيلة فيهم بواسطة الحكايات وغيرها وأن لا يتركوا الناشئ وحيدا منفردا

وقد رأى كثير من علماء التربية فى القرن الثامن عشر الميلادى المسمون بالفيلانتروبيين أن الاحسن المبادرة بتنبيه الناشئة الى أحوال هذا الباعث وتوضيح الارتباط والنسب بين جنسى التناسل

والذى أراه أن نأخذ من هذين الرأيين وسطا لا يصل بالناشئة الى ضعف الحكمة الطبيعية فيهم ولا يبلغ بهم غايتها ناظرين فى ذلك الى الآداب ومحاسن الاخلاق وتربية العفة والحياء فيهم وأعظم رقيب عليهم هم الآباء فيلزمهم أن يلاحظوا ذلك فى أبنائهم ذكورا أو أناثا

وأما البواعث النفسية فهى خمسة أنواع

(أولا) الباعث الى الاعمال العقلية وهو طبيعى فى الانسان ويلزم تربيته كيلا يذبل فيوقع الانسان فى مصائد الكسل وتقويته الى أن يصير ميلا

(ثانيا) الباعث الى الاشياء المفيدة على حسب اختلافها كالعلم والحرفة والصناعة والتجارة وغير ذلك

(ثالثا) الباعث الى تحصيل الغنى والوجاهة والشرف والفخر

(رابعا) الباعث الى الاختراع فى الصنائع أو فى غيرها أو الى تكميل ما وجد منها

(خامسا) الباعث الى المعرفة وبه يتولع الانسان بمعرفة الاشياء والاخبار

الاميـــال

قد علمت أن البواعث كامنة فى الطبيعة الانسانيـة ولكن قد تختلف فى أفراد الانسان مقدارا وكيفية تبعا لاختلاف التصورات النفسية قوة وضعفا فنهم من قويت فيه بالطبع تصورات المبصرات أكثر ممن سواه ومنهم من تزيد فيـه تصورات المسموعات وهكذا وهـذه الاحوال المختلفة فى أفراد النوع الانسانى هى التى يسمونها الاستعداد الطبيعيا وقد عرفوا الاستعداد بانه حالة للنفس أو لبعض الحواس الجسمية يسهل وينجح استعمالها فيما صيغت اليه وينشأ عن ذلك احساس ارتياحى يشعر به صاحبه ويندفع الى استعمال استعداده كى يجدد احساسـه الارتياحى فهذا الاندفاع والنزوع يسمى ميلا

وينتج من ذلك أن مصدر الاميال مواهب طبيعية وقد ذهب الفيلسوف جال الالمانى (عاش فى أواسـط القرن التاسع عشر الميلادى) الى أن تلك المواهب مطبوع عليها جميع النـاس وخصص للاميال موضـعا فى الرأس كمواضع المفكرة والمذكرة والحافظة وهكذا ولكن لم يتم للآن تحقيق استكشافه هذا وكما أن الاميال تنشأ عن الاستعداد الطبيعى تنبعث أيضا عن مصدرين آخرين

(الاول) الامزجة الاربعة التى هى السوداء والصفراء والدم والبلغم والانسان بالفطرة قابل لغلبة أحد هذه الامزجة على طبيعته ولكن حصولها كسبى كتبادلها وتواردها مثال ذلك الانسان الذى يشـغل أفكاره كثيرا حتى تغلب عليـه السوداء فتتحرك فيه أميال كثيرة كنزوعه الى الوحدة والحزن وغير ذلك مما يتصف به السوداوى وهكذا القول فى باقى الامزجة (راجع فصـل الانسان ونسبته الى نفسه الآتى) وحيث ان حصول هذه الامزجة كسـبى فيمكن للانسان أن يهبط بها الى الدنو فتصير أمياله رديئة أو يصعد بها الى العلو فتكون أمياله شريفة

(الثانى) العـادة فمن تعوّد وتمرّن على شئ سهل لديه استعماله فيما بعـد ويجد من نفســه احساسا ارتياحيا ينزع الى تجديده ومنه ينشأ الميل الى ما تعوّد عليه ولذا قيل العادة طبيعة ثانية ولقد عظم قدرها حتى قال بعض الفلاسفة الانسان انما هو عادة محضة

وضعف العادة أو تمكنها وقوتها تابع للمدة والزمن قلة وكثرة ولذلك نرى أن تربية العادة الحسنة في الاطفال تحتاج الى زمن طويل حتى تنطبع فيهم انطباعا يتعذر محوه كما أن العادة السيئة يصعب نزعها متى انطبعت في الانسان كصعوبة نزع السهم مهما تمكن

ولذا يجب أخذ الاطفال منذ أول النشأة بالعادات الحسنة وتعهدهم بها زمنا فزمنا حتى تصير لهم طباعا تنبعث عنها الاميال الى الفضائل والخير فان الاحداث أوائل نشأتهم كالعجينة قابلة لاية صورة قال حكيم الاسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قلب الحدث كالارض الخالية متى ألقي فيها شيء قبلته

وحيث علمنا أن تمكن العادة انما يكون شيأ فشيأ نعلم أيضا أن زوالها ونزعها يكون شيأ فشيأ وذلك إما بواسطة التربية أو الصدفة كما دلت عليه التجارب

ثم ان التعويد واسطة عظمى في تربية الآداب الحسنة في الاحداث ويلزم أن يكون أولا عمليا آليا حتى تكون الآداب لهم طبعا وعادة لا تحتاج في صدورها الى ارادة منهم ثم فيما بعد ينبهون الى أسبابها وأصولها وفوائدها

وأهم ما تبحث عنه التربية في مقامنا هذا هو

(أولا) تعويد الناشئة على الغسل والاستحمام والاستيقاظ باكورة الصباح وضبط الاشغال مقدارا وزمنا واعتدال أعلى الجسم في الجلوس أو السير الى غير ذلك من دواعي الصحة

(ثانيا) تعويدهم على الاعمال الجسمية كرياضة الابدان والتطريز للبنات خصوصا والسباحة وكل ما يدعو الى تمرين الاعضاء وتهيئتها الى السرعة في استعمال ما فطرت لاجله

(ثالثا) تعويدهم على تشخيص محاسن الاشياء كحسن الخط والرسم وحسن الصوت عند التكلم وعلى حسن عرض الاشياء ونحو ذلك مما يدعو اليه فن الحسن

(رابعا) تعويدهم على حدة الفكر وعدم الخطأ في التكلم وسرعة الحساب وكل ما هو داعية للمعرفة

(خامسا) تعويدهم على الآداب الاجتماعية وكيفية السلوك مع كل فريق كحسن القاء السلام ورده واعظام قدر الغير وبشاشة الوجه وغير ذلك مما تدعو اليه الآداب

(سادسا) تعويدهم على الاعمال الخيرية والخصال الجيدة كالاحسان والصدق في القول ووفاء الوعد وما أشبه ذلك من الفضائل

(سابعا) تعويدهم على الاعمال الدينية كالصلاة والصوم والسعي الى المساجد والمشاهد المقدسة وخلاف ذلك مما يتسم به الصالحون

وأعظم باعث لتعويدهم على ذلك كله أن يكون المربي مثالا لهم في ذلك بمعنى أن يكون متصفا بتلك الفضائل حائزا لتلك الخصال حيث ان التلميذ كما قيل نسخة استاذه وأن يأخذهم بها شيأ فشيأ ذاهبا بهم من الاسهل الى الاصعب وأن يتعهدهم بها زمنا فزمنا

الشـــــهوات

هي أطماع ذات سلطان تستخدم الارادة والفكر والعقل وجميع القوى في مجاهدة الموانع عن قضائها لا تكترث بالاسباب ولا باضدادها تحتقر الاوامر والنواهي تعمى الابصار والبصيرة تقرب صاحبها فداء أمام حاجتها

واختلاف مقدارها في أفراد الانسان قوة وضعفا ناشئ عن قوة أو ضعف الاستعداد الطبيعي في الجسم والنفس فقوي الجسم سهل عليه مباشرتها سريعا وضعيفه يدب اليها محتالا لنوالها كما تشتد أيضا في عنفوان الشباب وتضعف زمن الشيخوخة

والشهوات في نفسها اما متقاربة أو متناقضة فالمتقاربة هي التي يدعو بعضها البعض كشهوات السكر والزنا والاسراف والمتناقضة كشهوتي الكبر والبخل فقليلا ما نرى متكبرا بخيلا أو بالعكس والشهوات المتناقضة يدافع ويجاهد بعضها البعض حتى يتغلب عليه وربما تتعدى الشهوات من الاشياء الحقيقية المتعلقة هي بها الى أشياء مرتبطة بها أو مغايرة لها كالعشق فصاحبه تنبعث أمياله الى محبة ما هو مرتبط بمعشوقته ومتعلق بها والى حب من يساعدهما على عشقهما وكشهوة الغضب والانتقام مثال ذلك المتوحش الذي تثور فيه شهوة الغضب فيعمد الى اتلاف ما بيده وكضرب المرأة ولدها نكاية في زوجها وما أشبه ذلك

وللتربية في هذا المقام أن تكسر من حدتها وتطفئ من ثورتها وتهبط بها ولكن الى حد لا تتلف لديه الاجهزة والاعضاء كمن يتلف عضو التناسل طلبا لقمع النفس أو يقلع عينيه جزاء لها على ما تناولته من النظر الى محرم وغير ذلك مما فعله بعض الناس الذين يدعون التصوف ولذا يلزم تعويد الناشئة بادئ بدء على الآداب والاخلاق الحسنة حتى يكون للعقل السلطان الاكبر على الجسم والنفس وهذا المقام صعب على المربي حيث يلزم أن يكون عارفا بكيفية نشأة الشهوات والبواعث الجسمية والنفسية وهي هي الشهوات مرمى سهام الاديان والسياسة وان كانت في بعض الاحيان سببا في كبار الامور وعظائمها فيها يجازف الانسان بنفسه ويجوب بها المخاوف وتنبعث عنها الهمم الكبيرة .

الاطماع النفسية

كل ما يتصوّره الانسان يمكن أن يطمع فيه ولكن ليس كل ما يطمع فيه ينال وطمع مثل هذا يبقى في النفس رغبة محضة خالصة بدون تفكر في البلوغ و ينبعث عن الحكم بامكان نوال المطموع فيه الميل ومنه تنشأ الارادة فتكون الارادة طمعا مع الحكم بالنوال والميل الى الفعل والارادة قد تكون مغايرة للشهوة فقد يريد المريض شرب الدواء ولكن لا يشتهيه لكراهته وقد تجتمعان كما هو ظاهر

ثم ان الارادة تحدث في الشعور سلسلة تصوّرات تابع بعضها البعض بحيث ان كل تابع منها يكون منتظرا عند حصول المتبوع ويكون المتبوع سببا والتابع مسببا فيكون المراد آخر نقطة لسلسلة توصل أجزاؤها الى النوال ويسمى المراد بالمقصود وتلك الاجزاء بالوسائط ونفس الطمع في المقصود يكون بدون واسطة والطمع في الوسائط لشيء خارجي وهو كونها موصلة مثال ذلك الرجل الكثير العمل مع الاقتصاد والتوفير فان أعماله هذه غير مرادة له لذاتها بل يطمع فيها لكونها موصلة الى مقصوده وهو الغنى ومثله الحارث والتاجر وغيرهما

والطفل في أول الامر لا يكون له الا طمع محض ثم يصير بكثرة الاختبار ارادة وذلك أن الطفل يطلب أولا شيأ ما بواسطة الصياح بدون قصد ثم بعد ذلك تعلمه التجارب أن الصياح سبب قوى للنوال فيصيح قصدا كلما طلب شيأ من الاشياء

ومن ذلك نعلم أنه كلما كثر نجاح الارادة بواسطة التجارب قوى الحكم بامكان نوال المطموعات جميعها ويصير المحض منها مرادا فتتعدى الارادة حدها الى أن تصير شهوة تقدمها الضلالة وتسوقها العماية ولذلك يجب على المربي أن لا يمنح الناشيء كلما يريده ولو كان شيأ محمودا بل يوليه تارة ويمنعه تارات حتى تطمئن نفسه ويحفظ من أطماعه و يقف بالارادة عند حدها و يصير قنوعا راضيا شغوفا بالاشياء مقدرا الامور حقوقها متمتعا بعيشة راضية

ولست أعني بذلك تثبيط همه والهبوط بعزائمه عن طلب العظائم كلا بل أخذه بالتربية مع الحيلة حتى لا نهبط به فيقعد الدهر ملوما محسورا ولا نصعد به فيقوى شرهه ويزيد طمعه الاشعبي وما ذلك على المتبصرين بعزيز

وللارادة تأثيران الاول بعثها الى العمل والفعل والثاني تسلطها على الفكر ودفعها للنفس وهي في هاتين الحالتين تستخدم التأمل في الاسباب ونقائضها حتى تعتمد على الحكم باختيار مارجح لدى التأمل

والاصل فى اهتداء الارادة الى استخدامها التأمل هو الاختبار وكثرة التجربة وبيان ذلك أن ارادة الطفل أول النشأة تكون محضة كما تقدم ولكن اذا أكثر ذات يوم مثلا من تناول الحلواء التى ارتاح لها حلقومه من قبل ومثلت له المخيلة لذة مذاقها فضرته يعلم لامحالة أنه ربما يكون المقبول مضرا واذا تناول شيأ يكره مذاقه كالدواء فنفعه يعلم أنه ربما يكون الغير المقبول مفيدا وبحكمة كثرة الوقائع المعتورة عليه يصعد تأمله ويهبط غروره حتى اذا طمع فى شئ بعد ذلك تذكره التجربة ما اختبره وسبره فيقعد بالارادة الى أن يتأمل ويتبصر فى خير الامرين اما التأهب للفعل أو عدمه ومنه نعلم أن كثرة التجارب عين للارادة تبصر بها وتهتدى بنورها عن العماية فى سبيلها وقلة الاختبار ومغالطة النفس للارادة سببان فى عدم التأمل أو ضعفه كما نراه فى الاطفال والرجال والنساء الذين غلبت عليهم أطماعهم وشهواتهم فكل أولئك عديم التأمل أو ضعيفه اما لقلة اختباره أو مغالطة نفسه له

ولما كانت التجربة تستلزم مرور كبير من الزمن اعتنت الامم المتمدنة فى تدوين تواريخ السلف وحوادثهم وحكمهم وعظاتهم وأمثالهم حيث رأوا الاطلاع عليها يقوم مقام طول الزمن الذى تستدعيه التجربة . فاما التاريخ فبه يعرف الانسان كيف كانت أعمال المتقدمين على اختلاف أنواع الوقائع وينظر كيف صار هذا العمل الى منفعة وذلك الى ضدها فيبنى أعماله على ما علمه منها قائسا الشاهد بالغائب والحاضر بالذاهب

ومن وعى التاريخ فى صدره * أضاف أعمارا الى عمره

وأما الحكم والامثال فبها يقتدى الانسان ويأتمر وينتهى لكونها ثمرات عقول السالفين ونتيجة أفكار المتقدمين وهى لم تصدر منهم الا بعد كثير تجربة وعظيم اختبار مثال ذلك حكمة (تجرع الغصه لتظفر بالفرصه) فانها لم تأت على بال قائلها الاول الا بعد أن كانت لديه فرصة وأهمل فى الاسباب الموصلة الى الظفر بها وأقعده الكسل عن نوالها حتى فات وقتها فأصبح يقلب كفيه على ما فرط فيها وعاد على نفسه بالملامة والحسرة وصار صدره ضيقا حرجا وتمنى لو تجرع الغصة فنال الفرصة وهكذا جميع الحكم والامثال فانها لم تصدر عن أهلها الا بعد كبير اختبار وتحمل مشاق وركوب أخطار

وبحكمة ضعف التأمل فى الاطفال رفع عنهم قلم التكليف الى أن يبلغوا الرشد واختلاف الاعمال الصادرة عن غيرهم خيرا وشرا تابع لاختلاف أميال واستعداد الصادرة هى عنه فمتى كانت أميال الانسان شريفة انبعثت عنها الارادة الى خير العمل والعكس بالعكس كما أن للطباع تأثيرا عظيما فى الارادة سواء جيدها كالكرم والشجاعة والثبات والصداقة واتباع الحق وما أشبه ذلك وذميمها كالبخل والجبن والكذب والتملق والتذلل وغير ذلك

ومنه نعلم أهمية أخذ الناشئ بضبط أمياله كيلا تجوز مركزها المطلوب منها وطبع الاخلاق الحسنة فيه كأن نربي فيه النخوة وثبات القلب في موضعه ورقته في محلها والاندفاع الى الحق ولو كان دونه خرط القتاد والنزوع الى الشرف وصفاء السريرة والصدق في القول والوفاء بالوعد ومصادمة الهوى والصبر على المكاره ومساعدة أبناء الجنس وافداء الوطن بالنفس والمال وأن نربي فيه حرية الارادة وأعني بذلك أن تكون في صدورها صارفة النظر عن الاغراض الذاتية والاميال الشخصية غير تبوعة لارادة الغير مالم يتفقا على خير حتى بذلك يخرج الناشئ عضوا قويا عاملا نافعا لنفسه وغيره وتتم حكمة الخالق جل شأنه في عباده وهو الهادي لاقوم طريق

خاتمــــــة

وان كنا فيما تقدم عند شرح نواميس علم النفس قد أعرنا التفاتنا ولاحظنا تطبيقها على أحوال الناشئ رأينا أن نتبع ذلك بملحوظات في نشأة الطفل بحسب الجسم والنفس فنقول

النشأة الجسمية

كلنا خبير بان الطفل عند ولادته مستكمل لجميع الاعصاب والاجهزة الانسانية غير أنها ذات لين بحيث لا يمكنه أن يقيم من قوامه فلا يقف أو يمشي ولكن بعد خمسة أشهر من ولادته يشرع في الجلوس والقعود وبعد مضي سنة يأخذ في الوقوف والمشي ولكن كل عظامه غض وفيه مرونة قابلة للالتواء

وفي أثناء السنة الثانية تيبس عظام الجمجمة شيأ فشيأ ولكن تبقى بها مواضع مرنة خصوصا بين عظام المفرق وخلف الرأس بحيث يجب تعهدها والتحفظ عليها تداركا لما عسى أن يلم بها وكذلك عظام الظهر فانها لا تتثبت سريعا بل شيأ فشيأ مع البطء بحيث يمكن في هذه الحال أن يعتريها الاعوجاج

والطول المتوسط (١) للطفل الحديث الولادة يبلغ نصف متر وثقله ستة أرطال ثم لا يزال يأخذ في الزيادة شيأ فشيأ الى بلوغه السبع سنين من عمره فيتضاعف طوله مرتين وثقله خمس مرات

(١) ينبغي لمأموري الصحة بالمديريات أن يلاحظوا طول وثقل الاطفال لدى ولادتهم وعند بلوغهم السنة السابعة من عمرهم ويرسلوا كشفا بذلك لادارة الصحة لاخذ متوسط المجموع لسكان الديار المصرية وزيادة على ذلك وان كان خارجا عن الموضوع ينبغي الكشف على سكان المديريات صغارهم وكبارهم من جهة طول اليدين والرجلين أو قصرهما وبعد ما بين المنكبين وصورة الرأس أهي آخذة في الطول أو العرض والجباه أهي مفرطحة أم لا وغير ذلك من العلامات التي يختص بها سكان كل مديرية فان ذلك مفيد للاطباء ولعلماء التاريخ اذا بحثوا عن الاسباب اهـ مؤلفه

أكثر مما كان عليه وقت ولادته ومن سن العشرين الى الاربع والعشرين يقف به حد الطول وأما عرضه فيكون قابلا للزيادة والنقص

النشأة النفسية

الطفل أوائل زمن الولادة يكون عديم الشعور والاحساس بما أحاط به من الاشياء والاشخاص ولكن بعد ستة أسابيع يتجه بصره الى الاشياء الساطعة اللامعة ويشرع الوجه فى البشاشة والميل الى التبسم ثم بعد قليل تنحو الاذن منه نحو المسموعات ثم حاسة اللمس ثم حاستا الشم والذوق ولكن جميع المؤثرات تكون غير واضحة لديه فى هذه الحال

ولذلك ينبغى أن نعرض عليه الاشياء المختلفة الهيولى كالاجسام صغيرها وكبيرها والصورة كالالوان ومن المسموعات كالموسيقى والغناء والكلام ومن الملموسات خشنها وناعمها وهكذا المشمومات ويحسن أن نجاهره باسماء الاشياء عند عرضها على حواسه لتنطبع فى حافظته شيأ فشيأ كما ينبغى تنبيه جسمه بتحريكه حركة منتظمة كما تفعله الامهات وأما تحريكه بواسطة المرجيحة المعهودة لدينا طلبا للنوم أو إلهاء له كيلا يصيح فقد أنكره علماء البيداجوجيا قائلين ان المرجيحة داعية الى الدوار أقول ان الحكم بانكارها أو الاقرار عليها يلزمه سابقية النظر والتأمل فى سبب ارتياح الطفل اليها وانقطاع صياحه بتحريكها فان كان سببه هو انصراف أفكاره الى استكشاف التأثير الذى انفعل به جسمه بواسطة التحريك فلنا أن نحكم بعدم ضررها لان الطفل فى هذه الحال يطمئن ويرتاح ويأنس بحكمة زوال الوحشة التى كان يجدها أولا واذا كان سببه تخدير الاجهزة الدماغية وستر شعوره بواسطة التحريك فلنا أن نحكم بضررها وبانكارها (١)

وفى السنة الثانية من عمره يسمع دعاء من حوله باسمه فيشعر بالفرق بينه وبين الاشياء الخارجية وتتهيأ حافظته الى انطباع صور الالفاظ والكلام وتتربى فيه التصورات وتتدرب حواسه على قوة ادراك المحسوسات كما يقوى شعوره بنفسه وتنبزغ ارادته الدالة عليها حركاته وأعماله

وفى السنة الثالثة من عمره الى السادسة منه لاتزال القوة المخيلة والعقل والارادة آخذة فى الزيادة شيأ فشيأ وتظهر لنا قوته المخيلة فى ألعابه وآلاتها حيث يمنحها تشخيصات حسب تخيله ويتبين لنا عقله من كلامه والارادة من تقليده لآخر ومن الميل الى العمل واللعب وفى هذا المقام ينبغى للمربى أن يلاحظ ويتبع ما سيأتى عند تعهده الطفل وأخذه بالتربية وذلك

---

(١) حيث ان معرفة ذلك موكولة لعلماء الطب فينبغى أخذ رأيهم فيه ثم اتباع ما يحكمون به اهـ مؤلفه

أن يطلب منه قليلا كما يمنعه قليلا متعهدا ميله الى العمل حتى يزيد ويقوى وأن يعوده زمنا فزمنا على الصواب في التكلم وعدم الخطأ في اعطاء الحروف مخارجها (ولست أقصد بذلك أن يتشدق في الالفاظ متبعا القواعد النحوية) معرضا به عن اللغو في الكلام والهزل والاستهزاء كالتنكيت والتبكيت وخلافهما وأن يأخذه بتربية الاخلاق الحسنة بواسطة تعويده على حب من حوله من أشقائه وأقربائه ثم أصحابه ورفقائه فغيرهم من الناس شيأ فشيأ وعلى الشفقة بالحيوانات المأنوس لها وأن لا يعامله بالقساوة ولا الخشونة فتخمد حواسه وتهبط آماله وتتكدر معيشته ولا يفزعه ويهدده فيقعد الدهر خائفا وجلا ولا يواجهه مقطب الوجه عبوسه فيستوحش منه ويتمنى الفرار من مقابلته بل يأخذه بالحسنى والتي هي أحسن كأنه له صديق حميم ويلين له الخطاب مستجلبا أنسه وفرحه حتى يميل ويطمئن اليه ويفرح برؤياه ويثق به وبأعماله فيخفض اليه جناح الطاعة ويستحسن ما استحسن ويستقبح ما استقبح

ويلزم أن يضبط فيه القوة المخيلة بواسطة الحكايات والقصص الجيدة الموضوع السليمة عن الدنايا وأعظم ما يتعهده به هو التعاليم الدينية وتعويده على أعمالها بأن لا يصل به الى حد الانجذاب أو التعصب

وحيث ان الطفل في هذه الحال يميل بطبعه الى كثرة الحركة والتسلي فيلزم أخذه بتربية الآداب في الحركة والسكون وشغله بألعاب ذات قيمة تعود على جسمه ونفسه بالنفع بان تكون آلات الالعاب موضوعة قصد التمرين الجسم أو تثقيف العقل

وأما حث الاطفال على الالعاب الخسيسة الدنيئة التي ربما غفرت لصدورها عن الصغير فضر جدا ويحسن بي أن أورد هنا ما ذكره أستاذي الشيخ حسين المرصفي بقوله

ومن الاساءة للصبيان ولاهلهم وللناس اهمالهم حتى تستحكم فيهم الميول الى ما يحاول صرفهم بعد عنه ويصعب كل الصعوبة وأشد اساءة من اهمالهم تدريبهم على خلال سيئة وأقوال شنيعة وأفعال منكرة يستحسنها منهم كافلوهم ويفرحون بصدورها عنهم لطفها من الصغير فتراهم يقولون له اشتم فلانا واضرب فلانة واتفل عليهم ويعلمونه أنه يتدحرج على الارض الى غير ذلك فاذا كبر وثقل ضربه وكثر شتمه وقطع ولعب الالعاب المستعقبة للضرر أو التلف أخذوا يمنعونه ويزجرونه وربما حبسوه وضربوه وهو لا يزداد الا رغبة فيما ينهى عنه فكان خير الهم لو ضبطوه في أول أمره وعرفوه ما ينفعه وما به يكون مستخفا على القلوب محبوبا للنفوس مرضيا للناس يثني عليه كل من رآه بالآداب وحسن الرباية فالبناء بأسه والشجرة بأصلها اه

وينبغي أن يكون ابتداء ارسال الاطفال الى المدرسة (١) اذا بلغوا السنة السادسة من عمرهم لاستمساك عظامهم في هذا الزمن ولكن يجب على المعلم ان لا ينسى أنهم لا يزالون أيضا في تلك الحال مرني العظام ليني الجسم

وينقسم زمن نشأة الطفل المدرسية من السنة السادسة فصاعدا الى ثلاث مراتب

المرتبــــة الاولى

(من الســـنة السادسة الى الثامنـــة)

وفيها يكون الناشئ ليس الاعينا مبصرة واذنا صاغية بمعنى أن لهاتين الحاستين فيه السلطان الاعظم لقوة ادراكهما وكثرة شغفهما باستكشاف المؤثرات عليهما ولذلك ينبغي للمربي أن يأخذ الناشـئة في هذه المرتبة بشرح بعض الاشياء الظاهرية الطبيعية والصناعية فالطبيعية كالاشجار والانهار والبحار والجبال وبعض خواص منها ثم الشمس والقمر والنجوم ومنافعها بحيث يكون التوضيح آخذا غايته من البساطة والسهولة في التعبير والحد الضابط لذلك أن يعتبر المعلم نفسه طفلا كأحدهم يخاطبهم على قدر عقولهم

وأما الاشياء الصناعية فليقتصر منها في هذه المرتبة على أهم الحاجيات الانسانية كأن يشرح لهم حكمة اتخاذنا المنازل والملابس وحرثنا الارض وزرعها وحصدها وأن كل ذلك من عمل الانسان فالمنازل يقيمها البناؤون والملابس ينسجها النساجون ويخيطها الخياطون والارض يحرثها الفلاحون الى غير ذلك

ويلزم أن لا يلقي عليهم ذلك أسئلة يكلفهم بالجواب عنها كأن يقول لهم لماذا اتخذنا الملابس فان الاطفال بمجرد سماعهم لذلك تضطرب أفكارهم ويشعرون باحساس غير ارتياحي يدعوهم الى الملل بحكمة شعورهم بالعجز وهبوط احساسهم بذاتهم كما تقدم بل ينبغي أن ينتهز الفرصة لكل موضوع ويستخدمها حسب أغراضه حتى بذلك تنشرح صدورهم باستكشافهم الحكم بدون سابقية انتظار أو تفكر والقاعدة لذلك أن تجعل الاشياء تابعة لحكمها كما لا يخفى

---

(١) تعيين الزمن لابتداء دخول الاطفال في المدارس موكول لعلماء الطب ويحسن بهم أن يلاحظوا ذلك ويعينوا له زمنا مخصوصا وليعلموا أني لم أعين السنة السادسة الا اتباعا لما قررته الاطباء الالمانيون ولا يخفى ان ذلك يختلف باختلاف الاقطار والوسط والعادات أيضا فنرى أن الآباء الالمانيين يأخذون أبناءهم قبل ادخالهم المدارس بأعمال وألعاب هي في الحقيقة مقدمة واستحضار للتعلم بالمدارس وحيث كان كذلك فينبغي ملاحظة ذلك بكل دقة وتعيين زمن لدخول الاطفال في المكاتب الاهلية بحيث يكون موافقا للطبيعة الجسمية والنفسية وللعادات الى أن تحسن تربيتنا وألعابنا المنزلية اهـ مؤلفه

وتربية البواعث الى العمل فيهم تكون بواسطة آلات لعبية وشغلهم بالكتابة والرسم وتعليمهم بعضا من الاعمال اليدوية واضبط الارادة فيهم ينبغي أن نبعث فيما بينهم الائتلاف والمحبة وحسن معاملة بعضهم البعض

المرتبـــة الثانية

(من الســـنة الثامنة الى الثانيـــة عشرة)

وفي هـذه المرتبة يقوى فكره وتشتغل مذكرته بتجديد كثيـر من التصورات التي هبطت بها الحافظة ولذلك يلزم أن نعرفه الارتباط بين الاشياء ومالها من المنافع وأن نلقي عليه دروس الاشياء مفصلة واضحة بحيث يكون ذلك كسرد حكايات مع عرض تلك الاشياء نفسها أو صورها أو وصفها لهم وصفا واضحا

وتمكين الناشـئة من كتب دروس الاشـياء أو طلب حفظهم لها عن ظهر قلب مما يثبط من هممهم ويذهب بالزمن سدى

المرتبـــة الثالثة

(من الســـنة الثانيـــة عشرة فصاعدا)

وفي هـذه المرتبة يقوى فكر الناشئ وعقله أكثر منهما في المرتبتين السابقتين بحيث يجد من نفسه قدرة ايقاع حكمه على الاشياء من جهة حسنها أو قبحها احقيقها أو باطلها

ولذلك نراه كثير الشغف بمعرفة الاشياء والارتباط بينها ليوليها الحكم حسب ما يراه فيستغرب شيأ ويضحك من آخر ويمنح شيأ تصديقه وآخر تكذيبه كل ذلك يصدر عنه حسب ما عرفته التجربة والاختبار

ويحسن في هـذه المرتبة أن نوسع من دائرة فكره بواسـطة شغله بمطالعة القصص والحكايات المنسجمة الاسلوب مع تنبيهه الى ما خالف منها الواقع والحقيقة وبواسطة عرض بعض الالغاز والمعميات عليه والحكم والامثال والنكات الادبية الحسنة كالتورية في الكلام والجناس في الالفاظ وتركه لان يحفظ رقيق الاشعار المشتملة على الحماسة أو الفخر أو الآداب وأحسن جامع لذلك هي الروايات المفرحة أو المحزنة التي تشخص الوقائع الدهرية والعصرية حتى تكون لديه مثالا ونموذجا ينسج على ما علمه منها ويزيد اختباره وسبره للامور ولكن يجب أن لا يمكن من مطالعة الروايات الغراميـة الزائدة في التهتك والصـبابة كيلا يهيم به الوجد فيوقعه في شباك الغرام ويصبح أسير الهيام اللهم الا اذا جاوز العشرين من عمره فلا بأس بمطالعته

الروايات الحميدة العاقبة ثم اتباعها بأخرى سيئتها تحت رعايتنا وملاحظتنا وذلك كله طلبا لرقة طباعه وليان عريكته ويحسن أيضا أن نعرض عليه الوقائع الوطنية خصوصا والعصرية عموما التى تأتى بها الجرائد فان ذلك داعية لتوسيع نطاق فكره وتبصره بالاحوال الدهرية

وحيث علمنا أن الناشئ فى هذه المرتبة شغوف بايقاع حكمه على الاشياء يلزم أن لا نطلب منه الحكم على ما كان عنه غريبا منها مجهولة لديه أصوله وأسبابه كما لا يخفى أن الحكم على الشئ فرع عن تصوره

ولتعلم أن الغلمان والبنات يفترقان فى هذه المرتبة أخلاقا وطباعا فالغلمان قويو الجاش والبنات ضعيفاته مختلفات المزاج يميلون هم الى العمل بحكمة قوة أجسامهم وأما هنّ فالى التفكر وعدم المبالاة والاكتراث بالاشياء الخارجية فى الغلمان أكثر منها فى البنات كما أن الاعجاب بالنفس وطلب استحسان الغير أزيد فيهنّ منها فى الغلمان واشتغالهم وأعمالهم تكون غالبا مقرونة بالتفكر وأما أعمالهنّ فتابعة لتخيلاتهنّ

وحنانة القلب والشفقة فيهم أقل منها فيهنّ والسبب فى ذلك ضعف جاشهنّ وفزعهنّ من الظواهر الطبيعية ويكون الاحساس بالشرف فيهم مائلا الى التكبر وأما فيهنّ فالى الاعجاب بالنفس يغلب عليهم العناد وعليهنّ الحيل الى غير ذلك من الطباع المختلفة فى الجنسين

ولقد دلت التجارب على أن أخذ البنات بالتربية يكون بواسطة التعويد وأما أخذ الغلمان بها فبالتعويد مع شرح الاسباب ونقائضها والسبب فى ذلك أن البنات كما علمت لينات العريكة بالفطرة سريعات الانقياد والتقليد وأما الغلمان فمائلون الى التسلط والغلبة والعناد بحيث لا يكفى فى تأديبهم التعويد ما لم نعززه بشرح الحكم والاسباب ونقائضها حتى يكون لهم وازع من أنفسهم تلك هى حكمته فتبارك الله أحسن الخالقين

القسم الثالث

علم الاخلاق

حيث علمنا مما تقدم من نواميس علم النفس كيفية صدور الاعمال عن الانسان وانفعالات نفسه بالآثار الظاهرية والباطنية وجب علينا أن نعرف ما هو المراد من تربيته وكيف يلزم أن يكون والذى يعلمنا ذلك كله هو علم الاخلاق أحد العلوم الحكمية ويبحث عن طباع الانسان وأخلاقه حسب ما شرحه علم النفس فيوضح حسنها للتحلى بها ورذيلها للتخلى عنها وموضوعه الانسان من حيث كونه مخلوقا أدبيا ومقصوده أن يزج به فى بحبوحة يتجلى عليه الخالق

جل شأنه فيها بصفتي الرضا والسلام وان شئت التوضيح فهو أن يصل به الى خطة يجد بها نفسه خيرا محضا حسن الاميال شريف الارادة حتى يقضي دنياه في عيشة راضية آمن النفس مطمئنها ويحظى بالنعيم المقيم في الآخرة والاصول التي تأسس عليها ذلك العلم هي أولا طبيعة الموجودات التي هي كما قيل المعلم الاول ثم حاجة الانسان ثانيا التعاليم الالهية التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام فان قلت وان لم تقله لماذا احتاج النوع الانساني الى جميع ذلك كله من أخذه بالتربية وتهذيب الاخلاق ولم لم يترك هو ونفسه كباقي الحيوانات أقول اليك نبأ أنت به عليم ان الانسان والحيوان وان جمعتهما وحدة الحيوية وتشاركا في بعض الخواص الطبيعيه كالشهوات والحاجة الى الغذاء الا أن الحيوان مخلوق جسمي لا ارادة له الا نمو مادته تنبعث أعماله عن أميال غريزية طبيعية وقتية تتصرف فيها يد الصدفة وأما الانسان فكما طبع الله فيه الشهوات والاحتياجات طلبا لنمو مادته الجسمية قدس من روحه وأوقف صدور أعماله على ارادة تسبقها أميال ويتوسطهما تأمل وتفكر فكان بذلك له السلطان الاعظم في الارض لشعوره بالقدرة والتسلط والتصرف متى أراد وضبط الاميال ودفع المساعي أن عس تصرفه الحكمة الالهية التي براه لاجلها الخالق جل شأنه وطلبا لتوصيله الى النعيم الابدي في هذه الدنيا وفي الآخرة لزم الاخذ على أيديه وتربية أخلاقه وتهذيب نفسه وقد اقتضت لذلك حكمته سبحانه أن قيض لنوع الانسان من اختارهم كامليه ليجوزوا به طريق الهدى وينحازوا به عن مهيع الضلال أولئك هم الرسل عليهم الصلاة والسلام قد أطلعوا الناس على واضحة الطريق آمرين بمكارم الاخلاق ناهين عن ذميمها

ثم ان الخلق عبارة عن حالة للنفس راسخة بها تصدر عنها الافعال مع السهولة بدون حاجة الى التفكر والروية فان صدرت عنها الافعال المحمودة سميت خلقا حسنا وان انبعثت عنها الاعمال القبيحة سميت خلقا سيئا ومن قولنا راسخة نعلم أن الافعال الصادرة لحاجة عارضة لا يسمى مصدرها خلقا فلا يقال للبخيل الذي بذل ماله لسبب ما عارض ان خلقه السخاء وهكذا ومن قولنا مع السهولة بدون حاجة الى التفكر والروية نعلم أن من يتكلف السكون عند الغضب مثلا مع صرف الجهد لا يكون خلقه الحلم الى غير ذلك

والخلق في النفس كالخلق في الجسم ويستعملان معا فيقال فلان حسن الخلق والخلق أي حسن الظاهر والباطن ولست أعني بذلك ما رآه بعض أولي البطالة ان الخلق الباطني لا يمكن تغييره كالخلق الظاهري فكما أن القصير لا يمكنه أن يجعل نفسه طويلا ولا الدميم جميلا كذلك البخيل لا يمكن أن يكون كريما وبالعكس فان ذلك لا يتصور لما علمت آنفا ان الانسان عادة

محضة كيف لا وهو أقرب بالفطرة الى التعويد من الحيوان اليه وقد أمكننا تغيير بعض أخلاق الحيوانات كالكلب من شره الاكل الى التأدب والفرس من الجماح الى الانقياد وغيرهما

وانما أقصد أنه كما أن حسن الصورة الظاهرية مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل بالجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك لا يتم حسن الصورة الباطنية الا اذا استكملت وحسنت بها الاخلاق جميعها

وأمهات محاسن الاخلاق أربع فضائل الامانة والعدل والاعتدال والشجاعة

ويدخل تحت ضد الامانة الذى هو الخيانة المكر والخداع والتبله والدهاء والعناد والكفر والشك والاشراك والتطير والغيرة

ويدخل تحت الظلم الذى هو ضد العدل حب النفس والاستئثار والطمع والبخل وحب الرئاسة والتسلط والافتخار وكفران النعم والغضب وحب الانتقام والحسد وما أشبه ذلك

ويندرج تحت ضد الاعتدال حب التمتع والامتلاء بالشرب والاكل والشره والحرص والتبذير والتقتير وخلافها

ويندرج تحت ضد الشجاعة الجبن والتكبر والتهور والعجب والذل والجزع والخساسة والوقاحة والريا والملق وغير ذلك

وليعلم أن الفضائل أواسط بين طرفى الافراط والتفريط كالسخاء فهو وسط بين التبذير والتقتير قال تعالى مثنيا والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والعفة فهى وسط بين الشره والجمود قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا والشجاعة وسط بين الجبن والتهور وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفيها ذميم وما توسطهما فضيلة قال الخطابى البستى

ولا تغل فى شئ من الامر واقتصد * كلا طرفى قصد الامور ذميم

ولكن يجب على المربى أن لا ينبه الناشئ أولا الى أن الفضائل أواسط بين طرفى الافراط والتفريط فربما جاوز الوسط الى حد الطرفين ظانا أنه اتخذ القدر المرخص له ويقدم له ذلك عذرا أمام دعواه بل يلزم أن يأخذه بالتعويد على الاخلاق الحسنة مبينا له أنها محمودة مطلقا وابعاده عن الاخلاق السيئة موضحا له أنها ذميمة مطلقا حتى لا يجد له باب عذر يقرعه أو طريق غرور يعبر به

وحيث ان الانسان موجود فى وسط يرى له فيه ارتباطا بنفسه وبالخالق جل شأنه بحكمة افتقاره اليه سبحانه وبالمخلوق بحكمة الاحتياج اليه فى التعرف والتعاون وأن ستعلق

الفضائل هو الانسان بالنسبة الى نفسه والى سيده والى غيره فالمقام يستدعى رسم ثلاثة أبواب الاول الانسان ونسبته الى نفسه الثانى الانسان ونسبته الى الله تعالى الثالث الانسان ونسبته الى غيره من المخلوقات ولنأت على كل منها بالتوضيح فنقول

الباب الاول

الانسان ونسبته الى نفسه

لقد تقدم لنا فى فصل الانا أن الانسان من أول الفطرة لا يشعر بذاته ولا يعرف الفرق بين جسمه ونفسه أو بين ذاته وذات أخرى الا بالتدريج بواسطة مرور الزمان وكثرة الاختبار وترقبه لاحواله الذاتية وأحوال غيره وأنه اذا انتهى به الاختبار يشعر بانه كون قائم بذاته وان كان يجد لنفسه أخلاقا وطباعا خاصة به بحيث يظهر له الفرق ظهورا واضحا بينه وبين غيره من الاشياء والاشخاص

ونقول هنا ان احساسه بنفسه من حيث كونه روحا عاقلة لا يتم الا بواسطة ثلاثة أشياء التعرف والشعور والارادة

أما التعرف فاعنى به تعرفه الحكمة وذلك ان الانسان بطبعه شغوف بمعرفة حقائق الاشياء على ماهى عليه فى الواقع ولو ترك هو ونفسه لا يقتصر على تعرف الكائنات فقط بل يجد من نفسه أيضا معنى يختلج فى صدره فيوليه الخوف تارة والانس طورا وأعنى بذلك معنى الالوهية الذى عنه يأخذ التعرف فى الزيادة ولكن ربما صادفته الهداية فتتكمل المعرفة أو العماية والضلالة فتنعكس جهلا ولاحتمال حصول الحالين اقتضت حكمته سبحانه أن يشرع عقل الانسان بنواميس الالوهية بواسطة الالهام والوحى ومن ذلك نعلم أن الانسان لا يتم تعرفه من ذات نفسه بل بواسطة الارشادات الالهية كما نعلم منه أيضا حكمة وجوب ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وأما الشعور فاقصد به احساس الانسان باحوال نفسه من حيث كونه احساسا ارتياحيا أو غيره فالاول هو الاحساس بالرضا عن النفس والسرور بها سواء اتفقا على خير أو شر والثانى الاحساس بالسخط عليها أو احساس الانسان باحوال نفسه مطلقا مع تطبيقها على أحوال غيره من المخلوقات أجمعها ما الالفة أو النفور وفى هذا المقام يرى الانسان نفسه اما خيرا أو شرا أو جامعا بينهما

ولتعلم أن الحكماء قد تضاربت أقوالهم فى أن الانسان مفطور على الخير أو الشر وأفردوا فى ذلك مؤلفات ويعجبنى ما ذهب اليه بعض حكماء العرب الى أن الانسان مفطور على الخير والشر معا وأنه أقرب الى الخير منه الى الشر قالوا لان الانسان من جملة العالم وقد دل اختبار العالم أنه اذا قابلت المنافع بالمضار تجد المنافع أكثر واذا قابلت الشر بالخير تجد الخير أكثر والى ذلك أشار الله تعالى بقوله انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون أى انى أعلم أن هذا النوع يناسب الحكمة لان الخير فيه كثير ونقل شارح المواقف عن بعض الحكماء أن الموجود اما خير محض لا شر فيه أصلا كالعقول والافلاك واما الخير غالب فيه كما فى العالم تلك هى حكمته سبحانه ولو شاء لآتى كل نفس هداها ولكن حق القول منه جل شأنه وعز سلطانه

وأما تمام احساس الانسان بنفسه بواسطة الارادة فلأنه يرى نفسه حر الارادة يقبل ويمنع ويحصل ويدفع

والارادة فى هذا المقام قسمان ارادة حميدة وارادة ذميمة فالاولى هى التى يكون صاحبها مائلا بها الى فضائل الاعمال ويتصف بالهداية لدى العمل الخيرى وبالعماية لدى اقتراف المساوى والثانية هى المطروح لها الزمام تسوقها الاميال السيئة وتقودها الشهوات غير مكترثة بدواعى الخير مغالطة النفس حتى تصير شرا محضا ويتصف صاحبها بسوء الخلق وخلق السوء وعلى كلا الحالين فارادة الانسان لا يمكنها الهداية من ذات نفسها فهى فى الحالة الاولى ربما تعدت الحدود فاقترفت الذنوب وان كانت فى الواقع ذات خير وهى فى الحالة الثانية شر محض ولذلك وجب ربطها بارادة مقدسة وهى ارادة الله سبحانه وتعالى

ثم ان احساس الانسان بنفسه من حيث كونه جسما ماديا فيتقدم تعرفه بأحوال الروحية كما علمت أولا وذلك لسرعة قبول الجسم للآثار الظاهرية وأما احساسه به من حيث كونه آلة تخدم الروح فيكون بعد ذلك ومع علم الانسان فى هذا المقام بنسبة الجسم الى النفس من حيث انه خادم لها وأن لها السلطان الاعظم عليه نرى أن السلطة الروحية ربما ضعف نفوذها فى الجسم فينقلب المخدوم خادما والمحكوم حاكما ويقوى سلطان الجسم الطالب للتمتع بالشهوات البدنية الى أن يوقع صاحبه فى الامراض أو يلقى به الى مخالب المنية

ولذلك يهمنا حال التربية المبادرة بتربية النسبة بين الجسم والروح وربطهما معا وتربية السلطة الروحية على الجسم بأن نقصد فى التربية أن يكون الجسم مثالا لمحاسن الروح والظاهر نموذجا للباطن ويحصل ذلك بتعليم الناشئة الحرص على الصحة والشغف بالعمل

وتمرين حواسهم الجسمية حتى يقوى قبولها للآثار الظاهرية وتعويد أعضائهم على سرعة الحركة كي تكون نشيطة وذلك بواسطة الاشتغال والرياضة البدنية والالعاب التي تطلب حركة الجسم وتربية حسن الحركة والسكون عند الجلوس أو القيام أو السير وعند التكلم وتعليمهم المحافظة على النظافة التي هي أول ما يجب أخذهم بها أول النشأة لان المحافظة على نظافة الظاهر دليل على نظافة الباطن غالبا وكل منهما يدعو الآخر وبتربية الذوق السليم فيهم بأن نتركهم ليختاروا أقمشة ملابسهم وأدوات أشغالهم وزينتهم فان الناشئ بواسطة ذلك كله يشعر شيأ فشيأ بأنه سيد لجسمه ذو سلطان عليه يتصرف فيه ويعلم أن الجسم محتاج لتعهده وشموله بانظاره وحفظه

وشعور الانسان بالائتلاف بين الروح والجسم وباتصافه بالفضائل والآداب بمعنى أن تكون له أخلاق تصدر عنها الاعمال بدون تفكر وروية لا يكون الا في المرتبة الثالثة من نشأته وتلك المرتبة هي أوان الرشد ولذلك جعله الشرع الشريف أجل التكليف لتمام شعور الانسان في هذه المرتبة بجسمه وبنفسه وبالنسبة بينهما فيجد أنه قابل للقيام بالنفس قادر على اهداء نفسه أو اضلالها وأما هو في المرتبة الاولى التي هي زمن الطفولة فلا يعرف الخير من الشر ولا النافع من الضار وان كنا نجد له بالفطرة ميلا وإباء وأخلاقا حسنة أو غيرها كحبه أحدا وبغضه آخر وسروره وغضبه وخلاف ذلك وأما هو في المرتبة الثانية بعد زمن الطفولة وقبل أوان الرشد فانه وان كان له شعور بنفسه وباحوالها وبالفضائل والرذائل فشعوره هذا ليس ثابتا متمكنا ولذلك كانت هذه المرتبة أهم المراتب من حيث أخذه بتربية الاخلاق والآداب

وقد يغلب على الانسان في المرتبة الثالثة أو بعدها أحد الامزجة الاربعة فيكسبه أخلاقا جيدة أو ذميمة وهذه الامزجة هي الدم والصفراء والبلغم والسوداء

فالدموي تراه سريع الانفعال بالآثار الظاهرية شغوفا بقبولها ومن ذميم أخلاقه الطيش وقلة الرزانة ومن جيدها البشاشة واقتسام السرور والشفقة

والصفراوي أسرع انفعالا بالآثار الظاهرية ولكنه ذو قوة على مصادمتها فلديه خاصتا الفعل والانفعال ومن أخلاقه الشجاعة والقدرة على العمل كما يغلب عليه الغضب والقساوة

والبلغمي قليل الانفعال بالآثار الظاهرية لا يعيرها التفاته والمذموم من أخلاقه استواء الامور لديه وجودا وعدما وضعف الحس ولكن الصبر أهم أخلاقه

والسوداوى قليل الانفعال بالآثار الظاهرية أيضا ولكن يحصر ماقبله منها فى نفسه ومن معايبه الميل الى الوحدة والتعمق فى الفكر والحزن ومن فضائله ثقابة الفكر وحدته والامانة والميل الى الحق

وكثيرا مانرى انسانا جامعا لهذه الامزجة جميعها أو بعضها فيظهر تارة بمظهر أحدها وطورا بمظهر آخر وعلى كل فالانسان قابل لغلبة أحدها عليه ولكن حصولها له لايكون الا بواسطة اكتسابه وهو قادر بعد تغلبها على مصادمتها اودفعها يدلنا على ذلك أن الشرع والعقل لم يعتبرا هذه الامزجة أعذارا للمصادر عنها فلا يتخلص الانسان مما صدر عن غضبه بكونه صفراويا ومما حصل عن الطيش بكونه دمويا وهكذا فهو هو الانسان كما يريد يكون

ويوجد أخلاق وطباع مفطور عليها الانسان تختلف فى الذكور والاناث فالرجل يقبل الآثار مع القدرة على المصادمة والعمل وأما المرأة فبخلافه تزيد فيه قوتا الفكر والارادة وأما فيها فقوة الاحساس يميل هو الى القيام بالنفس وأما هى فالى مساعدة الغير ومع ذلك كله فهما متساويان فى المعاملة فلا تعامل المرأة لضعفها معاملة الرقيق بل معاملة الصديق كما أن الرجل لقوته لايكون جبارا ظالما بل عادلا حارسا لها الى غير ذلك مما تقتضيه آداب المعاملة الانسانية

الباب الثانى

الانسان ونسبته الى الله تعالى

لقد أتينا بالكلام فى الباب الاول على أن الانسان عند تعرفه الاشياء يختلج فى صدره معنى يوليه الخوف تارة والانس طورا وأن ذلك هو معنى الالوهية ولنأت هنا بتوضيح ذلك فنقول

ان التعرف بالالوهية لايحتاج الى مرشد خارجى بل هو حاصل بالفطرة والطبيعة وذلك انا لو تركنا طفلا صغيرا فى بيداء مثلا وفرضنا بقاءه ونموه حتى يكبر وينشو فبحكمة ماوضعه الله فيه من العقل والفكر لامحالة يعمل أفكاره بالطبع فى تعرف الفرق بينه وبين الكون الذى أحاط به من الاشجار والمياه والحيوانات والسماء والكواكب الى غير ذلك ثم اذا عرف الفرق يأخذ فى التفكر فى معرفة السبب حتى تشرق عليه معنى الالوهية لاسيما اذا عزز ذلك شعوره بأنه قادر على العمل يحدث أشياء لم تكن قبل فانه يأخذ من ذلك قياسا ينتج منه وجود صانع قادر قد خلق هذا الكون وبرأه

وبحكمة أن مدلول معنى الالوهية صعب الادراك وأن فكر الانسان قاصر عن التعرف به نعلم سبب اختلاف الامم السالفة في ادراكه فمنهم من جعل مدلوله الشمس ومنهم الاصنام ومنهم النار وغيرهم حيوانات مخصوصة الى غير ذلك

فاذن ينتج أن تعرف الالوهية لايحتاج الى مرشد خارجي وأنه حاصل من الانسان بالفطرة وأن تعيين المعبود الحق جل شأنه هو المحتاج لامحالة الى الارشاد ولم يكن ذلك الابهدايته سبحانه على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ليتمموا معرفة الانسان به عز وجل فيهتدى بهديه وينتهى بنهيه كى يحظى بالنعيم الابدى المقيم وأهم ماهدتنا اليه الرسل لاسيما نبينا عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم هو محبة الله جل شأنه وقد جعلها الشارع عليه الصلاة والسلام شرطا فى الايمان بقوله لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وقال تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله ويحسن بنا أن نوضح معنى المحبة من جهة اطلاقها ثم تخصيصها بموضوعنا هذا فنقول

الحب عبارة عن الميل بالطبع الى الشئ والمحبوب هو كل ما فى ادراكه لذة وراحة للمدرك والحب اما أن يكون لحظ وفائدة عائدين من المحبوب على الحبيب أو لذات المحبوب لا لحظ ولا لفائدة

أما الاول فهو أن يكون السبب فيه مايعود على دوام بقاء الانسان أو كماله من المحبوب كحب الانسان المال والولد والاقارب والعشيرة والاصدقاء والغريب المحسن اليه فحبه للمال لانه آلة فى دوام وجوده وحبه الولد وان كان لاينال منه حظ فلانه جزء منه وأن بقاء نسله نوع بقاء له وحبه الاقارب والعشيرة والاصدقاء يرجع الى كمال نفسه حيث يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم فهم كالجناح المكمل له وحبه لمن أحسن اليه راجع الى دوام البقاء والكمال وقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها ويختلف مقدار هذا الحب زيادة ونقصانا بحسب زيادة الاحسان أو نقصانه

وأما الثانى فهو مايكون سببه ذات المحبوب لاشئ وراءها فتكون الذات هى عين الحظ وهذا هو الحب الحقيقى الموثوق بدوامه وذلك كحب الجمال فان فى ادراكه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها ويدخل تحت ذلك محاسن الطبيعة والصناعة كالخضرة والماء والازهار والالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل وغير ذلك

ولتعلم أن الجمال ليس مقصورا على المحسوسات المدركة بالبصر وان كان يفهم منه ذلك عند اطلاقه بل يوجد فى المدركات بالبصيرة أيضا حيث ان الجمال فيهما واحد وهو الكمال وذلك

لان الكمال هو الذى جعل الشئ المحسوس بالبصر محبوبا بما عهد ناضده فى الدميم وهو الذى صير الشئ الجيد المدرك بالبصيرة محبوبا بما عهدنا نقيضه فى الذميم

وينتج من ذلك أن الاخلاق الجيدة والفضائل محبوبة لذاتها وأن الموصوف بها محبوب بالطبع وأنه كما يكون الحب فى الصور الظاهرة يكون فى الصور الباطنة وذلك كحبنا الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة والعلماء العاملين والملوك العادلين وعامة الناس المتصفين بجميل الاخلاق وحميد الخصال فليس حبهم لفائدة عائدة على المحب وانما هو لكمال ذاتهم وأما حبنا الله سبحانه وتعالى فراجع الى جميع ذلك كله لانه تعالى سبب فى الوجود والدوام والاحسان ومظهر الجمال والكمال ومن هنا اختلف حب العباد له سبحانه مقدارا او كيفية فنهم من يحبه لاحسانه والنعيم ومنهم من يحبه لكونه تعالى مظهر الجمال والكمال وهذا هو الحب الحقيقى الذى هام به أهلوه الأولى أشرقت عليهم شمس الحكمة فطربوا لها فلم يعبدوه خوفا من النار أو حبا للجنة قال بعضهم

وهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

وقالت رابعة العدويه وقد شربت من الكاسين

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاكا
فاما الذى هو حب الهوى * فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد لى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وأهم بحث موضوعنا هذا هو أية طريق من هاتين الطريقين نأخذها فى تربية الناشئة أبعث محبة الله فيهم لاحسانه تعالى أم لذاته جل شأنه والاحسن أن نأخذ وسطا بينهما فكما نلقى فى قلوبهم محبته سبحانه لكونه محسنا منعما كذلك نبعثها فيهم لذاته لكونه عز وجل كل الخير ومصدره حتى يتطرق ذلك الى محبتهم فضائل الاعمال وجميل الاخلاق لذاتها لا لما يترتب عليها من الثواب فقط وذلك طلبا التكميل معرفتهم والانسان الكامل هو مار أى الخير كله فيما أمر به سبحانه فاتبعه والشر كله فيما نهى عنه فابتعد عنه وهذا المقام هو أجل المقامين ففرق بين من يعطى الفقير الصدقة طلبا لاضعافها ومن يعطيها حبا فى الكمال ولكون مساعدة الفقير فضيلة وخلقا حميدا ناشئا عن الشفقة واقتسام الحزن ولكونها صفة من صفاته تعالى

ليس يعطيك للرجاء ولا للخوف لكن يلذ طعم العطاء

ومثل ذلك الفرق بين أن لا يسرق خوفا من العقاب أو لكون السرقة فعلا ذميما في نفسه ناشئا عن الظلم

والحد الضابط لنا أن نعلم أن الثواب الدنيوى والاخروى كما يكون على عمل الخير يكون كذلك على التعرف به وأن الاعمال بالنيات وعلى قدرها يكون الجزاء

وكيفية توصيل ذلك الى الناشئة أن يقال لهم مثلا ما معناه السرقة خلق مذموم لانها الظلم بعينه فكما لا تحبون أن يسرق منكم لا يحب الآخر أن تسرقوا منه ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عنها لان من صفاته العدل وهي من نقائضه وبحكمة حبنا الله يلزم أن نتصف بصفاته فاباؤنا عن السرقة داعية للثواب والرضاء وأى شئ أعظم من رضاء الله تعالى وفعلنا السرقة داعية للعقاب والسخط وأى شئ أصعب من سخط الله تعالى والبعد عنه

وعلى هذا المنوال فلينسج الناسجون ولست أقصد بما ذكرته أن يجعل فنا مخصوصا يدرس فى المدارس كلا بل يلزم أن تحمل الآباء مؤنة ذلك عن المدرسة بان يلقوه على أبنائهم شيأ فشيأ عند سنوح الفرصة ضمن أحاديثهم وفكاهاتهم كيلا يظنوه علما يتجشمون حفظ قواعده فتتثبط هممهم نحوه

الباب الثالث

الانسان ونسبته الى غيره من المخلوقات

قد اقتضت الحكمة الالهية أن يكون للانسان السلطان والتصرف فى الارض لا لان يكون ظالما جبارا بل عادلا يستعمل الكائنات فيما خلقت لاجله بالقدر الذى يقتضيه العدل وناموس الحكمة وحيث ان الانسان نوع ذو أفراد محتاج بالفطرة الى نمو المادة وأنه ليس فى طاقة الواحد الحصول على ما تنمو به مادته من الحاجيات اندفع بالطبع الى طلب المساعدة والائتلاف بأبناء جنسه وهذا معنى قولهم الانسان مدنى بالطبع ولكن بحكمة ما جبل عليه من الطمع والشره وحب الاستئثار بالمنافع وقع فى الخصومة والنفور مع أبناء جنسه فهى الافراد ما بين مساعدة تقتضى ألفة وتسابق يقتضى عداوة

وحيث ان علم الاخلاق لا يبحث فى هذا الموضوع الا من جهة آداب التعارف والحقوق الاجتماعية فلنقتصر على تبيينها فنقول

لتعلم أن الانسانية كجسم واحد أعضاؤه الافراد بحيث هم متساوون فى الحقوق الانسانية لا يزيد أحدهم على الآخر فيها وأن الفارق لهم ليس الا أمرا خارجيا ولذلك كان الاستعباد

والاسترقاق الباسل والاستبداد مما ينافي الآداب الانسانية لان كل ذلك صادر عن التغلب والتسلط والظلم ولو أمعنا النظر لالفينا أن الاحكام الشرعية والسياسية القائم بتنفيذها الحكومة ليست الا لان تحفظ ناموس هذا التساوي بين أفراد نوع الانسان حتى يكون راعي الغنم في الصحاري وساكن القصور في المدن سيين في الحقوق الانسانية العامة وتقرر آداب الاجتماع حسب اختلاف أحواله حتى لا تحيد الافراد عن مراكزها

وللاجتماع والتعارف ثلاث دوائر نتكلم عليها فنقول

الدائرة الاولى

العائلة

هي وان كانت أخص المجتمعات فهي أصلها وأقرب للانسان من غيرها وتنتظم كما تعلم من زوجين متآلفين يأنس كل منهما الى الآخر والازدواج الادبي هو ما يكون ملحوظا فيه الى الحكمة الالهية التي هي طلب العفة والتكثير وما وراء ذلك من قضاء الاميال الجسمية فخارج عن مقصد الآداب وان كان ذلك هو الباعث الطبيعي ومن دواعي الازدواج طلب مصافاة النفوس والانس والتعاون وغير ذلك من الصفات الفضيلة التي تؤذن بصفاء العيش وابتهاج النفس ولا يصدر ذلك الا عن ثابت محبة بين الزوجين لذاتهما وقد علمت أولا أن المحبة للذات اما أن تكون لجمال الخلق أو كمال الخلق ولكن نعلم أن المحبة المنبعثة عن جمال الخلق والظاهر التي وراءها الاخلاق الذميمة قل أن تصل بالانسان الى غاية محمودة بخلاف التي تنبعث عن كمال الاخلاق وحسن السجايا ولو كان دونها دمامة الخلق

وأهم الخصال الجيدة بينهما هي الثقة ببعضهما في جميع الاحوال ومتى نفدت الثقة انحلت عرى النسبة بينهما وعاشا مفترقين أهواء مجتمعين أجساما ولولا ما شرع الله من الطلاق لتفاقم الامر وعز الصبر ولذلك كان اختيار الزوجين لبعضهما في الامم السالفة لاسيما الامة العربية من أهم الامور فكان العربي يقطع المراحل لاستوصاف خطيبته ويقصد الخبير بشأنها الدربة المجرب الذي عجم عود الايام ليلقي عليه من وصفها فيأخذ في سرد شمائلها من جمال الظاهر وكمال الباطن وحسن السجايا التي يجب أن تكون عليها النساء وقتئذ وكذلك هي عند استوصافها الزوج فكان لا مطمح لنظرهما الا الصفات الجميلة من الكرم والمجد والشجاعة والعفاف قال الرياشي لبنيه ممتنا

فأول احساني اليكم تخيري * لماجدة الاعراق باد عفافها

ولتعلم أن الزوج والزوجة سيان فى الحقوق ومتساويان فى المعاملة فكما أنه سيد العائلة لكونه أقوى جاسا وأشد باسا وأوسع تصرفا كذلك هى رئيسة أموره لتدبيرها المنزل ونظرها فى مصالحه وجلبها الراحته فاسترقاقه اياها أو صرفها فى خدمته الخارجة عن حقوقه ضد العدل مناف للآداب حطة فى الانسانية خدش لناموس الحياء وكما أنهما تقتسمه الحزن والسرور تقتسمه كذلك الخيرات المنزلية فلا حق له فى اختصاصه بأطايبها أو استئثاره بها نفسه ولو رضيت الزوجة

وتقوى النسبة بين الزوج والزوجة اذا صارا أبوين لاتحادهما على أمر واحد وهو التربية وفى هذه المرتبة تتم العائلة وتزيد الحقوق فتكون ثلاثة حقوق الابناء على الآباء وحقوق الآباء على الابناء وحقوق الابناء على بعضهما

فأما حقوق الابناء على الآباء فهو الاعتناء بالتربية الجسمية والعقلية وطبع محاسن الاخلاق وجميل الصفات وتعليمهم التعاليم الدينية مع تمرينهم على العمل بها وأخذهم بالرفق والتودد لا بالقساوة والتخويف والتسوية بين الاشقاء وبعث المحبة فيما بينهم وتعويدهم على اقتسام الحزن والسرور بعضهم البعض وهديهم الى ما يصلح معاشهم من بعدهم والمحافظة على ذلك كله وعدم التفريط فيه فهذا ما يجب على الآباء للابناء ويلزم أن يحملوا مؤونة ذلك عن المدرسة فليست المدرسة الا لتثقيف العقل وضبط الآداب الاجتماعية الوقتية ومهما كان من أمرها فليس نفوذها على الناشئة باعظم من نفوذ الآباء عليهم

وأما حقوق الآباء على الابناء فهى الطاعة وخفض جناح التواضع والاحترام والتعظيم من قدرهم والثقة بهم والاحسان فى المعاملة اليهم ومساعدتهم والشكر على أنعمهم والخشية لا الخوف منهم وبالجملة فلتعلم الابناء أن الآباء هم فى المنزلة الثانية بعد منزلته سبحانه وتعالى وأنعم بها من منزلة سامية

وأما حقوق الابناء على بعضهم فالحب والاحترام والشفقة والعدل فى المعاملة وصفاء السريرة والمساعدة وغير ذلك وما يكون منهم منافيا للآداب والمعاملة كظلم أحدهم الآخر أو الاضرار به فموكول لعقاب الآباء متبعين العدل والانصاف مع الاحتراس والحيلة كيلا يظن من يستحق العقاب منهم أنه أدنى درجة من أشقائه أو من له الحق أن له الفضيلة عليه

وحيث علمنا مما قدمناه أن جميع حقوق العائلة مرتبطة بالآباء وأنهم هم المطالبون بتأسيس قواعدها وأن من واجبات الرجل حسن التصرف وحفظ الناموس المنزلى والمحافظة على

النسبة بين أفراد العائلة وأن من واجبات المرأة تدبير المنزل والسعي في مصالحه نعلم أن ذلك كله يستحيل صدوره عن زوجين بسيطين عقلا وعلما لم تحنكهما التجارب ولم تهذهما الحكمة بل عن زوج متأدب عارف بنفسه عادل عالم بالحقوق والآداب الانسانية خبير بأحوال المعيشة وعن زوجة عاقلة عفيفة راضية أنيسة نشيطة عارفة بطرق الاقتصاد قادرة على القيام بواجبات العائلة خبيرة بكيفية التربية جسما وعقلا حسنة الاخلاق وهكذا أيكون ذلك منهما عفوا أم يصدر عنهما بالطبيعة الاصلية والفطرة الاولى كلا بل بالمجاهدة والتربية والتعليم فكيف يطلب من الزوج أن يكون أديبا اذا لم يتأدب أو يكون عالما بالحقوق اذا لم يتعلم أو خبيرا بأحوال المعيشة اذا كان حائرا بين المعاش والمعاد أو عادلا اذا كان ظالما لنفسه بالجهل أم كيف يرجى من الزوجة أن تكون مقتصدة اذا لم تعرف معنى الاقتصاد ولم يطرق سمعها لفظه أو تكون مربية للجسم والعقل اذا كانت جاهلة بالنسبة بينهما وبالمقصود من التربية

فاذن نعلم أن تربية الابناء سواء الذكور منهم والاناث وتعليمهم العلوم والآداب من أول واجب على كل أمة تريد صلاحها وتقدمها وانخلاعها عن جلباب البساطة وانقاذ أفرادها من مهالك الجهل والتوحش والانحيازبهم الى جانب التمدن والحضارة حتى تكمل النسبة بين الرجل والمرأة ويقوى تعارفهما وتتأكد ألفتهما وثقتهما ويكون مجموعهما تمثالا للخير وصورة للآداب التي يبعثانها في أبنائهم وتكون العائلة مثالا للمجتمعات الخارجية ونموذجا للوطن ومثوالا للامة

وهي العائلة بالآباء خيرها بخيرهم وشرها بشرهم

اذا كان رب البيت بالدف مولعا * فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وكما تكون الآباء تنشأ الابناء فلا يستخرج من الحديد الذهب ولا يجنى من الشوك العنب

ينشو الصغير على ما كان والده * ان الاصول عليها ينبت الشجر

الدائرة الثانيـــه

الصحبــــة

قد أطنب الاقدمون والمتأخرون في الصحبة وآدابها والاخوان وأحوالهم وملؤا بها بطون الدفاتر والاسفار وأما نحن فيحسن بنا أن لا نأتي الا بالمهم في موضوعنا على وجه الاختصار ناظرين في بيانها الى الطبيعة والخارج فنقول

الصحبة كلمة أفصح من ان يعبر عنها وان شئت البيان فقل هي حالة أو نسبة بينك وبين آخر منشؤها ميل طبيعي أو كسبي وهي حالة مطلوبة مستحسنة دليل على كمال فطرة الانسان وأصله من اندفاعه بالطبع الى التعارف بها يكون الانس وتحيا النفوس وتتصافى القلوب

وتنقسم باعتبار منشئها الى قسمين فان حصلت عن الميل الطبيعي سميت صحبة اتفاقية وان حصلت عن القصد سميت صحبة اكتسابية . فالاولى مايكون سببها التجانس والتشاكل امافي الاحوال النفسية أو الخارجية فالاحوال النفسية كالاخلاق والطباع أو غيرها من الاحوال التي لاتزال خفية عن ادراك الانسان والى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم بقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف وقيل

ولا يألف الانسان الا نظيره * وكل امرئ يصبو الى من يشاكله

وقال غيره

وقائل كيف تفارقتما * فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته * والناس أشكال وآلاف

ومن هذا النوع عشق الانسان غير الجميل الصورة والاخلاق فان سببه ليس الا الاحوال النفسية التي لايكاد يعبر عنها اللسان حتى انك اذا لمته عليه لايدري بم يعتذر وغايته أن يقول لك لو كنت مثلي لعشقته ولذلك صار العذل مكروها للعاشق وحكمة أنه يجد من نفسه لطفا ومن قلبه رقة يظن أن العاذل عديم الاحساس ضعيف الفطرة الانسانية بسيط النفس قاسي القلب

جاء بعض الاعراب الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان امرأتي لاترد يد لامس يارسول الله فقال له طلقها فقال اني أحبها فقال له امسكها فلم يكن أمره له صلى الله عليه وسلم بامساكها الا لعلمه بان بينهما ائتلافا نفسانيا لايمكن انفصامه ولو أمره صلى الله عليه وسلم بطلاقها فطلقها لتدعوه لامحالة الجاذبية النفسانية الى الوقوع بها ومعصية الله فيها

وأما الاحوال الخارجية فهي الاغراض والمقاصد سواء حميدها أو ذميمها فالحميدة هي الصناعة والتجارة والعلم فترى غالبا العالم يميل الى صحبة العالم والصانع الى الصانع والتاجر الى التاجر ويغلب اقتصار هذا النوع واختصاصه حسب اختلاف أنواع الدواعي كصحبة النجار للنجار والحداد للحداد وكصحبة بائع الكتب لمثله وبائع الاقمشة لشبيهه وكصحبة النحوي للنحوي والفقيه للفقيه والاديب للاديب وهكذا وأما ذميمها فالافعال الشريرة

كصحبة العاهرات ومدمني الشرب ولاعبي القمار واللصوص وقطاع الطريق ومحركي الفتن وخلافهم

وأما الصحبة الاكتسابية فهي ثنتان صحبة تحصل عن الرغبة كصحبتك انسانا فاضلا تتوسم فيه الجميل ومكارم الاخلاق وصحبة تحصل عن الحاجة وهي ثلاثة أنواع الاولى ما يكون سببها الاحتياج الى الانس وزوال الوحشة الثانية ما يكون سببها الاحتياج الى العلم أو المال الثالثة ما يكون سببها الاحتياج الى التناصر والتآزر

وحيث علمت أن هذه الصحبة على اختلاف أنواعها لا تحصل الا عن القصد والارادة ينبغي لمن يريد الكمال أن لا يلقي بنفسه الى المهالك بصحبة الاشرار أو ذميمي الاخلاق والطباع بل يجب عليه أن ينتقد ويسبر حتى يخبر بقدر طاقته لان الاختبار والاختيار من الصعب على الانسان

ويجب على الآباء أن يتخيروا لابنائهم الاصحاب ويتعهدوهم ويلاحظوهم في جميع الاحوال بقدر الامكان

وبما أن صحبة التلامذة بعضهم لبعض لا يسبقها اختبار أو اختيار يحسن بناظري المدارس ومعلميها أن يعتنوا ويعيروا التفاتهم نحو أحوال التلامذة بأن يتتبعوا منهم سيئي الاخلاق والمشارب والعادات التي تحط بالآداب الباطنية والظاهرية وأن يأخذوهم بالتربية حتى اذا لم تنجع في أحدهم بادروا بطرده ايثارا للمنفعة العامة

وأما حقوق الاصحاب على بعضهم فالتعاون والتناصر على الخير والصداقة وخلوص النية وكتم السر وحسن المعاشرة واعظام القدر في الحضرة والغيبة والبر في القرب والبعد

واني لاستحي أخي أن أبره * قريبا وأن أجفوه وهو بعيد

وأن يعلم الكبير أن صاحبه الصغير محتاج الى التربية فلا يعامله بسوء الاخلاق وأن يعلم الصغير أنه محتاج الى التعلم والتأدب ويلزمهم التغافل عن بعض الهفوات فالانسان لا يبلغ كماله

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

والعفو عن بعض الزلات طلبا للبقاء

اذا أنت لم تترك أخاك وزلة * اذا زلها أوشكتما أن تفرقا

والمطلوب الادبي من الاصحاب الذين جمعتهم جامعة الصناعة أو التجارة أو العلم أن يتناصروا ويتآزروا على توسيع نطاق مقصودهم وتسهيل المقاصد اليه وجذب قلوب الناس نحوه وقد فاتنا الكلام على نوع من الصحبة وهي صحبة الاجسام مع افتراق النفوس كالتي هي بين

أناس تضطرهم المعائش أو الآداب الى المخالطة والمعاشرة وهذا النوع أشد وقعا من الاسنة في قلوب الرجال قال القائل

يفارقني من لا أطيق فراقه * ويصحبني في الناس من لا أطيقه

والذي ينبغي لمن بلي بمثل هذه الصحبة أن يجاهد نفسه في انتهاز الفرص للتحاب والتواد القلبيين كي تصدر معاملته عن القلب لا عن الظاهر فتكون متصنعة والتصنع رأس كل بلاء فبه يقع الانسان في التملق والخداع والكذب وخلاف ذلك من المساوي

وليعلم أنه ان لم يألف رفيقه لخلق ذميم فيه فليحتل في مداواته وله الفضل أو لامر ظاهري دنيوي فليلاحظ أن ايثار كمال النفس أعظم من ايثار الامور الدنيوية فاذا لم يجد من رفيقه شيأ من ذلك فليعد الى نفسه وليترقبها وليصلح مما استكشفه من أحوالها

الدائرة الثالثة

الوطنيه

هي حالة طائفة من الامة يجمعهم جزء مخصوص من الارض لامضاء مقتضيات الطبيعة وحصولها طبيعي بحكمة احتياج أفراد الانسان الى التعاون في حصولهم على حاجياتهم وكمالياتهم والحاجيات اما أن تكون حاجيات بالاصالة وهي الغذاء والمسكن والملبس أو بالواسطة وهي الزراعة والصناعة والتجارة والادارة والكماليات ما زاد عن الحاجة وكان متمما لها كالتحسين في أنواعها وينقسم مجموع الامة قياسا على ما تقدم الى طائفة تزرع وأخرى تصنع وقوم يوصل منافع الطائفتين لبعضهما ثم الى جماعة تسهل مقاصد تلك الجماعات وتذب عنها وتحفظ حدود كل منها وهم أولوا الحكومة

وان شئت قلت ان الامة لها ثلاث وظائف وظيفة التعيش ويقوم بها طوائف الزارعين والصناع والتجار ووظيفة التأديب ويؤديها القضاة والحامية وأولو أمر التعليم ووظيفة الحماية ويقوم بها العساكر

والحكومة تنقسم كما قال أرسطاطاليس الى ثلاثة أنواع الاولى الملكية والامبراطورية وهي اما مطلقة بمعنى أن الملك والامبراطور مطلق التصرف في حكمه أو مقيدة بمعنى أن سلطتهما مقيدة بقانون تؤسسه الامة

الثانية الامارة وهي ما يكون فيها الامر لرجال منتخبين من أعيان الاهالي وهذا النوع كان كثيرا في الامم السالفة ولا يزال في الامم التي لم تبلغ كمال حضارتها

الثالثة الجمهورية وهي ما يكون الامر فيها لجميع الشعب وقد دل التاريخ والاختبار على أن الحكومة الملكية المقيدة أفضل وقد تتساوى هذه الانواع جودة اذا أفرغ أولو الامر جهدهم في بلوغ غاية الهيئة الاجتماعية وأما تطرق الفساد عليها فسببه في الحكومتين الاولى والثانية نظر أولي الامر الى مصالحهم الخصوصية وجعل الهيئة الاجتماعية آلة لمطامعهم وسببه في الثالثة التي هي الجمهورية وقوع الحسد والتنافر بين الفقراء والمتمولين وحب الكل للرئاسة

ومهمات أعمال الحكومة تسهيل مقاصد كل فريق وتعيين حدود كل منهم وبث الامن فيما بينهم كيلا يتعدى بعضهم على بعض وحماية الوطن ممن يقصده بسوء داخليا كان أو خارجيا والقيام بما يؤدي ذلك وهو التربية والتأديب والتعليم فهذا كله حق على الحكومة للرعية وأما حقها عليهم فالطاعة ودفع ما تقدره الحكومة عليهم من الرسوم لصرفها في المصالح العمومية وحق المعاملة بين الطوائف المتقدمة أن يكون منظورا فيها الى المنفعة العامة صادرة عن المحبة والتآلف يعطف الكبير على الصغير ويوقر الصغير الكبير ويكون الكل عضوا عاملا قائما بوظيفة جسم هو الوطنية سائرا في خدمته سواء الرفيع والخسيس فلا يرفع من قدر الخاصة لكونهم أولي رفاهية بل لكونهم نافعين قائمين في خدمة العامة كما لا تحترم اليمين لكونها يمينا بل لكونها عضوا نافعا ولا يحتقر من قدر القائمين بالوظائف التي ربما يظنها الجاهل خسيسة كما لا تحتقر اليسار لمباشرتها القاذورات

وليعلم الذين بيدهم أزمة الحكم أن القدرة التي أوتوا نصيبا منها لم تكن الا لنشر العدل وبث الخير ورفع الضر عن الرعية فهم الوكلاء وأمناء الله عليهم هم لفلاح الرعية وليست الرعية لراحتهم وليعلم الخاصة أنهم قدوة للعامة فلا يأخذهم الكبرياء والعظمة ولا يرفعوا أنف الانفة وليكونوا نموذجا للخير ومثالا للآداب ومرآة للفضائل وصورة للكمال

وليعلم العلماء أنهم أدلاء الامة بهم تهتدي العامة وتقتدي الخاصة فليكونوا من الناس أحب اليهم من أنفسهم لكي يتم الاهتداء والاقتداء وليستعملوا علمهم فيما وضع اليه وهي المنفعة العامة لا لكونه قواعد

وجدير بالفضل منهم هم الذين قاموا باعباء الآداب الدينية والدنيوية وتحسين العوائد وتوسيع نطاق الزراعة والتجارة والصناعة ومن عداهم فهم عيال على الخلق يرجون ولا يرجون ويدعون ولا يدعون لطف الله بهم وأحيى نفوسهم بالعلم وهدى بهم الامة حتى يتم الصلاح ويكمل الفلاح

فصـــــل

وكان حقا علينا أن نعزز هذه الدوائر الثلاث بدائرتين دائرة الدين ودائرة الانسانية ولكن لما كانت الالفة فى الدين لاتخرج عن ناموس التجانس والمشاكلة فى الاحوال النفسية أو الخارجية المتقدم ذكره وشرحه فى دائرة المحبة حسن بنا أن لانعقد لها بابا

ولما كان التكلم على دائرة الانسانية ربما يجر بنا الى الكلام على السياسة المدنية والاصول التى تستعملها الامم فنخرج عن المقصود أحببنا أن نقتصر القول ونأتى ببعض تلميحات فنقول لما خص الله سبحانه كل ناحية من نواحى الارض بمواد نافعة لاتوجد بغيرها كالحديد فلا يوجد بجميع النواحى وكذلك باقى المعادن التى تحتاج اليها كل أمة وكالاخشاب العظيمة المستعملة فى البنيان اضطرت الامم الى الاجتماع والتعارف والتعاون بقدر مايضطرون اليه واقامة العهود بينهم لتسهيل الحصول على ذلك فيأمن القائمون بنقل تلك المنافع من ناحية الى أخرى وفى ذلك حكمة عظيمة وهى تقليل نوع الشر فى الجامعة الانسانية وقد امتن بذلك سبحانه بقوله (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) فالمعنى والله أعلم لتعبد قريش رب الكعبة الذى أرشدهم الى سبيل منفعتهم وصلاح حالهم فألفت تجارهم الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام ليستبدلوا مالديهم بالمنافع التى خصت بهذين القطرين فأمنوا المجاعة والخوف على أنفسهم من الطريق ومن عادية سواهم على غيرهم

أما حقوق الامم على بعضها وأقصد بها الحقوق الادبية الانسانية أن تنقذ الامة التى بلغت شأوها من الحضارة أمة أخرى متوحشة بسيطة بدون اضرار بها وتخلع بها عن التوحش حتى تمتع بلذة الحياة وصفاء العيش

نعلم ذلك من حكمة مشروعية الجهاد فى الدين المحمدى الشريف فكان المقصود منه انقاذ نوع الانسان والامم من الضلالة والجهالة وادخالهم فى دائرة الاسلام الذى يكفل براحتهم الدنيوية والاخروية ويأتى عليهم بالخير العميم وهدايتهم الى الله سبحانه حتى يتجلى عليهم بالرضا والسلام فيحظوا بصفاء العيش فى دار العمل والفناء وبالنعيم المقيم فى دار الثواب والبقاء

قال أبو هريرة رضى الله عنه سبت العجم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى عن ذلك وقال لاتسبوها فانها عمرت بلاد الله تعالى فعاش فيها عباد الله تعالى فلم يكن تعظيمه صلى الله عليه وسلم من قدر أمة العجم على ما كانت عليه من الكفر وقتئذ الا العدل لهم الذى هو من مقاصد الدين الشريف

ولقد أتى على الانسان حين من الدهر مات فيه العارفون بالحكمة الالهية والتعاليم الدينية وجاء من بعدهم خلف أضرموا نيران الحرب طمعا فى الاستئثار بالمنافع وقضاء للاهواء ونفرا بالتغلب والانتصار ولو شاء ربك مافعلوه جل شأنه وعز سلطانه

ولقد كان حقا على نوع الانسان أن ترجع دوائره العامة الى أخصها فدائرة الانسانية الى الدينية وتيك الى دائرة الصحبة وهذه الى دائرة العائلة حتى تكون البسيطة منزلا واحدا الناس أهلوه يقتسمون بينهم السرور والامن وصفاء العيش ولكن هو هو الانسان قد خلق على الضعف والنقص

ولو منح الله الكمال ابن آدم * لخلده والله ما شاء يفعل

خاتمـــــة

فى حقيقة التربيـــة وموضوعها

لقد تقدم لنا أولا شرح نواميس علم النفس فعلمنا حالة انفعالاتها بالآثار الظاهرية والباطنية وكيفية صدور الاعمال عنها ثم أتينا على شرح قواعد علم الاخلاق التى بينت لنا كيف يلزم أن يكون الانسان ولم يبق علينا الآن الا أن ننظر هل يمكن للتربيـــة أن توصل الانسان الذى علمنا أحواله النفسية الى غاية الكمال المطلوبة لعلم الاخلاق أم لا واذا استحال عليها ذلك فالى أية غاية يمكنها توصيله وما هى الطريقة التى يجب اتخاذها

أقول حيث علمت مما ذكرناه فى علم النفس أن الاحوال النفسانيـــة سريعــة فى صــدورها وفى أخذها فى النقصان وأن انفعالات النفس بالآثار الظاهرية والباطنية كثيرة الاختلاف وأن تلك الآثار سريعــة فى التوارد والتعاقب وأن الارادة مسبوقة بأميال وأطماع مختلفــة المصادر والموارد لاسيما أن للنفس أحوالا لا تزال خفية غير مستكشفة للانسان تعلم أن قوة خارجية وتأثيرا ظاهريا لا قدرة لهما على مقاومة ومصادمة هذه الانفعالات وعلى تتبع تلك الاحوال المختلفة فاذن ينتج أن التربية لا يمكنها توصيل الانسان الى غاية الكمال بل الى حد تهيئه فيه وتجعله قابلا لان يجوزه بنفســه ويتكمل فيما بعــد بأن تثقف عقله وتضبط أمياله وارادته وتعوده على الآداب الحسنة وتطبع فيه محاسن الاخلاق ولا يكون ذلك الا بأن تأخذه بأدبين أدب الامة وأدب الشخص

أما أدب الامة فمجموع أحوالها المعاشية والادبية من الدين والآداب الاجتماعية والعوائد والصنائع والعلوم واللغة وكيفية انتشاء الامة والسبب فى تمدنها أو فسادهـا

وأما أدب الشخص فبه يكون الانسان مع علمه أديبا فيمتزج فيه العلم بالادب ويقترن التعليم والتأديب ويثقب فكره وذوقه حتى يفرق بين الخير والشر والحسن والقبيح والمقبول والغير المقبول والمفيد والغير المفيد سواء فى المادة أو الصورة

وأما الطريقة التى يجب اتخاذها فاختلف الفلاسفة وعلماء البيداجوجيا فيها تبعا لاختلافهم فى أن الولد مفطور على الخير أو الشر أو عليهما معا ويميل أكثر الى الشر

فالقائلون منهم انه مفطور على الخير يجعلون الطريقة فى ذلك أن يربى الولد فى حالة الاعتزال والتوحد عن الهيئة الاجتماعية بقدر الامكان قائلين ان اختلاطه بالناس يكسبه الشر وذميم الاخلاق وقد جرى على هذه الطريقة بعض من علماء البيداجوجيا فى تربية الاولاد لاسيما فى القرن الثامن عشر الميلادى ومنهم الفيلسوف چان چاك روسو الفرنساوى فانه جعل تلميذه يعتزل عن معاشرة الناس وهذه الطريقة وان جرى عليها كثيرون مغايرة للحقوق الانسانية عقيمة النتيجة لما علمت أن المقصود من التربية هو اعداد الانسان لنفعه ونفع الهيئة الاجتماعية ولا يتم ذلك الا بالمعاشرة والمخالطة حتى يكمل التعارف

والقائلون منهم ان الولد مفطور على الشر أو على الخير والشر معا وله ميل شديد الى الشر يجعلون الطريقة فى ذلك التأثير الخارجى والقوّة الظاهرية مع المعاشرة والمخالطة وقد جرى على هذه الطريقة أكثر الفلاسفة وعلماء البيداجوجيا والخاصة والعامة وهى أحسن الطريقتين لان الاختبار يدل على أن الولد محتاج الى المساعدة فى تقويمه والنهوض به فنرى الوالدين خصوصا الام يقاسيان الصعوبات الكثيرة فى تربية أولادهما فيستعملان التملق والتأديب تارة والتحيل طورا

فاذن نعلم أن هذه الطريقة الاخيرة هى التى يجب اتخاذها فى التربية بمعنى أن نأخذ الناشئ بالتأثيرات الخارجية والقوة الظاهرية ومعلوم أن الذى بيده القوة والتأثير هو المربى وحيث كان كذلك فيلزم أن يكون مربى بنفس الوسائط التى يجب استعمالها فى تربية الناشئ وأن يكون مع علمه أديبا عاملا بأوامره منتهيا بنواهيه ولذلك ينبغى له أن يترقب نفسه زمنا فزمنا كيلا يقع فيما نهى عنه أو يتساهل فيما أمر به وأن يكون مقبلا على الناشئ ظاهرا وباطنا

ويختص المعلم بأن يكون قادرا على التأثير فى العقول وجذب النفوس عالما باحوال النفس وانفعالاتها ونسبتها الى الجسم عارفا قواعد علم الاخلاق ثابت الجاش مطمئن النفس خاليا عن المنكرات الباطنية والظاهرية كيلا يكون ألعوبة للناشئة وأن يكون قادرا على احداث

طريقة يتبعها في تعليمه ولذلك ينبغي له أن يطلع على الطرق والوسائط التي مشى عليها غيره من المعلمين الاقدمين والمتأخرين وأعني بذلك أن يدرس تاريخ علم التربية للامم السالفة والحاضرة طلبا لاتساع فكره هذا وهنالك أشياء طبيعية في الناشئ ربما ساعدت المربي والمعلم في التأثير أو عطلتهما وهي الاستعدادات وقد تقدم لنا عند شرحنا الاميال النفسية أن الاستعداد حالة للنفس أو لبعض الحواس الجسمية يسهل وينجح استعمالها فيما صيغت اليه وأن صاحبه يجد من نفسه احساسا ارتياحيا يدفعه زمنا فزمنا الى تجديده وأن هذا الاندفاع يسمى ميلا لكن يكون لديه قوة الاستعداد في المبصرات فاذا سار في طريق أو شارع أو مدينة لم يرها قبل ترى تصوّره المواضع والمعاطف التي مر بها كما هي عليه ثابتا في نفسه منبعثا متى عرضت أسباب التذكر وترى آخر يغدو ويروح مرارا في مواضع لا تثبت لديه صورتها الا بعد كثير تكرار ومن ذلك الاحوال العقلية فمن الناس من له استعداد لمدركات على الحساب والهندسة مثلا وآخر لا يتصوّرهما البتة اللهم الا الالفاظ والتراكيب المستعملة والمصطلح عليها في ذينك العلمين وقس على ذلك باقي المدركات اما للنفس أو الحواس الجسمية

ولكن لا يعتمد على ذلك فقد قيل بعدم اختصاص أحد بالاستعدادات دون الآخر وان الاستعداد يتربى بواسطة المحيطين بالناشئ كالميل المنبعث عن استعداد ولد النجار الى النجارة والحداد الى الطرق والكاتب الى الكتابة وهكذا وقد تقدم لنا أن الفيلسوف جال الالماني ذهب الى أن الانسان مطبوع على جميع الاستعدادات وخصص للاميال المنبعثة عنها موضعا في الرأس وان لم يتم استكشافه هذا

على أنه ربما يكون السبب في عدم استعداد انسان ناشئا عن عدم الارادة ويدلنا على ذلك أنه اذا أخذناه بالتعويد تدريجيا ينبعث استعداده الى ما كان ضاربا عنه صفحا ولم يمل اليه أولا

وعلى كل فيلزم أن يفرض على جميع التلامذة عموما تعلم العلوم المقررة في المدرسة حسب متوسط استعدادهم ومتى رأى المعلم أن لاحدهم ميلا شديدا لفن من الفنون فكما أنه يقره عليه ويبعث من نشاطه نحوه يطالبه بالفنون الاخرى كامثاله حتى ينضبط بذلك استعداده فلا يتعدى حدوده ويصير عشقا أو يضر بجانب المعلومات الاخرى

هذا وقد توضح لنا مما تقدم أن حقيقة التربية المطلوبة لنا هي أخذ الانسان بأدب الامة وأدب الشخص الى حد موصل للكمال وأن موضوعها هو الانسان من حيث كونه مخلوقا أدبيا وأن المقصود منها تثقيف عقله وتقوية قواه الادبية والطبيعية حتى يكون نافعا لنفسه وللهيئة الاجتماعية

وحيث ان بلوغ المقاصد متوقف على المعرفة بالوسائل والوسائط وعلى العمل بها وجب علينا أن نوضح وسائط المقصود من التربية بوجه عام فنقول

تختلف وسائط التربية حسب اختلاف أحوال المقصود فلك أن تقول هى مجموع أعمال مخصوصة يقوم بها المربى كالترقب والملاحظة والتحذير والاغراء والامر والنهى والعقاب والثواب وغير ذلك

ولك أن تقول هى مجموع ما يساعد على التأثير فى تنبيه النشأة الطبيعية والعقلية كحالة الحياة والدين والآباء والاصحاب وما أشبه ذلك

كما يمكن أن تقول هى مجموع أشياء يستخدمها المربى كاللغة والكتب والنموذجات الرسمية والآلات والادوات والعصا والمقرعة ونحو ذلك

وان شئت قلت هى روح المربى وكفى بها وسيلة ولكن حيث نعلم أن التربية تبحث عن الانسان من جهة جسمه ونفسه وعقله وأن لكل منها وسائط على حدتها أمكن لنا أن نحصرها فى ثلاثة أقسام الاول وسائط تعهد الجسم الثانى وسائط التأديب الثالث وسائط التعليم ولنتكلم عليها ضبطا للمقام فنقول

القسم الاول

وسائط تعهد الجسم

المقصود من تعهد الجسم مساعدة الطبيعة وطلب النمو الطبيعى للجسم بمنع وابعاد كل ما يصادم ذلك النمو وباعطاء كل ما يساعد ذلك السير

أما وسائط التعهد فنوعان

(النوع الاول) وسائط حفظ الجسم ونموه وهى ثلاثة الغذاء والملبس والحركة

فالغذاء يلزم أن يكون جيد المادة حسن الصورة وان كان بسيطا وأقصد بحسن الصورة أن يكون عرض الغذاء وأوانيه وحالة تناوله حسنة المنظر لان الاحوال الظاهرية لها التأثير الاعظم فى الاحوال النفسية حيث تكون مثالا لها ففرق بين الطفل الذى يرى أباه وقد مزق الرغيف كل ممزق أو التهم الطعام بالعشر مثلا وبين من يرى أباه منتظما فى أحواله مطمئن النفس أديبا فى تعاطى الغذاء حسن الذوق فى عرضه فهذا يتربى وقد انضبطت قوة مخيلته وانتظمت مفكرته وذاك يتربى تائه المخيلة مشتت المفكرة ولذلك حضت السنة المطهرة على آداب الاكل واحترام الطعام والزاد

ويلزم أن يكون الطعام في وقت معين وساعة مخصوصة كل يوم ولكن هذا يختلف باختلاف الواجد والمعدم فقد قيل لبعض الحكماء متى يأكل الانسان فقال أما الواجد فتى أراد وأما المعدم فتى وجد

وأما الملبس فيلزم أن يكون مناسبا في السمك والرقة حسب فصول السنة نظيفا مصنوعا على هيئة يرتاح فيها الجسم حسن الهيئة وان كان بسيطا ويشمل الملبس كل ما يحتاج اليه الانسان للوقاية أو التزين فيدخل فيه العمامة والشربوش والجراب والنعال وما أشبه ذلك ويلزم أن يعتنى بذلك كله في جميع الاحوال عند استعمالها أو حفظها ويجب على الآباء أن يتعهدوا أولادهم ويعودوهم على ذلك مع تسهيل السبيل اليه كأن ينبهوا الولد أنه اذا أراد النوم يلزمه أن يعلق ملابسه في جهة مخصوصة يعينونها له وأن يضع جرابيه ونعليه في موضع مخصوص كذلك ويلزم أن يكونوا عاملين بأوامرهم كي يتم الاقتداء

وأما اذا تركوا الناشئ هو ونفسه والطبيعة فانه اذا لم يعلم موضعا لحفظ ملابسه وحوائجه لا محالة يفرقها أيدي سبا ويشتتها في كل موضع حتى اذا أصبح الصباح وأراد أن يلبس أخذ في البحث والتنقيب عليها يروح هنا ويغدو هنالك ينزل تحت ويطلع فوق صارخا سائلا كل من رآه فربما وجد احدى نعليه في الدور الاول والثانية في الدور الثاني وأحد جرابيه تحت الفرش والآخر وراء الزير مثلا فكيف نرى الناشئ حينئذ نعم نراه وقد تشتت فكره وضاق صدره بما قاساه من التعب في البحث والتفتيش فضلا عن ضياع الوقت النفيس ومع ذلك نجد الآباء وقتئذ يلومونه تارة ويضربونه أخرى ولم يدروا أنه برىء الساحة فكان خيرا لاولئك القوم لو ضبطوا أبناءهم وهدوهم الى كيفية حفظ حوائجهم حتى تطمئن نفوسهم وترتاح خواطرهم وتنضبط قوة مخيلتهم

وأما الحركة فيلزم معرفة كيفياتها وضبط أحوالها كالاعمال البدنية الرياضية وكالتفسح والسير على الارجل وقتا مخصوصا كل يوم وكحفظ أعلى الجسم عند الجلوس والسير بدون انحناء وغير ذلك مما سيذكر تفصيلا في الجزء الثاني

وكما أن ضبط الحركة وحسنها والقدرة عليها تقوى الجسم تؤثر أيضا في انتظام الاحوال النفسية حيث يجد الانسان من نفسه قدرة وسلطانا على جسمه فيحدث شعوره بالذات كما تقدم ذلك عند شرح نواميس الاحساسات النفسية

(النوع الثاني) وسائط نمو النفس وهي كثيرة كحالة المحيطين بالناشئ وكالحكايات والقصص والاشياء المبصرة للناشئة والالعاب

أما أحوال المحيطين بالناشئ فتكون وسائط جيدة للتربية اذا كان المحيطون به أدباء عقلاء أولى تربية لطيفي الاخلاق وتكون رديئة اذا كانوا بخلاف ذلك كما هو معروف بدون تعريف

وأما الحكايات والقصص فهى من أهم الوسائط لتربية النفس ونموها متى كانت حسنة الموضوع أدبية المغزى وقد اعتنى بها الامم المتمدنة لاسيما أمتنا العربية سابقا وكان المقصود من وضعها ضبط القوة المخيلة فى الانسان وتوسيع دائرة فكره وطبع الاخلاق الحسنة فيه كالشجاعة والصبر على المكاره واقتحام الصعوبات والشفقة ورقة القلب والتواضع الى غير ذلك من الفضائل ومحاسن الطباع . أما القصص والحكايات التى يتداولها العامة كقصص عنترة بن شداد والفداوية وخضراء الشريفة وأبى زيد الهلالى سلامه والزير سالم وغيرها فهى بمعزل عن المقصود مضرة بالانسان حيث تكسبه خشونة الطبع وسماجة السجية وكذلك الحكايات المسماة (بالحواديت) التى تلقيها الآباء والامهات على الاطفال فليست الا نزغات شيطانية محضة

وبالجملة فيجب على أدباء الامة الذين أشرب فى قلوبهم حب الوطن وأهليه وجوبا انسانيا أن يهتموا فى وضع حكايات وروايات لايخرج موضوعها عن الآداب وتحسين العادات وبعث حسن الاخلاق كما ينبغى أن لا يرخص فى طبع مثل تلك الكتب التى تعود على العامة بذميم الاخلاق والمشارب

هذا وقد رأى كثير من علماء البيداجوجيا أن إتباع الحكايات والامثال بمغزاها ومضمونها غير حسن لان ذلك يثبط من همم الناشئة (راجع الكلام على الاحساس بالآداب المتقدم)

وأما الاشياء المبصرة للناشئة فأعنى بها الادوات المنزلية والاثاث أو الاشياء المدنية العامة سواء الحاجى منها أو الكمالى وحيث ان الانسان محتاج اليها فى الحياة ينبغى أن تعرض أفرادها شيأ فشيأ على الناشئة مع ذكر أسمائها وتبيين مادتها ومنافعها وكيفية استخدامها فى الاغراض المعاشية كى يهتدوا بأنفسهم الى ما اهتدى اليه السلف فيتسع نطاق فكرهم واذا عنى أحدهم أمرها فيما بعد ربما حسن من صورتها أو غير من هيئتها لتسهيل استخدامها فى أحوال المعيشة

ويجب على الآباء أن يبادروا بتعليم أبنائهم كل ذلك قبل تخرجهم فى المدارس والمدرسة توضحها لهم توضيحا طبيعيا آليا (ميخانيكا) على وجه العموم وينبغى استخدام صورتها فى تطبيق المسائل العلمية كالحساب والهندسة والرسم والتحرير كأن يقول معلم الحساب للاطفال ماعدد الاشياء الضرورية التى توجد بكل منزل وهكذا وكأن يقول معلم الهندسة

ماهى الادوات المنزلية التى شكلها كروى أو أسطوانى أو هرمى وغير ذلك وكان يأخذهم معلم الرسم والتصوير بالتمرين على تصوير بعض منها كالكرسى والطاولة والاقداح وخلافها وكان يلقى عليهم معلم اللغة منها موضوعا للكتابة عليه مثل السكين من جهة مادتها وشكلها ومنافعها الى غير ذلك

ويدخل تحت الاشياء المبصرة الاشياء الطبيعية كالحيوانات فتعرض عليهم على اختلاف أجناسها اماذاتها أو صورتها وكالجبال والانهار وخلافهما وقد تقدم لنا الكلام على ذلك غير مرة وسيأتى فى التربية العملية ضبطها وتبيين كيفية تدريسها ان شاء الله تعالى

وأما الالعاب فحيث ان الطفل يميل بطبعه الى التسلى والحركة طلبا لنمو جسمه وشغفا باستكشافه حقائق الاشياء يلزم أن تكون الالعاب ذات قيمة مفيدة للجسم والعقل ولذا يجب أن توضع آلاتها قصد الذلك وقد اعتنى بشأنها الامم السالفة والاوروبية الحاضرة علما منهم بانها مساعدة للنشأة الانسانية المطلوبة وسنبين جميع ذلك فيما بعد

القسم الثانى

وسائط التأديب

المقصود من التأديب هو تعويد الناشئ على اجراء مقتضيات الحياة المطلوبة قبل أن يعين أحوالها بنفسه ولا يكون ذلك الا بأن يربى فيه التبصر بالامور نافعها وضارها جيدها وذميمها ولذلك احتاج الى التعلق بانسان يبعث فيه التبصر ويهديه ويضبط ارادته

وكيفية أخذه بذلك أن يلقى المربى على الناشئ الاوامر والنواهى حسب اختلاف الوقائع ويطالبه بالطاعة والخضوع له ولاوامره ولحفظ ناموس هذه النسبة أربع وسائط مرتبة ترتيبا عقليا وهى التذكير والانذار والتهديد والعقاب أو الثواب . فالتذكير له عمل واحد وهو تكرير الاوامر والنواهى السابقة والانذار فكما يؤكد تكرارها يبين أن اتباعها واجب ويشير الى سوء ما ينتج عن عدم الاتباع والتهديد يؤكد وقوع سوء النتيجة فيما بعد والعقاب يحقق وقوع النتيجة والمقصود منه منع الرجوع الى الذنب وبعث احترام الاوامر والآمرين فى الناشئة ثم ان التذكير ربما استخدم العقاب فى عمله كتذكير الناشئ بألم العقاب الذى كان سابقا

وأما الثواب فيزيد في الطاعة ويحرض على العمل بالاوامر وعلى احترامها بواسطة اعطاء شيء محبوب للنفس

واذ علمنا أن تلك الوسائط ذات ترتيب عقلي يلزم أن نحفظ ترتيبها هذا فلا عقاب قبل تهديد ولا تهديد قبل انذار ولا انذار قبل تذكير

وحيث ان الثواب لكونه محبوبا للنفس ربما حول من أطماع الناشئة الى الحصول عليه فيجعلون الطاعة سلما وسببا لوصولهم الى المحبوب غير ملاحظين موضوع الاوامر والنواهي حسن أن تكون الجوائز منظورا فيها الى الفخر وكمال النفس والمدح والاحترام وقد تقدم لنا الكلام على ذلك تحت عنوان الاحساس بالحقيقة فراجعه ان شئت ثم ان كيفية استعمال تلك الوسائط كالعقاب أيكون بالضرب أو غيره فسيأتي لنا الكلام عليها في الجزء الثاني

القسم الثالث

وسائط التعليم

المقصود من التعليم مساعدة قوى الناشيء العقلية والارادية والادبية حتى يمكنه أن يقوم بنفسه في تعيين أغراض الحياة المطلوبة له وفي استعمال ما يوصل الى تلك الاغراض حسبما أرشد اليه الدين والتجربة

وحيث ان الانسان كما علمت له اتصال بعالم المخلوقات وأعني به الاشياء الطبيعية بحكمة احتياجه اليها في نمو مادته وقضاء حاجياته وكمالياته وبعالم الانسان بحكمة التعارف والتعاون وبالخالق جل شأنه بحكمة المخلوقية والعبودية وان اجراء مقتضيات حياته المادية والادبية متوقف على التعرف بجميع ذلك نعلم أنه محتاج بالطبع للارشاد والهداية الى معرفة الكائنات المضطر اليها من جهة مادتها وخواصها والى التعرف بالخالق عز وجل كما تقدم لنا شرح ذلك غير مرة ومعلوم أن المرشد والهادي الى ذلك قسمان

الاول التعاليم الطبيعية وهي ما تبحث عن طبائع الموجودات وخواصها وكيفية استخدام ما يحتاج اليه في بقاء الانسان أو كماله

الثاني التعاليم الدينيه وتبحث عن افراد الانسان من حيث هدايتهم الى الله تعالى والعمل بأوامره سبحانه وعن النوع من حيث ارشاده الى أدب المعاملة ومن هنا قيل العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان ويندرج تحت هذين القسمين علوم وفنون شتى حسب اختلاف المواضيع والاغراض وسيأتي لنا بيان تقسيم المحتاج اليها في التعليم ان شاء الله تعالى

وحيث علمت أن الحكمة الانسانيــة لاتتم الابالعلم والتعرف تعلم أن الانسان انسان بالفعل اذا علم وهو انسان بالقوة اذا لم يعلم وأن العلم هو المميز الحقيقى له من باقى الحيوانات لاغيره فان قلت القوة فالجمل أقوى منه أو العظم فالفيل أعظم منه أو الشجاعة فالسبع أشجع منه ولذلك شرف الله من قدر العلم وأهليه فقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال سبحانه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون وقد فرضه صاحب الشريعة نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فقال طلب العلم فريضة على كل مسلم والمراد بالعلم هنا مايعم العلوم الموصلة الى بقاء نوع الانسان وكماله بدليل أن المقاصد مجموعة فى الدين والدنيا ولا انتظام للدين الا بانتظام الدنيا وليس ينتظم أمر الدنيا الا بأعمال الانسان من الحرف والصنائع والزراعة والتجارة وغيرها وشواهده من الكتاب والسنة والآثار أكثر من أن تحصى ويكفيه شرفا أن كلا يدعيه

ثم انا لم نعلم مما تقدم سوى أن العلوم هى وسائط فى العلم بالاشياء وبقى علينا أن نعلم وسائط التعليم فنقول هى ثنتان الاولى مايستخدمه المعلم فى التعليم كالكتب والخارطات والالواح والورق والآلات والادوات المدرسية الثانية الطريقة التى يتبعها المعلم فى التعليم وهى الواسطة العظمى بجودتها تجود المقاصد وبرداءتها ترداء وبما أنها طريقة لايهتدى اليها كل انسان اعتنى بها علماء الامم المتمدنة وأولو أمر التربيــة الذين عناهم أمرها فضبطوا تلك الطرق ووضعوا لها نواميس وقوانين سار معلموها على منهجها القويم واهتدوا بنورها المبين الى الصراط المستقيم صراط الذين علموا فعملوا وأجادوا فسعدوا

وحيث تم ما أردناه من الكلام على التربيــة العلمية التى هى كمقدمة للمقصود أمكن لنا أن نتبعه بالكلام على التربيــة العملية فى الجزء الثانى فنبين الطرق التى يجب اتخاذها فى تعليم العلوم كل منها على حدته حتى يقترن العلم بالعمل ويتم المطلوب ويكمل المرغوب والله الهادى الى أقوم طريق وبه الاعانة والتوفيق

(يقول مؤلفه)

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه تأليف هذا الجزء بمدينة برلين عاصمة مملكة البروسيا على يد مؤلفه الفقير حسن توفيق فى شهر رمضان المعظم المتمم للتاسعة والعشرين سنة من عمرى سنة ١٣٠٧ هجرية على صاحبها الصلاة والسلام .

(تم طبع الجزء الاول ويليه الجزء الثانى فى التربية العملية)

فهرست

الجــــــزء الثــانى

من كتاب البيداجوجيا العــملية

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت بحمد الله وعونه وحســـن توفيقه)

الجزء الثانى

من كتاب البيداجوجيا

فى

التعليم والتربية العمليين

تأليف

حضرة الشيخ حسن توفيق
مدرس اللغة العربية فى المدرسة الشرقية
ببرلين

قررت نظارة المعارف العمومية لزوم طبع هذا الجزء وتدريسه بالمدارس الاميرية
بناء على قرار اللجنة الصادر فى ٢٩ مارث سنة ١٨٩٢

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٨٩٢
ميلادية



بسم الله الرحمن الرحيم

بك نستهدى الى الطريق القويم ونستفيض جودك العميم ونستمنحك الصلاة على رسلك الهادين وأتباعهم الراشدين (وبعده) فلما انتهى بنا الكلام فى الجزء الاول على البيداجوجيا العلمية التى شرحنا بها نواميس علم النفس وعلم الاخلاق وأبنا عن حقيقة التربية ووسائطها بوجه عام عنّ لنا الآن أن نعززها فى هذا الجزء بالكلام على البيداجوجيا العملية التى ترشدنا الى الطريق الواجب اتخاذها فى التربية والتعليم وتجوز بنا من القوة الى الفعل ومن العلم الى العمل فان الانسان ليس المقصود منه أن يعلم بل يعمل والعلم مجهوله ضار ومستعمله مفيد نافع وقليله يستعمله العقل خير من كثيره يحفظه القلب وها أنا بصدد مفاوضتك الحديث فى الموضوع فأقول

البيداجوجيا العملية

هى علم يبحث عن الوسائط التى تتخذ وتستعمل فى أخذ الناشئ بحسب مراتب نشأته وعن كيفية استخدامها ويبين لنا كيف نبلغ المقصود من التربية والتعليم بلوغا بغاية البساطة والسرعة وكيف نستعمل المواد لذلك وكيف يلزم أن يكون المعلم حتى نبلغ ذلك البلوغ

ولنقسم البحث فى هذا العلم الى ثلاث تراجم الترجمة الاولى فى فن طرق التعليم والثانية فى فن طرق التربية والثالثة فى المدرسة واحتياجاتها وكان حقا علينا أن نعززها برابعة فى تربية الجسم ولكن حيث لم نأل جهدا فى الكلام عليها ضمن بحثنا فى الثلاث تراجم رأينا أن لا نعقد لها ترجمة مخصوصة ولنشرع فيما رسمناه باحثين فى كل ترجمة على حدتها فنقول

الترجمـــــة الاولى

(فى فن طـــــرق التعـــــليم وفيها بابان)

الباب الاوّل

(فى طـــرق التعـــليم العـــام)

التربية وأنت خبير بها لا يقصد منها سوى أعداد الناشئ وتجهيزه بتثقيف عقله وتقوية ارادته لان ينفذ ارادة الحكيم جل شأنه فى جميع أحواله ولذا وجب أن يبعث التعليم فى الناشئ فطنة بجميع الاحوال والنسب التى يمكن أن توجه اليها ارادته فيما بعد

وبما أن تلك الاحوال والنسب ربما لحظها المربى بعين الرضا فيحسبها خيرا يستلفت ارادته نحوه أو بعين السخط فيظنها شرا يجتنب عنه وهو بمعزل عن الحقيقة فى الحالين وجب أن نجعل لبعث فطنته بالاشياء حدودا لا تتعداها ارادته وأن ندير دائرة أفكاره على مركز هو الخير حتى تصدر عنه الارادة الادبية وذلك بتربية تصوراته وادراكه الحقائق والاهتمام بموضوعات العلم وبعث الميل فيه اليها بحيث لا ينظر لدى التعليم الى العلم فى حد ذاته بل يلزم أن يكون التعليم محركا لميل الناشئ وشغفه بنفس المعلومات حتى لا تتساوى لديه وجودا وعدما

ولما كان الشغف بالشئ تنبعث عنه الارادة اليه نرى أن ننبه الناشئ الى كيفية استخراج فوائد المعلومات واقدارها حق قدرها وذلك بان يكون التعليم قارنا ورابطا المعرفة بالقدرة

ودفعا لما عسى أن يريد الناشئ هذا تارة وذاك تارة أخرى يلزم أن تكون المعلومات غير منفردة بل مرتبطا بعضها ببعض ارتباطا طبيعيا

وينتج من ذلك ثلاث قواعد وهى أن يكون التعليم محركا لميل الناشئ وشغفه بنفس المعلومات وأن يكون قارنا ورابطا المعرفة بالقدرة وأن تكون المعلومات غير منفردة ولنوضح كلا منها فنقول

(القاعدة الاولى) أن يكون التعليم محركا لميل الناشئ وشغفه بنفس المعلومات ولست أعنى أن يكون التعليم فى ذاته لطيفا فكها فقط طلبا لارتياح الناشئ كلا بل أقصد أن يحرك التعليم ميله الى نفس المعلومات بحيث يبقى شغفه بها على الدوام وان انقضى زمن التعليم

ولا يكون ذلك الا بتقوية أصول المطلوب تعلمه وربط الحديث بالمعلوم للناشئ أولا ربطا طبيعيا حتى يدعو العاطف السالف و يجدده بالسهولة و ينبعث في الناشئ ارتياح يدفعه زمنا بعد آخر الى تجديده واعادته

ولذا ينبغي للمعلم أن يجوز بالناشئة من القريب الى البعيد ومن السهل الى الصعب ومن البسيط الى المركب وأن يعرض مدلول الاشياء على نظرهم مهما أمكن وأن يتأنى عند شرح الاصول وأن يربط الاشياء المتماثلة ببعضها وأن يلاحظ مراتب النشأة الطبيعية لعقل الناشئ وأن يستكشف قبل التعليم متوسط عقول الناشئة مع ملاحظة كل منهم

والشغف بالمعلومات الذى يحركها التعليم ينبغي أن يكون بدون ما واسطة فربما حاد عن المقصود اذا كان لواسطة وغاية كأن نلقي في الناشئة الشغف بالتعلم للحصول على نمرة عالية في الامتحان بين رفقائه أو على شهادة فائقة

(القاعدة الثانية) أن يكون التعليم قارنا ورابطا المعرفة بالقدرة فليس الغرض من الناشئ مطلق العلم بل العمل حتى يقدر على استخدام ما علمه في مقتضيات أحواله المعاشية ولذا ينبغي أن يلتفت لدى التعليم الى تمرينه على الاعمال المعاشية اليومية وتعويده على القيام بحاجته

(القاعدة الثالثة) أن تكون المعلومات غير منفردة وذلك بأن تلقى الاصول والقواعد بحيث يدعو بعضها البعض وتبعث في الطالب قدرة على توسيع نطاق ما حصل عليه والتعمق فيه فان انفراد المعلومات وعدم الارتباط بينها يوقع الطالب في التشتت الذى طالما قعد بكثير من الطالبين وهبط بهم الى الحضيض

فصـــــــل

(في انتخاب مواد التعليم ونظامها)

الفكر الانساني لو بحثنا على ما به يتسع نطاقه لالفيناه أمرين أحدهما التجربة التي بها يقوى تعرف المرء بالاشياء وأحوالها ونسب بعضها الى بعض وثانيهما المعاشرة التي تبعث فيه ميلا الى مثله وتربط شعوره النفساني بشعور غيره وتهبط أو تصعد باحساساته كالحزن والسرور بواسطة وجدانه اياها في أبناء جنسه وبما أن الانسان كائن في وسط يرى له فيه ارتباطا بالخالق جل شأنه بحكمة افتقاره اليه سبحانه و بعالم الانسان بحكمة الحاجة الى المساعدة والتعاون و بعالم الطبيعة بحكمة استخدامها في حاجياته وكمالياته تعلم أن له حاجة أيضا الى تعرف ما ارتبط به من هذه الثلاثة والى تعليمه والجواز به في طريقها القويمة دفعا لما عسى أن يضل عنها

ومن ذلك ينتج أن مواد تعليم الناشئة ثلاثة أصول وهى علم الدين وعلم التعارف الانسانى وعلم الطبيعيات ولنأت على كل منها بالبيان على وجه عام فنقول

الاصل الاول علم الدين

ويندرج تحته علم التوحيد والقواعد الدينية وما يتعلق بها والقرآن الشريف وكيفية نشأة الدين الحنيف وانقسامه الى مذاهب وسيرة صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام وتراجم الائمة المجتهدين وخلاف ذلك كما سيأتى لنا الكلام عليه

وليس الغرض من تعليم التعاليم الدينية أن نعود الناشئة على العمل بمقتضى الاوامر والنواهى المقدسة عملا آليا فقط بل الغرض أن نبعث فيهم شعورا أدبيا دينيا العلم بان سلطان الدين انما هو على الباطن وان مداره هو الاعتقاد القلبى وحكم الفكر اللذان يدفعان ذميم الاخلاق ويجلبان حسنها

الاصل الثانى علم التعارف الانسانى

أنت خبير بان التعارف لا يكون الا بأمرين

الاوّل — النطق الذى أودعه الحكيم جل شأنه فى النوع الانسانى ليقتسم بعضهم البعض احساساته النفسية ولا يتم ذلك فى أمة الا باستعمال اللغة التى اصطلح عليها أفرادها فيما بينهم وحيث ان اللغة هى الترجمان لما فى الافكار الخصوصية تعلم أن المقصود من تعليم الناشئ لغته ليس قاصرا على أن يفهم ما قاله الغير أو كتبه بل أن يقول ويكتب بنفسه أيضا وان تكون لغته طوع يده يصرفها فى التعبير عن دقائق احساساته واختلاجاته الصدرية نطقا وتحريرا

ويدخل فى موضوعنا هذا القراءة والكتابة وصحة رسم الحروف والكلمات وحسن الخط والانشاء وكذلك أدب اللغة

ويلزم أن يكون تعليم اللغة بحالة تحرك من شغف الناشئ بلغته ومن فخاره بانه عضو لامة عظيمة ومن سروره بكونه عربيا

الثانى — التجربة والمعاشرة فيما بين أفراد النوع الانسانى ولذلك كان لتعليم علم التاريخ أهمية لانه يوسع دائرة التجربة والاختبار حيث يصف كيف نشأت الامم منذ العهد القديم الى عصرنا الحاضر ويرجع بالناشئ الى العصور السالفة فيعرض عليه أعمال أسلافه حتى انه يحسب أنه عاصرهم وقاسمهم أعمالهم وشاركهم فى أحوالهم ويبعث فيه ميلا لكبار الناس الذين قاموا بجسيم الاعمال وإباء عن الذين أساؤا فى أعمالهم وينبه أفكاره الى البواعث التى

دفعت الفريقين الى ما قاماه ويلقى فى قلبه الخشية أمام القدرة الالهية ويميل به الى التسليم لحكم الله المتصرف أزلا وأبدا ويبعث فيه الحمية والعصبية لوطنه واقتسامه خيره وشره

ويلحق بهذا الموضوع الجغرافية السياسية التى تبحث عن الارض من حيث كونها مهدا للانسان وكذلك عوائد الامم من الحضارة والتمدن والتوحش ولكنهما لما لهما من الارتباط الشديد بالنواميس الطبيعية يحسن أن نعدهما ضمن علم الطبيعيات

الاصل الثالث علم الطبيعيات

الطبيعة وآثارها العجيبة التى أبدعها مبدع الكائنات جل شأنه يمكن أن يلحظها الانسان بنظرين.

الاول — النظر التخيلى وبه يختلج فى صدر الناظر اما الفزع أو السرور فالفزع اذا تخيل المرء الآثار الطبيعية غير ملائمة له والسرور اذا تخيلها ملائمة ومناسبة لخاطره

والنظر التخيلى موجود فى الانسان منذ نعومة أظفاره (راجع فصل التخيل صحيفة ١٥ جزء أول) وهو الذى يدفع الشعراء والادباء الى جعلهم للطبيعة وأشيائها نفوسا تشعر ولسانا يتكلم كمناجاتهم أطلال الديار(١) وسؤالهم الظباء(٢) وحديثهم مع الازهار(٣) ويبعث الادباء الى وضع قصص عن ألسنة الحيوانات مثل قصص كليلة ودمنة وغير ذلك

الثانى — النظر الفكرى وبه نلحظ الطبيعة وأشياءها كما هى عليه ونعلم بها أنها ليست بغريبة عنا وأنها هى المكملة لوسطنا الذى نحن فيه ومن ذلك تعلم أن تعليم العلوم الطبيعية لا ينظر فيه الا الى النظر الفكرى ولكن دفعا لما عسى أن يتشتت الفكر بالنظر الى أشيائها وآثارها ونسبها وأحوالها لزم أن ينتخب للتعليم الاصول والنواميس العامة من علوم الطبيعة وذلك علم الحيوانات وعلم النباتات وعلم الاحجار والطبيعة والكيمياء والجغرافية الطبيعية والهندسية ومايبحث عن العدد والقياس وهو علما الحساب والهندسة ويلحق بهما الرسم الذى به يقوى تصور صور الاشياء وقوامها

ويلزم أن نأخذ الناشئة بهذه العلوم الثلاثة الاخيرة أخذا عمليا لاستخدامهم اياها فى أحوالهم المعاشية فيما بعد وأن نربى فيهم الذوق السليم والاحساس بمحاسن قوام الاشياء وصورها وحسن عرضها

---

(١) كقول الشاعر ألا عم صباحا أيها الطلل البالى ❊ وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

(٢) مثل قوله بالله ياظبيات القاع قلن لنا ❊ ليلاى منكن أم ليلى من البشر

(٣) نحو قوله غضى جفونك ياعيون النرجس ❊ منك استحيت بان أقبل مؤنسى

ولما كان جسم الانسان هو الواسطة فى قبول آثار الطبيعة أودفعها والخادم الوحيد لسلطان العقل والارادة نرى أن نعد فن الرياضة البدنية فى عداد العلوم الطبيعية ويدخل ضمنه الكتابة والرسم والاعمال اليدوية كصنع أجسام من الورق المقوى ونموذجات لتطبيق القضايا الهندسية بالنسبة الى الغلمان وكالتطريز والخياطة بالنسبة الى البنات وغير ذلك مما يدرب اليد على سرعة الحركة والعين على حدة البصر

فاذن ينتج لنا مما تقرر من هذه الاصول الثلاثة أن مواد التعليم التى يلزم أخذ الناشئة بها هى عشر مواد

١ علم الدين وما يلحق به ٢ اللغة الوطنية ويدخل فيها القراءة والكتابة والانشاء ٣ التاريخ
٤ الجغرافيا ٥ الطبيعيات ويدخل فيها علم المواليد والطبيعة والكيمياء ٦ الحساب
٧ الهندسة ٨ الرسم ٩ الرياضة البدنية ١٠ الاعمال اليدوية

فهذه كلها ينبغى أن تدرس بالمكاتب الاهلية وليحذر من أن ندخل بها المواد التى لا توافق مراتب عمر الناشئة أو التى لا يتمكن الناشئ من معرفتها معرفة حقيقية مدة زمن المدرسة ومن استخدامها فى احتياجاته المعاشية فيما بعد كما نحذر من ذكر الخلاف وكثرة الآراء فى المسائل العلمية كقال فلان هذا ورأى غيره ذلك

وبما أن الناشئ لا يزال يزداد عقلا وعلما حسب نشأة جسمه التدريجية وان زمن التعليم يختلف باختلاف المدارس والاقطار وجب أن تأخذ مواد التعليم ترتيبا ونظاما بالنظر الى الزمن والناشئ ولذلك لزم وضع ثلاثة جداول لكل مدرسة . الاول جدول المواد . الثانى جدول التعليم . الثالث جدول الدروس وهاك بيان كل منها

جدول المواد

ويبحث فيه عن ترتيب مواد كل فن على حدته وتتبعها تتبعا عقليا وينظر فى وضعه الى شيئين الاول مراتب النشأة الطبيعية للناشئ ومقدار قواه العقلية فى كل مرتبة . الثانى حالة الفن المراد تعليمه حيث ان لكل فن فى نفسه نظاما وترتيبا فنجده ذا أصول وفروع وبسائط ومركبات ومقدمات ونتائج ومحسوسات ومعنويات ونرى لمسائله حدودا طبيعية يتوقف فهم العاطف منها على فهم سالفه ولذا وجب أن نرتب مواد الفن ترتيبا آخذا الاسهل فالسهل ثم الصعب فالاصعب وأن لا نثب من موضوع الى آخر ليس بينهما رابطة متينة لا أقول يلزم أن نستوعب جميع الروابط والنسب بينهما كلا فان ذلك مما يبطئ من تقدم الطالبين ويبعث فيهم الملل

(وقد وقع فى ذلك البيداجوجى الشهير المسمى بستالوتسى (١) وان كان هو أول من نبه على هذه القاعدة) وأن تقسم موادا الفن الى أقسام صغيرة وكبيرة لتجعل بين كل قسمين منها هدنة طلبا لاعادة الطلبة ماسلف وربطه بما سيلقى عليهم فان ذلك داعية لسرورهم وباعث لاجتهادهم ومثلهم فى ذلك كمثل الراحلين فى طريق بعيد كلما قطعوا مرحلة حمدوا سراهم وفرحت نفوسهم وقويت عزائمهم بالجواز فى أخرى

وان نعين ما يجب أن يبتدأ به فى ترتيب مواد الفن ولذلك أربعة أحوال . الاول أن يبتدأ من الخاص الى العام . الثانى من العام الى الخاص . الثالث من الاجزاء الى المجموع . الرابع من المجموع الى الاجزاء

أما الاول والثانى فيجب اتباعهما بالنسبة الى تعليم الناشئة المبتدئين واتباع الثالث والرابع بالنسبة الى تعليم المتقدمين وعلى كل فالقاعدة التى تحمل عنك مؤنة الاختيار أن تتبع من تلك الاحوال ما يناسب كل فن فان علم النباتات مثلا يحتاج فى الابتداء بتعليمه الى ذكر العام ثم الخاص حيث تقسم النباتات أولا تقسيما عاما الى فصائل ثم ينظر فى كل نبات بخصوصه لينسب الى فصيلته وكذلك القول فى علم الحيوانات من تقسيمها الى عالية ودنيئة والعالية الى فقرية واللافقرية والفقرية الى ثديية وغير ثديية وهكذا لينسب كل حيوان بخصوصه الى جنسه وقس على ذلك باقى الفنون والعلوم

وهناك حالتان مشتركتان وهما أن يبتدأ بالاسباب ثم المسببات أو بالمسببات ثم الاسباب ويستعملان معا فى علمى التاريخ والطبيعة حيث يبتدأ فى تعليمهما أولا بالمسببات ثم الاسباب وعند الاعادة بالعكس

هذا وترتيب جدول العلوم موكول لاولى ادارة المعارف ولا يجوز القاء زمامه الى المعلم مالم يعززه تصديق رسمى من الادارة ولا يظن من ذلك أن تشابه هذه الحالة تمس من حقوق المعلم وحريته ونعتبره كآلة نصرفها كيف نشاء كلا فان له حقوقا أخرى وحرية تامة فى تنفيذ مضمون هذا الجدول

---

(١) هو يوحنا هاينريك بستالوتسى ولد سنة ١٧٤٦ ميلادية بمدينة زوريك بلاد سويسرا ومات سنة ١٨٢٧ بقرية تسمى بروج بسويسرا وكان فى ابتداء أمره تاجرا ثم اشتغل بوضع حكايات وقصص وكان فى تلك الاثناء يطالع كتب الفيلسوف روسو الفرنساوى ثم تصدى للبحث فى علم النفس وأحوالها ونسبتها الى الجسم وفى طرق التربية فنبغ وألف التآليف المفيدة باللغة الالمانية وأسس مدارس كثيرة حتى اشتهر ذكره فى الآفاق وقصده الملوك لزيارته والعلماء للاخذ عنه ولم تزل طريقته منوالا ينسج عليه علماء التربية والتعليم الى وقتنا هذا وسيأتى لنا ذكر ترجمة حياته وطرقه وآرائه فى الجزء الثالث من كتابنا هذا اهـ مؤلفه

جـــــدول التعـــــليم

ويتظـــر فى وضـــعه الى ثلاثة أمور

الاول — ترتيب مواد الفنون معا حسب مراتب الناشئ الطبيعية وحسب كل فصل من فصول المدرسة بان تكون جميع المواد المقروءة بفصل واحد مناسبا بعضها بعضا لا يشذ احداها عن الاخرى وأن يكون كل فن خادما للآخر مساعداله فى الوصول الى المقصود مثال ذلك اللغة بالنسبة الى الفصل الاخير من المدرسة فينبغى أن يلاحظ فى تعليمها أغلب المواد التى تدرسها الناشئة بذلك الفصل كأن تكون كتب المطالعة مشتملة على حكايات جغرافية أو عبارات تشرح أشكالا هندسية الى غير ذلك وقس عليها جميع الفنون فى كل الفصول

والقاعدة التى تحيد بنا عن الضلال فى ذلك المنهج أن يكون كل فرع من فروع الفنون آخذا مع غيره تناسبا حسب مراتب الناشئ الطبيعية والعقلية سائرا معه فى طريق غايتها الحصول على المقصود من التعليم

وأنت تعلم أن ذلك يسهل اذا نيط معلم واحد بتعليم جملة فنون فانه لا محالة يلاحظ جميعها عند تعليم أحدها وأما اذا كان كل فن على حدته منوطا تعليمه بمعلم مخصوص له فينبغى أن يلاحظ اتفاق أولئك المعلمين وسيرهم سيرا واحدا لا يشذ أحدهم عن الآخر ولذلك يحسن بكل معلم لفن واحد أن يكون له المام بالفنون الاخرى المقروءة بالمدرسة

الثانى — تعيين القدر اللازم تدريسه من مواد العلوم لكل فصل من الفصول وتخصيصه بزمن محدود بشرط أن يكون ذلك القـدر جزآ مستقلا فى نفسه منفصلا عما سيتلوه بقـدر الامكان مثال ذلك تقدير العـدد الصحيح ثم الكسر بالنسبة الى علم الحساب وكتقدير مقالة الخطوط والمثلثات ثم مقالة الدوائر بالنسبة الى علم الهندسة فان تلك المواضيع منفصل بعضها عن بعض وحكمة تعيين ذلك ليست بخافيـة فانه يضبط المعلم بموضوع واحد يكون نصب عينيه فى جميع أزمانه وأحواله ويمنع من تشتته وخروجه عن الموضوع ويبعث فى المعلم الكسول اجتهادا طلبا لتتميم ماقرر عليه ويكون دليلا للمفتشين لايقاعهم الحكم بتقدم الناشئة أو تأخرهم

الثالث — تعيين كتب التعليم لتكون بيد التلامذة يستحضرون منها الدروس التى ستلقى عليهم ويراجعون بها ماعزب عن أفكارهم ويستخدمونها عنـد الاعادة والمذاكرة ولا غنى عنها فهى مندوحة عن ضياع الزمن الذى تصرفه التلامذة فى كتابة الدروس الملقاة عليهم ولكنها ربما حادت عن طريق المعلمين التى يسلكونها أو تضيق عليهم سيرهم أو تكون داعية لاهمال الناشئة وعدم اكتراثهم بما يلقيه عليهم معلموهم معتمدين فى ذلك على ما بأيديهم من تلك الكتب

ولذا لزم تعيينها بمعرفة أولى الادارة بحيث تكون تلك الكتب آخذة غاية فى البساطة والاختصار مشتملة على القواعد العامة فقط بدون اسهاب وكثير توضيح فان الكتب لا يراد منها أن تقوم مقام المعلم بل أن يكون المعلم باعثا فيها روحا بزيادانه وتوضيحاته الشفاهية (١)

جـــــدول الدروس

ويبحث فى وضعه الى تقسيم الزمن اليومى لكل فصل من فصول المدرسة وتخصيص كل جزء من ذلك الزمن بتدريس فن من الفنون والى تقدير عدد الدروس فى كل علم بالنسبة الى الاسبوع ويلزم أن يؤسس على ثلاث قواعد

(القاعدة الاولى) أن نختار لتعيين كل درس الزمن الموافق له بالنسبة الى قوى الناشئ العقلية والجسمية ولذلك ينبغى أن نخص زمن الصباح الى الظهيرة بالدروس الصعبة المحتاجة الى كثير التأمل والفكر فان أجسام الناشئة فى ذلك الوقت نشيطة وأفكارهم حادة عادة وان نخص زمن بعد الظهر بالدروس السهلة أو التى يكون تعلمها آليا

ويحسن أن نجعل بين كل أربعة دروس نسبة متساوية بان تكون نسبة الدرس الاول فى الصعوبة الى الثالث كنسبة الثانى فى السهولة الى الرابع حتى لا ينبعث فى الناشئة الملل

(القاعدة الثانية) أن نلاحظ قوى الناشئ العملية حتى لا تتعب أو تضعف ولذلك يلزم أن يكون زمن التدريس جامعا بين العمل والراحة لاسيما للاطفال فانت خبير بانه يصعب على الطفل الذى طبع على كثرة الحركة وعدم الصبر أن يعير التفاته الى موضوع واحد ساعة تامة ولذا نرى أن نقدر لكل درس من دروس الاطفال فى الفصول الاخيرة نصف ساعة الى ثلاثة ارباع ساعة وان نكثر من التبادل بين الدروس العقلية والآلية فنجعل بين كل درسين عقليين درسا آليا مثل الخط والرسم ورياضة البدن

وأما عدد الدروس اليومية التى تدرسها الناشئة فينبغى تعيينه بمعرفة الاطباء فان هذا يختلف باختلاف الاقطار والاحوال المعاشية

(القاعدة الثالثة) أن يكون تعاقب الدروس اليومية بحالة لا تضر بصحة الناشئة ولذا ينبغى أن نعقب الدرس الذى يلزمهم أن يجلسوا به بدرس آخر يدعوهم الى الوقوف والحركة وان نجعل بين كل درسين دقائق للاستراحة من خمس الى عشر دقائق وبعد كل درسين ربع ساعة

---

(١) هكذا كانت كتب العلوم الاسلامية ثم أتى عليها حين من الدهر غفل فيه الانسان عن المقصود من وضعها فألقى عليها شروحا وللشروح حواشى وللحواشى تقارير وللتقارير هوامش وللهوامش طيارات وهكذا حتى أبعدت عن الوصول الى الغاية التى قصدها الاولون ولا أزيدك فى ذلك فانت أعلم عما هنالك اهـ مؤلفه

ويحسن اذا أمكن أن يكون الدرس الذى يخرجون منه الى الغـداء والدرس الذى بعـده مما يدعو الى تحريك أصواتهم أو أجسامهم كالتلاوة مثلا والرياضة البدنية فان ذلك قبل الغداء مما يقوى شهوتهم الى الاكل ويعين بعده على الهضم (تسأل الاطباء عن ذلك) ومن ذلك تعيين ساعة حضور الناشـئة الى المدرسة صباحا وساعة انصرافهم منها ويكون ذلك باشارة الاطباء لاختلاف الزمن باختلاف الاقطار وفصول السنة كما يختلف باختلاف الناشئة فى السن (١)

وفوائد جدول الدروس جمة فانه يكفل برضاء الآباء واطمئنانهم لعلمهم بان زمام أبنائهم غير ملقى لارادة المعلمين واختيارهم المحض ويكون داعية لتعويد الناشئة على تقسيم زمنهم على الاعمال اليومية وترتيب أشغالهم ويكون دليلا للمفتشين بحسبه يجرون زيارتهم المدارس

هـذا ويلزم أن يعلق جدول الدروس بفصـله الخاص به وان يعلق جدول دروس المدرسـة باجمعها فى الممر العمومى بالمدرسـة ويحسن أن يطبع فى أول صحيفة من الكراريس المعـدة للتلامذة جدول خال عن الارقام والكتابة ليكتب فيه التلميذ أوقات دروسه اليومية

فصـــــل

(فى صـــورة التعـــليم)

لقد علمنا مما تقدم فى الفصـل السالف كيف نقسم مواد الفنون وكيف نرتب مسائلها ترتيبا يكفل بالنجاح ولكن حيث نعلم ان لكل مادة صورة هى أليق بها رأينا ان لنا حاجة الى معرفة صورة تعليمها وكيفية القائها على الناشئة ولا أفغر للشباب البحث فى ذلك فأقول

---

(١) الاطفال الاحداث بالفصول الاخيرة بمدارس ألمانيا يتأخرون فى الحضور الى المدرسـة صباحا عن الناشئة فى الفصول العالية بمقدار ساعة فى الشتاء ونصف ساعة فى الصيف وذلك لاحتياج الاطفال الاحداث الى كثرة النوم هذا ويحسن بى أن أعرض أمنيتين لى فى هذا المقام (الاولى) زيادة نصف يوم وسط الاسبوع لبطالة تلامذة المكاتب الاهليـة والمدارس الابتدائيـة على نصف يوم الخميس وكامل يوم الجمعـة فانى أرى أن تعاقب خمسة أيام متواليـة على التلامذة بالمدارس المذكورة مما يثبط من هممهم ويدعوهم الى الملل وضجر القوى العقلية والجسمية فاذا حازت أمنيتى هذه قبولا فلتصرف أولئك التلامذة ظهر يوم الاثنين من كل أسبوع كما هو بمدارس أوربا على اننا أحق بذلك من أمة المغرب لامرين الاول ان طبيعة قطرنا تدعو الى بعض الدعة والسكون الثانى ان التلامذة لدينا يمكثون بالمـدارس عامة النهار وأما تلامذة أمة المغرب فبخلاف ذلك (الثانية) اعطاء اجازة لكل تلميذ بالمدارس الابتدائية بعدم حضوره الى المدرسة فى اليوم الموافق ليوم ميلاده من كل سنة لان ذلك ينبههم الى معرفتهم قدر أنفسهم فمن العيب المحض أن تسأل انسانا عن يوم أو سـنة ميلاده فلا يحير جوابا اهـ مؤلفه

ان لتعليم مواد الفنون وكيفية القائها على الناشئة صورتين

(الصورة الاولى) أن يلقى المعلم درسه كأنه الخطيب والتلميذ يصغى اليه ولكن لايعزب عن أفكارك أن استعمال هذه الصورة لايمكن الا بالمدارس العالية وانه يستحيل اتخاذها بالمدارس السافلة الا اذا أعاد التلميذ ماألقاه عليه المعلم على أن اعادة موضوع طويل من الصعب على الناشئ فان قلت ربما نجح استعمالها اذا أعاد التلميذ كل جملة يلقيها عليه المعلم أقول نعم ولكن أنت تعلم أن المعلم فى حاجة الى سؤال الناشئة ليكون على بينة من ادراكهم ما يلقيه عليهم أوعدمه فان كل تدريس لايعرف منه ذلك لايفيد الاعناء ولاينتج الاخيبة نعم ان لهذه الصورة مواضع مخصوصة لاينوب عنها غيرها كالقاء حكاية أووصف شئ ليس الا وحينئذ ينبغى للعلم الذى يؤم هذه الطريقة أن يكون قادرا على التعبير عما فى ضميره بعبارات واضحة سهلة وأن يكون فصيح القول بعيدا عن اللغو وأن يعرف كيف يطبع المعانى فى عقول الناشئة وأن يلقى خطابه شفاهيا لايتلو من كتاب أوورق اللهم الا تقييداته التى يرتب بها موضوع مايلقيه ولذلك يجب عليه أن يستحضر الدرس قبل القائه وأن يتمرن على كيفية الخطابة بانواعها

(الصورة الثانية) أن يخاطب المعلم التلميذ ويجاذبه أطراف الحديث فى الموضوع بان يسأله وهو يجيبه ومعلوم أن هذه الصورة لايتأتى القيام بها أيضا بالنسبة الى الناشئة فان المعلم لامحالة يضطر فى بعض الاحيان الى الخطابة ومن ذلك نرى أن نجمع بين الصورتين الاولى والثانية ونستعمل كلا منهما فى موضعها المناسب لها وفى ذلك تظهر مهارة المعلمين

وهذه الطريقة الجامعة بين الخطابة والسؤال مهمة جدا فان بها التلميذ يقتسم المعلم أفكاره واحساساته وبها يكون المعلم على بينة من قرائح التلامذة ومقدار عقولهم ومن تقدمهم أوتأخرهم وتبعث من تنبههم وتدعو قواهم العقلية الى العمل وتعودهم على المهارة فى التكلم ولما كانت هذه الطريقة وعرة السلوك لاحتياج المعلم الى معرفته كيف يلقى السؤال وكيف يلاحظ أجوبة التلامذة رأينا أن نبحث فى طرق السؤال والجواب فنقول

السؤال

هو طلب الاخبار بشئ أوعنه بحالة من أحواله وله أنواع كثيرة باعتبار موادالخبر فاما أن تسأل عن الفاعل كقولك من خلق السموات والارض ومايمشى من الحيوانات على رجلين أوعن الفعل كقولك مايصنع التلميذ فى المدرسة أوعن المفعول كقولك من يجب على التلميذ أن يطيعه أوعن الصفة كقولك مالون هذا الورق أوعن المبتدأ كقولك من هو خالق العالم أوعن الزمن كقولك متى فتح المسلمون بلاد مصر وفى أى سنة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكم سنة مكثت حروب الصليب أوعن المكان كقولك أين كانت غزوة بدر والى أين هاجر صلى الله عليه وسلم وعلى أي جبل يقف الحجاج أوعن السبب كقولك لماذا نذهب الى المدرسة أوعن الكيفية كقولك كيف حاربت شهداء بدر وكيف يكلم الصديق صديقه أوعن الحد والتعريف كقولك ماهو الكرم وماهى السرقة

والسؤال أنواع أخرى باعتبار مايعرض للخبر كأن تسأل عن الايجاب مثل قولك هل الله واحد (نعم) أوعن النفى كقولك هل هو جسم كالاجسام (لا) ولا ينبغى استعمال هذا النوع الافى مواضع مخصوصة كمساعدة التلامذة والتسهيل على ضعفائهم أوعن الكمية كقولك ماهم الناس القابلون للموت (كلهم) أوعن الاحتمال كقولك هل يمكن للانسان أن يتربى أوعن الوقوع كقولك ماحصل سنة عشرين هجرية أوعن اللزوم كقولك مايلقاه الجانى (العقاب)

وهنالك أنواع كثيرة للسؤال تختلف باختلاف المواضيع يهتدى اليها من تتبعها الاأنه يهمنى أن أنبه على أنواع من السؤال ربما استعملها المعلمون على خطئها وذلك كالسؤال الذى يلقى المعلم بعضه على التلميذ ويلزمه باتمامه كقوله نهر النيل يصب فى . . . وكقوله أبو بكر كان خليـ . . . فيجب اجتناب هذا النوع اللهم الافى علم الحساب فيجوز استعماله طلبا للاختصار كقولك ٥ × ٦ = . . . وكذلك يجب اجتناب السؤال المزدوج أى الجامع بين سؤالين كقولك مامنظر هذا اللوح وما لونه وكقولك مايلزمنا فعله وتركه اذا أردنا أن نجعل أعداءنا أصدقاء فان ذلك مما يشتت من تنبه الناشئ ويوقعه فى الحيرة لايدرى الى أيهما يوجه التفاته وعن أيهما يبدأ بالجواب

وأرى أن أقف بك على ماسأضعه من التنبيهات لاهميتها فى الموضوع فاقول

الاول ـ يلزم أن يكون السؤال مختصرا عاريا عن الالفاظ التى ليست منه كقول المعلم قبل السؤال من يقول منكم كذا وكذا أوأريد أن أسألكم أو بعد السؤال كقوله من يجيب منكم عن سؤالى هذا فان ذلك يثبط من هممم الناشئة ويضعف من تنبههم ويدعو الى الكسل ويضيع الوقت الثمين ويلزم أيضا أن يجتنب بعض الالفاظ التى تعوّد عليها بعض المعلمين كقولهم ضمن سؤالهم نعم هيه بقى كده وأمثال ذلك مما سببه العى فان المقصود أن تتعلم الناشئة وتتمرن على الكلام لا اللغو

الثانى ـ أن يكون السؤال سهل العبارة بحيث يفهمها التلامذة بمجرد سماعها ولذلك ينبغى اجتناب الالفاظ المتكلفة أو الغريبة عن اللغة والاصطلاحات العلمية مالم يعلموها أو ينبهوا اليها وكذلك الالفاظ المستهجنة فان ذلك كله ينافى وضاحة السؤال ولما كان استعمال العبارات

والالفاظ يختلف باختلاف البلدان والمديريات يحسن بالمعلم الذى يوجه الى بلدة لهجة أهلها مخالفة للهجته أن يتتبع ويلاحظ ألفاظ أهلها ليكون على بصيرة منها عند استعمالها فربما كان للفظ معنى آخر لا يعهده فيه فيأتى بالنقيض (١)

الثالث — أن يكون السؤال معينا لا يتناول سوى جواب واحد بان لا يكون موضوعه أو عبارته محتملين لكثير من المعانى فيجب اجتناب التورية البديعية وبعض أنواع الجناس الموقعين فى اللبس

الرابع — أن يوقع المعلم بصوته على الالفاظ المهمة فى السؤال مثال ذلك قولنا ما يلزم أن نتلوه فى الصلاة فيرفع المعلم صوته عند النطق بلفظ نتلوه أو بلفظ الصلاة أو بهما معا حسب المرغوب

الخامس — أن لا يكون موضوع السؤال صعبا فتعجز عنه قوى الناشئ العقلية ولا سهلا فلا يعمل فكره ويحرك من تنبهه ولذلك ينبغى أن يلاحظ المعلم القوى العقلية لكل تلميذ حتى يوجه اليه السؤال على حسبها وأن يكون ماهرا فى تغيير عبارة السؤال مع بقاء الموضوع والمعنى

السادس — أن يكون السؤال عاريا عما يدعو الى الخروج عن الموضوع فانه لا أضر فى التعليم من أن ينسى المعلم موضوعه ويكثر من الاستطرادات

تبصرة

وكيفية القاء السؤال على الناشئة أن يلقى المعلم سؤاله على جميع التلامذة ثم يدعو أحدهم لان يجيب وذلك طلبا لان يعمل كل منهم فكره ويستعد للجواب ظانا أنه سيدعى ولذا يحسن أن ينتظر المعلم برهة يسيرة بعد السؤال وقبل استدعائه أحدا منهم واذا سأل المعلم حسب الدور فينبغى أن لا يدع أحدا منهم بدون سؤال

ويجب على التلامذة الذين يريدون الجواب أن يرفعوا أيديهم اليمنى ويشيروا باصابعهم السبابة الى أعلى اشارة الى أنهم يرغبون الجواب واذن يدعو المعلم أحدهم باسمه لان يجيب وله أن يدعو أحدا من الذين لم يرفعوا أيديهم اشارة الى انه كان فى انتظار وأمل منهم أن يجيبوه ويوبخ خالهم واذا رفع أحدهم ولم يقدر أن يجيب عوقب كما يعاقب التلميذ الذى لم يرفع يده وكان قادرا على الجواب

---

(١) اليك حديثا يوضح لك المقام وذلك ان أحد معلمى ولايات البروسيا وجه الى برلين عاصمتها بوظيفة معلم باحدى مدارس البنات وبينما هو ذات يوم يشرح لهن أمثلة اذ زلق لسانه فقال هذه الجملة (على حسب القاعدة) فاطرقن برؤسهن واحمروجههن خجلا فارتاب لذلك المعلم ثم عرض حديثه على بعض أصحابه فقال له صاحبه لا غروا ذا خجلن ألم تعلم أن كلمة القاعدة تستعمل لدى سكان برلين بمعنى الحيض اهـ مؤلفه

أما اذا لم يرفع أحد منهم يده فسببه اما عدم انتباههم أو صعوبة السؤال أو عنادهم وعلى المعلم أن يتلافى الاول والثالث بالعقاب والثانى بتسهيل عبارة السؤال أو اعادته ثانية

واذا رفع الجميع أيديهم فينبغى أن لا يدعو الجميع لان يجيبوا معا بصوت واحد فى آن واحد لان ذلك لا يدل على أن كلا منهم قد أصاب الجواب فربما قلد أحدهم الآخر فى صوته على أن فيه لغطا شديدا ووجبة عظمى اللهم الا فى مواضع مخصوصة كالسؤال عن جملة اصطلاحية أو حكمة أو آية قرآنية فيجوز أن يجيب الجميع بشرط أن يأخذ صوتهم تناسبا ومقطعا واحدا كتوقيع الالحان هذا ويجب على التلميذ الذى يدعوه المعلم للجواب أن يقوم فى موضعه ويقف متأدبا ويجيب بصوت عال بحيث يسمعه رفقاؤه وعلى المعلم أن يلاحظ أدبه فى قيامه ووقوفه فلا يدعه يقوم متحاملا أو يقف متكئا كما يلزمه أن يصوغ جوابه فى جملة مستقلة بان يحل عبارة السؤال الى عبارة الخبر ويدرجها ضمن جوابه

الجـــــــــواب

المقصود من استدعاء المعلم أحد التلامذة للجواب أن يستدل به على مقدار ما فهمه ولا يخلو التلميذ حينئذ من ثلاثة أحوال وهى أن يصيب فى الجواب أو يخطئ فيه أو لا يجيب ألبتة ولنتكلم على كل حال منها فنقول

(الحال الاول) أن يصيب التلميذ فى جوابه واذن ينبغى للمعلم أن يتفرس وينظر هل كانت اصابته صادرة عن علم بالموضوع أو لا فربما صدرت عن الصدفة والتخمين أو كان حافظا الجواب عن ظهر قلب بدون فهم المعنى أو لقنه أحد أقرانه المجاورين له(١) فاذا اشتبه عليه حال التلميذ سأله شرح جوابه فان أصاب لاحظ المعلم باقى التلامذة فربما لم يسمعوا جميعا الجواب أو سمعوه ولم يفهموه وحينئذ يدعو المعلم التلميذ لان يعيد جوابه ويرفع صوته ويشرح الجواب أو يوضحه المعلم لهم بنفسه

(الحالان الثانى والثالث) أن يخطئ فى الجواب أو لا يجيب ألبتة وفى هذين الحالين ينبغى للمعلم أن يبحث عن السبب ولا يظن بادئ بدء أن السبب لدى التلميذ بل يرجع الى نفسه فربما كان السبب لديه بان كان سؤاله صعبا أو كان هو مستعملا لقساوة فاذا كان كذلك فليبدأ بنفسه وليصلح ما أتى به واذا كان السبب منحصرا فى التلميذ فلا ينبغى له أن يتركه ويدعو آخر للجواب بل يفاوضه الحديث ويسائله حتى يهتدى اليه بنفسه وليبحث عن السبب فان كان السبب عدم انتباه التلميذ للسؤال أعاده له ثانية أو عدم فهمه عبارة السؤال لصعوبتها صاغها فى قالب

---

(١) فى هذه الحالة ينبغى عقاب الملقن والملقن اهـ مؤلفه

عبارة أخرى أسهل منها أو كان التلميذ قد أعمل فكره ولكنه لم يصادف الحقيقة ساعده وسهل عليه أو كان السبب خوفه أو فزعه أو حياءه أو جبنه قوى من جأشه وبعث من همته ولاطفه وألان جانبه اليه أو كان التلميذ معاندا لا يريد أن يجيب أو خبيث الطبع وقد أتى بما يخجل أدبه وعاقبه حسب ما يأتي لنا عند الكلام على العقاب

وليحذر المعلم في هذا المقام من اطالة الوعظ والتوبيخ والتأنيب وذكر فضائل الادب فان ذلك يضيع الوقت ويخرج عن الموضوع ويكون أشهى للتلامذة من تعنيفهم بالسؤال والجواب ثم ان خطأ التلميذ في جوابه اما أن يكون في الموضوع أو في العبارة فان أخطأ الموضوع وأصاب العبارة سأله ثانية وساعده حتى يهتدي بنفسه اليه وان أخطأ العبارة وأصاب الموضوع ألزمه باصلاحها أو أصلحها له

وبالجملة فيجب على المعلم أن يكون كالطبيب يبحث أولا عن العلة ثم يداويها ويتلافاها كما يجب عليه أن يكون للناشئة لين الجانب سمح السجية حسن الخلق ملاطفا الضعفائهم مظهرا سروره لنبهائهم

وينبغي أن لا يستعمل غالبا كلمات الاستحسان والاقرار على أجوبة التلامذة كأن يقول طيب لطيف عظيم خالص شاطر جدع ماشاء الله فان كثرة استعمال ذلك مما يرخص مقدار المدح في أعينهم ويكون داعية لتساوي المدح والذم لديهم وأن لا يكثر من اللغط في الكلام عند حالتي السؤال والجواب بل يلزم أن يكون رزينا تعلوه الهيبة والوقار ولكنه اذا اضطر الى التكلم كأن يريد من التلميذ أن يرفع صوته أو يخفضه أو يسرع أو يبطئ بالجواب فالاولى والاليق به أن يستعمل الاشارة بدلا عن الكلام كأن يرفع أصبعه السبابة من اليد اليمنى الى أعلى اشارة الى التلميذ أن ارفع صوتك أو يخفض يده الى أدنى اشارة الى خفض صوته أو يرسم باصبعه السبابة دوائر صغيرة اشارة الى السرعة أو يرفع يده ضاما أصابعها مع تحريكها اشارة الى التؤدة والابطاء بالجواب وهكذا فان كثرة لغط المعلمين يدعو الى جراءة التلامذة عليهم ويشوش من أفكارهم وينافي آداب المعاشرة والتعليم

فصل

(في وسائل الاخذ بالتعليم)

تقرر لنا من نواميس علم النفس ومما هدانا اليه الاختبار أن الانسان متى مال الى شيء تعلمه سريعا ونحن نعلم أن بعث الميل في الناشئة الى تعلم الاشياء يتوقف على وسائل خارجة عن مواد العلوم

تكون مناسبة للقوى العقلية والجسمية للمتعلمين ومؤثرة فى عقولهم وطابعة المعلومات فى أنفسهم ولو تتبعنا تلك الوسائل التى يمكن استعمالها فى الاخذ بالتعليم لالفيناها تسع وسائل وهى العرض والتقليد والحكاية والوصف والانتاج التدريجى والشرح والتمرين والاصلاح والاملاء وها أنا أشرح لك كيفية استعمال كل منها فأقول

العـــــــرض

وأعنى به أن تعرض المعلمون الاشياء المتعلقة بمواد الفنون على أنظار التلامذة لاأن يصفوها لهم لان العرض يكون مندوحة عن ضياع الوقت فيما اذا وصفت الاشياء بالكلام ولان تصور الناشئة الاشياء بعد نظرها يكون قويا جدا وداعيا السرعة تذكرها على أن الناشئ بنظره الى الشئ يحصل على تصورات لا يأتى بها الوصف والنعت (فما راء كمن سمعا)

و يجب أن لا نبتدئ فى أخذ الاحداث الا بعرض الاشياء وتوجيه التفاتهم اليها لعلمك بان الاطفال فى أوائل نشأتهم لا يعيرون الاشياء المحيطة بهم أنظارهم على أنهم فى نظرهم اياها عديمو التأمل بحيث ينقضى تصورهم اياها بمجرد زوالها عن أنظارهم ولا يبقى لها أثر فى أنفسهم (راجع تذييل الانا والنحن صحيفة ١٩ والنشأة النفسية صحيفة ٣٦ جزء أول)

ولا يفهم من ذلك أن نخص عرض الاشياء بالتلامذة الاحداث كلا بل نستعمله فى جميع مراتب الناشئة سواء فى المدارس السافلة والعالية حسب ما تحتاج اليه مواد العلوم

واذا كانت الاشياء التى تقتضيها مواد العلوم لا يتيسر عرض ذاتها يجب عرض صورها مثال ذلك الجغرافيا فان أشياءها التى يمكن عرضها ليست الا صورا مثل الكرة الارضية الصناعية والخريطات وربما لا يطلب لعلم شيأ للعرض كالتاريخ فلا يحتاج فيه الى عرض أشيائه فالاطفال لا محالة لهم بعض المام بمعنى الملوك والجند والحرب اللهم الا عرض ما يمكننا الحصول عليه مثل صور البلاد المقدسة كمكة والمدينة وبيت المقدس والبلاد التى لها أهمية فى تاريخ الانسان وكالمبانى الشهيرة فى التاريخ والصناعة

وربما لا يمكن تعليم فن الا بعرض أشيائه كالهندسة فلا يتأتى تعليمها الا بعرض الخطوط والاشكال وكذلك علم الحساب بالنسبة الى الاطفال فينبغى أن نعرض عليهم أولا أجساما صغيرة ليتصوروا معنى العدد ونسبة أجزائه الى مجموعه

ولعرض الاشياء نواميس يجب اتباعها وهى

أولا — أن نعرض على الناشئة الاشياء كاملة المادة وان كانت بسيطة

ثانيا - أن ننبه من التفاتهم نحو المعروض عليهم ولذلك ينبغي أن نترك الاشياء أمام أعينهم زمنا يتمكنون فيه من تصورها وأن نساعد ضعيفي النظر منهم وأن نحضر عددا عظيما من الاشياء ان كانت صغيرة الحجم كي ينظرها الجميع كالنباتات وغيرها

ثالثا - أن لا نعرض عليهم صور الاشياء اذا أمكن عرض ذاتها فاذا لم يمكن جاز عرض صورها بان كانت الاشياء غير موجودة أو لا يمكن احضارها الى المدرسة كالحيوانات المتوحشة (١) أو النباتات التى لا تنبت الا بالاقاليم البعيدة وكالكرة الارضية الصناعية والخريطات الجغرافية كما تقدم (٢)

رابعا - أن لا نعرض عليهم كثيرا فى آن واحد كيلا تتشتت أفكارهم

خامسا - أن لا نتعبهم بكثرة النظر وأن نساعد ضعفاءهم بالسؤال وأن نبعث التفاتهم الى أجزاء الاشياء ومجموعها اذا أمكن تقسيمها

سادسا - أن نطبع أسماء الاشياء فى عقول الناشئة عند عرضها عليهم كى يسهل عليهم تصورها فيما بعد بمجرد تذكر أسمائها وأن نتركهم لان يصوغوا بعض جمل سهلة بشأن المعروض عليهم

سابعا - أن ننبههم الى الاشياء المتماثلة وأن نضاهى لهم بينها

ثامنا - أن نوجه نظرنا الى التلامذة لا الى الاشياء فقط

التقليـــــد

وأقصد به أن تقلد الناشئة ما يلقيه عليهم المعلم من الكلام أو ما يضعه أمامهم كالخط والرسم وغيرهما ولا غنى لنا عنه لعلمك بان الانسان مطبوع على التقليد لاسيما الاطفال فلا جرم أن نستخدم ما طبعوا عليه فيما يقيم من ألسنتهم ويقوى من احساساتهم ويدعوهم الى المهارة فى أعمالهم

وينبغي أن لا نخص التقليد بمرتبة دون أخرى بل بجميع مراتب الناشئة كل مرتبة على حسبها فانت تعلم أن الناشئة المتقدمين فى حاجة الى تقليد معلميهم فى أقوالهم وأعمالهم كتقدماتهم

(١) ينبغي اذا كان بالمدينة محل معرض للحيوانات أو النباتات أن يتوجه المعلم مع الناشئة ويعرضها عليهم اهـ مؤلفه

(٢) مما يقوم لنا مقام الموعظة أن أحد المعلمين بالمدرسة التى أنشأها بستالوتسى البيداجوجى الشهير أراد أن يطبع فى عقول تلامذته صورة سلم خشب فرسمه لهم على التختة وصار يشرحه لهم فبادر أحد الاطفال وقال له ان بحوش المدرسة سلم خشب أكبر من هذا بكثير ومذ سمع (بستالوتسى) كلام الصبى وكان حاضرا أطرق برأسه الى الارض ثم قال للمعلم لا تعرض صور الاشياء متى امكنك عرض ذاتها اهـ مؤلفه

ونتائجهم ورسومهم التى يستعملونها فى القضايا الهندسية والنواميس الطبيعية والكيماوية ولكنه بالنسبة الى الاطفال أهم جدا لعدم قدرتهم على صوغ الكلمات والجمل ورسم الاشياء من ذات أنفسهم

أما تقليد ما يصنعه أمامهم المعلم كالخط والرسم فله قواعد يجب التنبه اليها وهى

أوّلا — يلزم أن يكون ما نصنعه أمامهم آخذا كمال مادّته فلا نرسم حرفا من كلمة أو جزأ من شكل وندعوهم لاتمامه

ثانيا — أن نبعث التفاتهم نحو ما يقلدونه حتى لا يصدر عنهم بدون سابقة روية وتفكر

ثالثا — أن نلاحظ صحة تقليدهم كيلا يبتدئوا فى تقليد الاشكال أو الكلمات بأواخرها أو أواسطها أو من أسفل أو أعلى

رابعا — أن نلاحظ جودة التقليد وان قل عدد المقلد فقليل جيد خير من كثير ردىء

خامسا — أن نمرنهم مرارا حتى يقرب ما يصنعونه من النموذج الاصلى كالمشق والاشكال الرسمية ولكن بحالة لا تدعوهم الى الملل

سادسا — أن نسهل عليهم طرق تقليدهم الاصل

وأما تقليد ما يلقيه عليهم المعلم من الكلام فله أهمية كبرى بالنسبة الى الاطفال الذين لم يقدروا على المطالعة حيث يلزم أن نطبع فى حافظتهم كثيرا من الالفاظ والجمل لتفتق من ألسنتهم وتربى فيهم آلة النطق ومخارج الحروف ولذلك ينبغى

أوّلا — أن يكون ما نلقيه عليهم مما يفيدهم فى الحال أو الاستقبال وذلك كالدعوات والابيات الشعرية المتضمنة لمكارم الاخلاق أو الباعثة لحب الوطن أو الداعية للافتخار بالامة أو الحكايات الحكمية المختصرة العائدة على المعاش أو المعاد(١)

ثانيا — أن يكون ما نلقيه عليهم بسيط العبارة سهل الموضوع بحيث يفهمونه بقليل الشرح والتوضيح

ثالثا — أن نلقى عليهم ذلك جملة جملة

رابعا — أن نلقى عليهم الكلام بصوت يسمعه الجميع واضح الحروف موقعا على المقاطع

(١) ينبغى لذلك تكليف ادباء الامة بانشاء أدوار أو قصائد شعرية تتضمن محاسن الاخلاق وتبعث فى الناشئة الفخار بامتهم والشغف بوطنهم بشرط أن تكون سهلة الالفاظ ولو كان تركيبها قريبا من اللهجة العامية ولا تخفى فائدة ذلك على المتبصر الحكيم اهـ مؤلفه

وكيفية تقليدهم ما نلقيه عليهم أن نقسم تلامذة الفصل الى أقسام بحسب مقاعدهم الجالسين عليها ثم نطلب من أفرادهم تلاوة ما يلقى عليهم أو من كل قسم أو من الجميع معا بصوت واحد ويحسن التبادل فى تلك الاحوال ولا تعزب عنك حكمة ذلك فانه يدعو من سرورهم ويبعد من مللهم ويقوى جاش خائفيهم ويبعث الشجاعة فى جبنائهم ويلزم أن يكون تنبيه الافراد أو كل قسم أو الجميع بواسطة الاشارة باليد أو بعصا صغيرة وأن نلاحظهم وقت التلاوة وأن نتركهم ليكرروا ما تلاه حتى ينطبع فى حافظتهم وتلهج به ألسنتهم

الحكاية

وهى أن يقص المعلم على تلامذته قصة أو خبرا من الاخبار لاسيما التاريخ الذى لا محيد عن تعليمه للناشئة لنبعث به من سرورهم ونوسع من دائرة أفكارهم وهو هو الطفل شغوف طبعا بسماع الاخبار والقصص كما عهدناه فى أنفسنا أيام الطفولة ولا نزال نجده فى ناشئتنا فترى الطفل اذا حدثته أمه بقصة وقد ضمه حجرها موجها جميع أفكاره اليها لا يجرأ أن يتنفس صاغيا بأذنيه شاخصا ببصره الى ما يصدر من بين شفتيها من الحديث وهو لا يزداد الا سرورا ولا يطلب الا مزيدا ولذا يلزم أن يكون المعلم جيد الحكاية قادرا على الاخذ بمجامع قلوب الناشئة يبعث من ميلهم تارة ويخلع من قلوبهم تارة أخرى ويحرك من سرورهم طورا وطورا من حزنهم وهم حينئذ كما يأنسون به ويميلون الى جانبه يلقون اليه أعنتهم ولاجل ذا يحسن بالمعلم أن يتمرن كثيرا على الخطابة وحسن الحديث وكيفية سرد الاخبار وأن يطلع على كثير من الرسائل السهلة الاسلوب السلسلة العبارة ليجعلها نموذجا ومنوالا ينسج عليه

وللمقام قواعد ينبغى البناء عليها وهى

أولا — أن يحكى المعلم للناشئة ما يفيدهم فى الحال أو الاستقبال

ثانيا — أن تكون عبارته سهلة بسيطة غير معقدة الجمل ولا مشتبكتها وأن يتخلص اذا أفضت الحاجة من موضوع الى آخر تخلصا غير صناعى

ثالثا — أن يخرج المعقولات من عالمها الى عالم المشاهدة والمحسوسات بخلابة لفظه وأن يشخص موضوع الحكايات تشخيصا طبيعيا فاذا حدث عن شجاع مال بعبارته الى الحماسة أو عن جبان مال بها الى الضعف والتهكم وهكذا

رابعا — أن يطلب من الناشئة حكاية ما ألقاه عليهم شفاهيا أو تحريريا فكما نقصد من تعليمهم الاخبار أن يتسع نطاق فكرهم نرغب أن نقيم من ألسنتهم ونمرنهم على حسن التعبير والافصاح

عما فى الضمير ولا نجد فرصة ننتهزها لذلك أحسن من اعادتهم ما نلقيه عليهم من الاخبار التاريخية ويكفي فى ذلك بالنسبة الى الناشئة الاحداث طريقة السؤال والجواب (راجع الاحساس بالآداب صحيفة ٢٤ جزء أول)

الوصـــــف

وهو أن يصف المعلم للناشئة ما عرضه عليهم من الاشياء ذاتها أو صورها أو التى لا يمكن احضارها أمامهم أو ما وصف ما يعرضه عليهم فلانه يعين حواسهم على تصوره وإدراكه وينبه من التفاتهم نحو خواصه وعلاماته وأما وصف ما لم يكن أمامهم فلانهم أحوج اليه

والاشياء المحتاجة للوصف كثيرة سواء الطبيعية والصناعية كالحيوانات والنباتات والمعادن والاحجار وأصناف النوع الانسانى وكالمنازل والابنية والمدن والبلدان والجبال والانهار وكالادوات المستعملة فى المعايش سواء حاجيها وكماليها

وينبغي للمعلم أن يأخذ فى وصفه الاشياء ترتيبا طبيعيا ونظاما عقليا ويختلف ذلك باختلاف الاشياء فيبتدئ مثلا فى وصف حيوان بالكلام على الرأس ثم الاعضاء فالبدن لا بالعكس كما هو معلوم بالبداهة وفى وصف النباتات بالاصل ثم الساق فالورق ثم الزهرة فالثمرة وقس على ذلك باقى الاشياء المحتاجة الى الوصف

وأن لا يتعرض فى وصفه الاشياء لما زاد عن المقصود منها بالنسبة الى الناشئة الاحداث كخواص وعوارض الاشياء البعيدة عن ادراكهم

وأن يكون بوصفه الشئ مشخصا حقيقته وصورته كأنه أمام أعينهم ومما يعين المعلمين على جودة الوصف أن يعيروا التفاتهم الى الاشياء وخواصها وعوارضها وعلاماتها حسب تركيبها الطبيعي أو الصناعي

الانتاج التـــــدريجى

وأعنى به أن نأخذ الناشئة بالتصورات الممكن ادراكها بحالة تدريجية حسب قواهم العقلية وندعهم لان ينتجوا منها ما يصعب عليهم ادراكه بادئ بدء كأن نرشدهم الى انتاج المعقولات من المحسوسات والعام من الخاص والقواعد من الامثال وهكذا

ولا يعزب عنك أهمية ذلك فبه تقوى قواهم العقلية ويتعوّدون على ايجاد الحدود والتعاريف وايقاع الاحكام وانتاج النتائج بأنفسهم قال بعض الحكماء وعهدى به أفلاطون لا يكن وكدك تقريب علم الشئ على المتعلم وايصاله اليه من غير تعب يلحقه فيه

فان هذا يعم حفظه ويخرب استطاعته ولكن لو ح له به وخلّ بينه وبين اجالة فكره فيه وسدده الى طرق الصواب فاذا تبينت الجهل فيه فافتح عليه اهـ

ولابد فى استعمال ذلك من النظر الى قوى الناشئة العقلية كيلا تحملهم مالا طاقة لهم عليه أوندعوهم لان يعملوا احدى قواهم العقلية التى لم تترب فيهم بعد ولقد أحسن (بستالوتسى) فى قوله إن مثل بعض المعلمين كمثل الطيور السارقة تعمد الى عش غيرها التلتهم البيض قبل أوان وضعه ولا يخفاك مغزاه

ولذلك يجب أن تكون المحسوسات المعروضة عليهم آخذة غاية فى الوضاحة كى يمكنهم انتاج المعقولات منها وأن نأخذهم من البسائط الى المركبات ومن القريب الى البعيد ومن السهل الى الصعب وأن نبعث تنبههم الى المقصود من الاشياء المعروضة عليهم محسوسها أو معقولها وأن نسير بهم شيأ فشيأ مع التؤدة والتأنى حتى لا تتشتت أفكارهم وأن تجعل المعلومات بحالة تكون سلما ومقدمة لمعلومات أخرى

أما صورة تعليم ذلك فهى المحادثة بطريق السؤال والجواب كما علمت سابقا

الشـــــــرح

وهو مقيد أو مطلق فالمقيد يراد منه توضيح خواص الاشياء وعلاماتها حسب ماشرعته القوانين والتعاليم المنطقية ويراد من المطلق تفسير حقيقة شئ أو معنى لفظ أو جملة أو موضوع

والحاجة الى الشرح المطلق فى التعليم المدرسى أمس وأهم غالبا من الشرح المقيد

فأما شرح الاشياء فيكون بتفسير حدودها وتعاريفها وذلك باحدى طرق أربع تختلف باختلاف المعرف وهى

أولا — أن نقرب المعقول الصعب ادراكه الى المحسوس كتفسير التعاريف التى لا يمكن حصر مدلولها فى مكان وزمان مخصوصين بتخصيص حالة من أحوال مدلولها بزمان أو مكان مثال ذلك تعريف الالوهية فانه يصعب أن نجعله ضمن مدركات الناشئة بدون أن نخصص احدى حالات الالوهية بالزمان أو المكان كأن نقول لهم اذا كنتم بالمنزل أو المدرسة مثلا فالله سبحانه ناظر اليكم رقيب على أعمالكم وكذلك اذا أصبحتم أو أمسيتم

ثانيا — أن يكون التفسير بواسطة التشبيه كقولنا فى تعريف الطائش بانه عود يميل مع الرياح أينما هبت

ثالثا — أن يكون بواسطة شرح الاضداد فان الاشياء باضدادها تتميز

رابعا ـ أن يكون بواسطة الوصف كالقاء حكاية أو مثل يتضح به ما يراد شرحه وتفسيره

وأما شرح الالفاظ فهو اما بمرادفاتها الملازمة للناشئة كتفسير البر بالقمح والعسجد بالذهب أو يكون بجملة كقول الشاعر

الالمعي الذي يظن بك الظـن كأن قد رأى وقد سمعا

ولا غنى لنا عن استعمال هذا النوع في التعليم المدرسي لعلمك بأن كتب المطالعة وسور القرآن الشريف تحتوي على ألفاظ تجهلها الناشئة لعدم تداولها على الالسنة

ويدخل في موضوعنا هذا الالفاظ المنقول معناها الحقيقي الى معنى مجازي حسب الاستعمال البياني فيجب أن نشرح للناشئة كيفية نقلها من حقيقتها الى مجازها وهو ما يعنيه أهل البيان بالاستعارة ولكن حذار من استعمال اصطلاحات علم البيان فانها لا تزيد الالفاظ الا عجماية

وأما شرح الجمل فيكون بحل تركيبها وتفسير أجزائها ويبدأ في شرح الجمل البسيطة بشرح موضوعاتها فمحمولاتها ثم ما يتعلق بكل منهما كالفاعيل والظروف والاحوال وغير ذلك وأما الجمل المركبة كأن يكون بين أجزائها جمل أخرى استطرادية فيبدأ باخراج المستطردات ثم تحل كالجمل البسيطة

وأما شرح المواضيع كالحكايات التاريخية فيكون بحصر مجموعها في مركز واحد وهو موضوعها الذي سيقت لاجله وبربط النسب بين أجزائها بحيث تكون خلاصة المقصود من تلك المواضيع واضحة ثابتة في أنفس الناشئة مأمونا عليها في الرجوع اذا عرضت أسباب لتذكرها هذا ويجب أن لا نترك شيأ قد عرضناه على الناشئة بدون فهمهم معناه بقدر الامكان وأن لا نصل بالشرح الى حد تضل لديه قواهم العقلية وأن لا يلجئنا الشرح الى الخروج عن الموضوع والى كثرة الاستطرادات فنحيد عن طريق المقصود من التعليم وأن لا نشرح لهم ما لا يدركونه كالاحساسات النفسية والقوى العقلية اللهم الا أن نوجه التفاتهم اليه ونكله الى تفرسهم وتفكرهم فيه شيأ فشيأ حسب ما تهديهم اليه التجارب فيما بعد

وليحذر المعلم عند عرض ما يراد شرحه للمتعلمين أن يكون شرحه أصعب من المشروح فيحتاج الى شرح الشرح وهذا الى آخر ويتسلسل الامر فيقع في الحيرة والعجز ويصير أعوبة بأيدي الناشئة لنفاد ثقتهم به ويكون درسه موضوعا للملل ومحطا لرحال الكسل كما يحذر من أن يقع في العي أو يرتج عليه أو يفسر الماء بعد الجهد بالماء ولذلك يحسن به بل يجب أن يستحضر جميع ذلك قبل تدريسه ليكون على بينة مما سيشرحه كما هو معروف بدون تعريف

التمـــــرين

وهو أن نروض قوى الناشئ العقلية والعملية على ما تعلمه شيأ فشيأ حتى يثبت ويرتكز فى نفسه ويقدر على استخدامه فى أحواله استخداما عمليا فالعلم ليس الا للعمل والمعرفة لا يراد منها سوى القدرة كما تقدم لنا فى القاعدة الثانية من باب طرق التعليم العام وللتمرين أنواع ثلاثة وهى التمرين العملى والتمرين الشفاهى والتمرين التحريرى ولنأت على كل منها بالبيان فنقول

التمـــــرين العـــملى

وأعنى به رياضة اليد على أعمالها حتى تكون سريعة الحركة نشيطة فى العمل بدون كبير روية وتفكر ويختص بها من الاعمال الخط بانواعه الثلاثة وبرى الاقلام وتسطير الورق والرسم النظرى والعملى وتركيب الارقام الحسابية وصنع أجسام هندسية من الورق المقوى والخياطة والتطريز بالنسبة الى البنات فيجب أن تمرن الناشئة على ذلك مرارا الى أن يحسنوا وضعه وعرضه ويتقنوا مادته مع السرعة والنشاط

ولاجل أن لا يكون تمرينهم على ذلك آليا ميخانيكيا يلزم استخدام تلك الاعمال فى مواد كثيرة مختلفة فلقد طالما شاهدنا اناسا يجيدون خط ما تمرنوا عليه حسب المشق حتى اذا كلفوا بكتابة غيره لا يقدرون وقس على ذلك جميع الاعمال اليدوية

ويدخل فى هذا النوع الرياضة البدنية فكما نقصد منها تقوية الجسم حتى يكون أبعد عن الامراض نريد منها تمرين كل عضو على عمله المخصوص به بحيث يصدر عنه العمل حسن الوضع سريع الحركة مثل القيام والوقوف والقعود والمسير والالتفات كأن يكون القيام بعيدا عن التحامل والتمارض والوقوف عن الاتكاء والانحناء وكانتصاب أعلى الجسم لدى الجلوس والقعود وكأن يكون السير بعيدا عن الهرولة أو البطء وكأن يكون الالتفات بعيدا عن قبح الصورة ومثل ذلك الحركات الطالبة لها الآداب فى المقابلة والمؤانسة الانسانية فكل أولئك يجب التنبه اليه وتعويد الناشئة وتمرينهم على حسن عرضه والنشاط والسرعة فى تأديته حتى يصير لهم عادة وطبعا لا يحتاج فى صدوره عنهم الى ارادة منهم (راجع الكلام على الحركة صحيفة ٩ جزء أوّل)

التمـــــرين الشـــفاهى

وأقصد به تمرين ما حفظته الناشئة عن ظهر قلب أو ما أدركته بالعقل وأنت تعلم أن ذلك لا يكون الا بالتكرار والاعادة حتى يثبت ويرسخ فى القوّتين الحافظة والمدركة

وأخذ الناشئة بالحفظ عن ظهر قلب يكون بحالة تدريجية وله قواعد ينبغي التنبه اليها وهى

أولا — يلزم أن لا نعرض عليهم شيأ لحفظه مالم يكن له قيمة جسيمة

ثانيا — أن نبدأهم بشرح ما سيحفظونه لان الحفظ بدون الفهم متعبة جسيمة ومؤذن بالضرر العظيم ويبعث فى الناشئة الكراهة لما يحفظونه ويثبط من هممهم نحو التدقيق والتحقيق فى المعلومات

وهنالك سبب آخر طبيعي وذلك أن ارهاف الحد فى تقوية الحافظة يضر بالقوّة المفكرة حيث تستولى القوّة الحافظة وتقوى سلطانها على باقى القوى العقلية فلا تترك للمفكرة مقاما أو عملا تعمل فيه وأنت خبير بان الانسان انسان بقوّة الفكر

ولكن حيث نعلم أن افراغ الهمة فى تقوية المفكرة وعدم الاكتراث بالحافظة كما ذهب اليه كثير ومنهم (روسو) الفرنساوى[1] موقع فى الضرر أيضا نرى أن الاحرى بنا تعهد تينك القوّتين بحالة متوسطة لا تمس بحقوق واحدة منهما

ثالثا — أن نهدى الناشئة الى كيفية الحفظ بان نشخص لهم بأنفسنا كيف يلاحظون الروابط بين أجزاء المحفوظ من جهة اللفظ والمعنى وأن ندلهم على الوقت الاوفق للحفظ كالصباح والمساء فان القوى العقلية فى الصباح قوية والاذهان صافية عادة بحكمة عدم تشتتها وأما الحفظ فى المساء فلما تقدم لنا فى فصل التخيل أن تعلم شئ أو حفظه عن ظهر قلب قبل النوم يكون ثابتا فى النفس قويا بعد الاستيقاظ صباحا بحكمة أن الاعصاب والقوّة المخيلة تتأثر حالة النوم بالآثار الحاصلة فى اليقظة (راجع فصل التفكر صحيفة ١٤ جزء أول)

---

(١) هو (جان جاك روسو) الفرنساوى ولد فى مدينة جنيف بسويسرا سنة ١٧١٢ ميلادية ومات سنة ١٧٧٨ بضواحى باريس وهو من مشاهير الفلاسفة الفرنساوية اشتغل بعلم التربية وتبحر فى الفلسفة العامة ومن أخباره ان أكادعية الفنون بمدينة ديجون بفرنسا عرضت على العلماء سؤالا وجعلت لمن يحسن الجواب جائزة وهذا السؤال هو تأثير التمدن فى التربية فأجاب (روسو) ضمن تقرير عرضه عليها مبرهنا على أن التمدن مضر بالتربية مدعيا أن الانسان مفطور على الخير وانما التمدن يكسبه الرذائل ولذلك جرى على أن يربى التلميذ فى حالة الاعتزال عن الهيئة الاجتماعية (راجع صحيفة ٥٩ جزء أول) وفى أواخر عمره ألف كتابا فى التربية باللغة الفرنساوية سماه اميل قال فى مقدمته ما معناه لقد أتيت فيه بما لم يأت به أحد مثلى ولن يأتى أحد بمثله من بعدى فكان كما قال وذلك أنه ذكر فيه ترجمة حياته وأعماله منذ نعومة اظفاره وأباح بسر ضميره وأخلاقه التى كان عليها سواء حسنها وسيئها وسيأتى لنا الكلام على ترجمة حياته وشرح آرائه فى الجزء الثالث من كتابنا هذا اه مؤلفه

رابعا - أن ندعو الناشئة لتسميع ما حفظوه وليحذر المعلم من أن يساعدهم اذا ارتج عليهم بمساعدة لفظية كأن يلهمهم اللفظ الذى اخطؤه بل ينبغى له أن ينبههم الى الارتباط المعنوى طلبا لتمرنهم على تعقل ما حفظوه

ثم انك قد علمت ان تمرين المحفوظ عن ظهر قلب لا يكون الا بالتكرار لان الشىء بتكراره يثبت ويرسخ أما ترى الحبل بتكراره * فى الصخرة الصماء قد أثرا

وقد أرسلت العامة أمثالهم فى ذلك كما لا يعزب عنك وحيث ان التكرار يعم المحفوظ عن ظهر قلب والمدرك بالعقل كالمسائل العلمية أحببت أن أوافيك بالكلام على كيفياته من جهة عمومه فأقول

لا غنى لنا عن تكرار المعلومات فهو الاساس المتين الذى تنبنى عليه أمور التعلم والتعليم ولذا يجب على المعلم أن لا يلقى درسا عاطفا ما لم يعد فيه الدرس السالف وكيفية ذلك أن يلقى المعلم على الناشئة خلاصة كل درس بعد تدريسه فاذا أراد أن يشرع فى درس آخر حديث يلزمه أن يعيد تلك الخلاصة ويذكرهم بها طلبا للربط القديم بالحديث ودفعا لما عسى أن تخطئ الناشئة الموضوع أو تتشتت أفكارهم ولذا وجب على المعلمين أنهم كما يستحضرون الدرس قبل تدريسه يستحضرون أيضا خلاصته على وجه الاختصار

ولتكرار المعلومات من جهة عمومه ثلاث صور محتملة

الاولى - أن نسلك فى التكرار والاعادة نفس الطريق التى سلكناها فى التدريس نبدأ بالاول ونختم بالآخر

الثانية - أن نسلك فى الاعادة عكس الطريق التى اتبعناها فى التدريس نبدأ بالآخر ونختم بالاول واستعمال هذه الصورة أحرى بالناشئة المتقدمين

الثالثة - أن نؤم طريقا حرة بحيث نبدأ أو نختم بأية نقطة نريدها بدون الاكتراث بالتتابع الظاهرى لا الباطنى فانه يجب على المعلم أن يلاحظ الاشياء وما يماثلها وينبه من التفات الناشئة الى الروابط المعنوية بأن يحصرها لهم فى مركز واحد كيلا تتشتت أفكارهم ومثله فى ذلك كمثل قائد الجيش يفرق من عدد الجند تارة ويجمع منه طورا بدون أن يخل بقوة المجموع

وهنالك صورة رابعة يمكن استعمالها وهى الاعادة بواسطة الامتحان الشفاهى ويكون بالسؤال عن خلاصة موضوع أو جزء مخصوص منه وللامتحان من جهة عمومه أهمية عظمى وفائدة مثمرة سواء كان المقصود منه اختبار مقدار ما تعلمه الناشئ أو مذاكرته إياه والتمرين عليه

وحيث ان ذلك يعد فى عداد النظريات رأيت أن أوافيك ببعض تنبيهات عامة توضح لك طريقه وكيفية استعماله فاقول

أسبر الناشىء بمسبار التفرس وانظر هل كان متنبها الى ما ألقى عليه وهل كان يعزز نظره وسمعه بالروية والتفكر أم لا باحثه ليتضح لك هل يقدر على أن يفرق بين الاشياء واضدادها وهل يصدر ذلك عنه بالسهولة أو الصعوبة دعه لان يوقع الحكم على الاشياء التى تعلمها أو حفظها عن ظهر قلب واطلب منه رأيه فيها والسبب فيه فاوضه الحديث فى الامور الطبيعية والادبية ليتبين لك هل يعرف المسببات والاسباب اعرض عليه مقدمات ودعه يستنتج منها النتائج واسبر انتاجه أصادر هو عن التفكر أو الصدفة قدم اليه القواعد واطلب منه أمثلة لها وبالعكس بان تقدم اليه الامثلة وتطالبه بالقواعد جادله لتعلم كيفية جداله ودفاعه عن نفسه وكيفية سلوكه الادبى فى الدفاع سائله اذا لم يقدر على تأدية أفكاره حتى يظهر لك مضمره

وليعلم أن الامتحان كما يظهر خبايا الناشئة يفيدنا تبصرة بكيفية تعليم المعلمين من جهة الجودة وعدمها ولذا ينبغى للمعلم أن لا يعتبر الامتحان موضوعا لاختبار الناشئة فقط بل يلزم أن يجعله أيضا محكا لاختبار نفسه ومحمد عود تعليمه حتى اذا صادف الصواب حمد الله على هدايته واذا أخطأه عاد الى نفسه فاصلح منها ما استكشفه فبالاختبار والتجربة يؤتى الانسان الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا

التمـــــرين التحريرى

وهو أن يلقى المعلم على الناشئة موضوعا من المواضيع التى تعلموها ليصرفوا فى التحرير عنه أوقاتهم الخالية عن الدروس بالمدرسة أو فى المنزل ويجب استعمال ذلك فى جميع المواد العلمية فان التعليم الذى لا يعضده التمرين التحريرى لا يأتى بالفائدة المقصودة ولا تعزب عنك حكمته لان المعلم بواسطته يكون على بينة من مقدار عقول تلامذته وقدر مهارتهم وبه ينبعث السرور فى أنفس الناشئة ويدعوهم الى تألفهم بحكمة اجتماعهم على أمر واحد

وهو بالمنزل يوطد دعائم الالفة بين المدرسة والعائلة ويحفظ الرابطة بينهما ويلقى السرور فى الآباء ويدعوهم الى الاعتناء بابنائهم والى اقدارهم المعارف حقها

وبالجملة فان التمرين التحريرى داع لتعويد الناشئة على القيام بالنفس فى أعمالهم وأنت تعلم أن ما يعمله الانسان أو يتفكر فيه يبقى أثره لا محالة فى النفس وكما يمرن العمل بالنفس قوى الانسان العملية ويكسبه المعرفة يبعث فيه السرور والحبور أيضا فان الانسان سروره بما يفعله أكثر منه

بما يقبله على أن مطمح الانظار من التعليم انما هو العمل ولو أمعنت فكرك لرأيت أن السبب في قلة الفائدة مع كثرة التعليم بالمدارس انما هو عدم اقدار الناشئة المعلومات حقها وان السبب في عدم اقدارهم حقها انما هو عدم اكتسابهم اياها بالعمل

ولتعلم ان المدرسة اذا لم تعتبر محلا للعمل بالمعلومات فلا يكترث بها بل تكون حطة في الانسانية وذلك لان عدم العمل يدعو الى العجز والضعف اللذين عنهما تنشأ الحيرة . وعن الحيرة الهموم وعن الهموم الهلاك ولو نظرت لالفيت أن رأس كل بلاء وفقر في أية أمة انما هو الجبن والكسل عن العمل لا الاسباب الطبيعية والمقادير كما تتروح بذلك الجاهلون

وعاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

فاذن يتبين لك أن المعلم الذى يستحق أن تثني عليه الامة ويكون له الوطن صنيعة شكره هو الذى يبعث من قوى الناشئة العملية ويمرنهم على العمل بالمعلومات حتى لا تصير أثقالا يحملونها بل أعمالا ينتفعون بها ويسرون بفوائدها

وفي المقام قواعد ينبغي التنبيه اليها وهي

أولا - أن يكون الموضوع واضحا حتى يكون الناشئ على بصيرة منه ولذا ينبغي للمعلم أن لا يدعه بدون تحققه من فهمه إياه

ثانيا - أن يكون الموضوع موافقا القوى الناشئة العقلية بان لا يكون صعبا ولا سهلا بل بين بين واذا أوجس المعلم في نفسه خيفة من صعوبته يحسن به أن يقدم لهم مقدمات توضحه حتى لا تتخذ الناشئة مساعدات خارجية لا تفي بالمقصود فتضيع أتعابهم ويهبط احساسهم بالذات ويقعوا في الملل الذى هو رأس كل خيبة

ثالثا - أن يكون مقدار الموضوع من حيث الطول والقصر والقلة والكثرة موافقا للوقت المعين للتحرير عنه حتى يمكنهم اجادة عمله فان المواضيع التي لا يسعها الوقت المفروض لعملها تدعو الى عجزهم وحسرتهم

رابعا - أن نلاحظ في تعيين الموضوع اختلاف المواهب العقلية للناشئة وذلك بان يكون الموضوع آخذا وسطا بحيث يمكن للنبهاء والضعفاء التحرير عنه كل على قدر ما وهبه البارى جل شأنه

خامسا - أن لا تكون المواضيع التي نلقيها عليهم لعملها بالمنزل بمعزل عن الاحوال المنزلية المعاشية كي تدركها الآباء وأولو أمرهم فانهم بذلك يسرون بابنائهم ويزيد ميلهم الى المدرسة

وينبغي أن لا نشغل جميع أوقاتهم المنزلية بالاعمال المدرسية كي ينتهزوا الفرصة للعب ولقضاء حوائج آبائهم والحد الضابط لنافي ذلك ان كل عمل يمكنهم القيام به في المدرسة لانحيله على المنزل

الاصـــــلاح

وهو قسمان (الاول خاص) وهو أن يصلح المعلم أغلاط ما حررته الناشئة عن المواضيع التى عرضها عليهم وحينئذ ينبغي له أن لا يصلح تلك الاغلاط وقت الدرس فان ذلك داعية لضياع الزمن بل يحسن به أن يصحب معه كراريسهم الى المنزل ويصلح أغلاط كل منها

واذا كانت أغلاط كثير منهم متحدة كأن يكون الغلط الذى وقع فيه أحدهم هو نفس الغلط الذى أتى به الآخر فالاولى أن لا يصلحها جميعها بل يكتفي باصلاح غلط أحدهم وينبه الباقين اليه طلبا للتسهيل والاقتصاد فى الزمن

وعليه بعد الاصلاح أن يوقع على كل تحرير يصلحه باشارة تدل على المدح أو الذم كأن يوقع بقوله ردىء أو متوسط أو عال أو أعلى وليلاحظ فى ذلك أسلوب تحريرهم وحسن خطهم ونظافة الكتابة حتى اذا أجاد أحدهم فى الموضوع ولم يجد فى التحرير أو الخط أو النظافة وقع له بما يفيد اللوم والعتاب

(الثانى عام) وهو أن يصلح المعلم جميع ما يصدر عن الناشئة من الخطأ فى جميع أعمالهم وأحوالهم مدة زمن المدرسة كأجوبتهم عن الاسئلة التى يوجهها اليهم شفاهيا وكأشغالهم وسيرهم وما أشبه ذلك

هذا وللمعلم أن يتخذ فى الاصلاح احدى ثلاث طرق

الاولى — أن يصلح لهم أغلاطهم وخطأهم بنفسه

الثانية — وهى الاحسن أن يتحدث مع الناشئ ويدله على اصلاح غلطه وخطئه

الثالثة — أن يدعو أحد التلامذة لاصلاح غلط الآخر

ثم ان السبب فى وقوع الخطأ من الناشئة لا يخلو حاله عن أمور ثلاثة وهى اما أن يكون لضعف قواهم وجهلهم بالموضوع أو لعدم تنبههم ولتشتت فكرهم أو لعنادهم وعلى كل فيلزم المعلم أن يتدارك الامر ويتلافاه وذلك بأن يسائلهم فى الحالة الاولى حتى يهتدوا الى الصواب ويعاتبهم ويلومهم فى الحالة الثانية ويوقع بهم العقاب فى الحالة الثالثة

والقاعدة العامة لذلك أن لا يترك المعلم ما وقع من الناشئة من الخطأ أو الغلط مهما كان قدره ونوعه بدون اصلاح فان تركهم وأغلاطهم يحط بقدر التعليم ولا يسير بهم الا القهقرى

الامـــــــلاء

وهوأن يملى المعلم على الناشـئة كلمات أو جملا يرقمها كل منهم واضطربت علماء البيداجوجيا فى ذلك فقال البعض لا يجوز استعمال الاملاء الا للتمرين على صحة رسم الحروف والكلمات ورأى البعض تعميم استعماله فى جميع المواد العلمية كأن يملى المعلم على الناشئة خلاصة ما ألقاه عليهم من الدروس خصوصا دروس على التاريخ والجغرافيا وحيث كان ذلك كذلك فأكل الامر للسادة المعلمين ليتبعوا من الطريقين ما يحلو

فصـــــــل فى المعــــــلم

خبير كنا بان الاسباب والوسائط على اختلاف أنواعها وأحوالها فى التأثير فى عقول المتعلمين لا تصل بهم الى ما تصل اليه المعلمون الماهرون فهم روح العلم وسر التعليم وهم الطريقة العظمى والواسطة الوحيدة فى التعليم والتربية وكفى بهم وسيلة الى المقصود

والجدير منهم بان نلقى اليه أعنة الابناء الذين هم ثمرات الافئدة والمستحق لثناء الامة ورضا الآباء هو الذى عرف واجباته فقام باعبائها وترقب نفسه ففاز بمعرفتها واستفاد فأفاد واستهدى فهدى وبلغ فأبلغ وتأدب فأدب ونال النهاية فأنال الغاية حتى يكون وارث الانبياء ومصباح الظلماء

ولا فغر الكلام على واجبات المعلم الكامل الماهر وما يلزم أن يكون عليه فى أربع قواعد فأقول

(القاعدة الاولى) أن يكون سـيد علمه وأعنى بذلك أن يكون على بينة من أصوله وفروعه عالما زواياه وخباياه ولا يتم له ذلك الا بأمرين

الاول ـ قبل أن ينصب نفسه معلما وهو أن يأخذ نفسه بدراسة أصول علمه دراسة عامة حتى تكون أصوله نصب عينيه فى جميع أحواله وأزمانه ثم يتتبع الفروع والمسائل جامعا المشترك حافظا المفترق عازلا المستطرد حتى يكون مثله فى فنه كمثل الطبيب المشرح للاجسام يعلم أجزاء الجسم وتركيبه وروابطه بمجرد تصوره أو تذكره اياه

الثانى ـ بعد أن ينصب نفسه معلما وهو أن لا يكتفى بالقدر الذى حصله من علمه بل ينبغى له دائما أن يترقب من نفسه ويستكشف من علمه حال تعليمه جاعلا الكمال نصب عينيه لا يثبط من همته الكسل ولا يثنى من عزمه الملل

من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ما باله يرضى بادنى مـــنزل

ولذلك يحسن به أن يصحب معه دفترا صغيرا نسميه بالمذكرة أو بدفتر التذكار ليقيد فيه جميع استكشافاته وملحوظاته حالة التعليم ومثله فى ذلك كمثل التاجر يقيد الداخل والخارج كل يوم ليعلم فيما بعد مقدار كل منهما ويعرضهما على رأس المال فان كسب حمد الله وطلب مزيدا وان خسر ندم وتدارك الاسباب فهما اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال

ويهمنى فى هذا المقام أن أعرض أمنية لى وان لم أر من نبه أو تنبه اليها وذلك أنه يحسن بالمعلم الذى يريد الكمال أن يدرس تاريخ علمه ليعلم كيف انتشأ وتدرج لاسيما العلوم التى دوّن فيها العرب والمشرقيون طلبا لان يعرف مقدار ما وصلوا اليه فيها وأن يتعرف بأشهر مؤلفيهم وبتآليفهم فى ذلك ليبنى على ما أسسه سالفوه ويقتدى بهم فى القيام بكبار الامور (١)

(القاعدة الثانية) أن يكون سيد طريقته التى يتخذها فى التعليم وذلك يستلزم كبير استحضار وكثير تعود وتجارب بأن يجعل نفسه فى جميع أحواله التعليمية محلا للترقب والانتقاد ويحسن به أن يحضر مشاهير المعلمين ليسير سيرهم فى تعليمهم ويجم عود طرقهم حتى يتثبت من طريقة جيدة تمتزج بافكاره وتصدر عنه بدون تكلف وتطبع منه

ومما ينبغى التنبه اليه فى هذا المقام زيادة على ما بسطنا فيه الكلام آنفا أمران

الامر الاول عبارة التعليم فيلزم أن تكون واضحة جدا بحيث تفهمها الناشئة بدون تروّ وتفكر وأن تنطبق ألفاظها على معانيها مطابقة شن لطبقة وأن تكون عارية عن الالفاظ الغريبة أو الصعبة الفهم على التلامذة مالم ينبهوا اليها وأن تكون صادرة عن فؤاد خالص ملؤه سرور وحبور فان ذلك داعية الى أنس الناشئة وميلهم وأن يكون الصوت الذى يؤديها طبيعيا مناسبا تطمئن لسماعه الآذان كيلا تفزع منه الناشئة أو تمل حواسهم

---

(١) ألم يكن من العيب أن نتطفل على امة المغرب فى العلوم التى ضربت بجرانها بين ظهرانى أسلافنا وأن نقلدهم فيها تقليد القردة للمسترزقين بهم ونحن نعلم أنه فرق بين المجتهد والمقلد ألم يكن من الحطة أن نكون قذى فى أعين أسلافنا ونكون لهم خلف السوء أليس بعيب أن أعمد وأنا المهندس الى كتاب فى الهندسة أجنبى اللغة أخبط فيه خبط عشواء ولا أعرف تآليفها العربية ومشاهير علمائها وأنا اكتفى وأنا الجغرافى بتقليد أمة أجنبية فى الجغرافيا وليس لى المام بما دونه المشرقيون فيها من مطول ومختصر أليس بالعجيب أن أصرف زمنى وأوجه كلياتى وجزئياتى الى اتقان لغة أجنبية وفهم كتبها وأنا لا أقدر أن أقيم من لغتى شفاهيا وتحريريا يالله ويا للعجب من تلك الامور التى هى فى الحقيقة

أمور تضحك السفهاء منها ❊ ويبكى من عواقبها اللبيب

فاذن يجب علينا معاشر المشرقيين أن نرجع الى أسلافنا فهم فيما تركوه لنا أرأف بنا وأهدى الينا من سواهم وأن ننظر أعمالهم لنسمو بها خير السموّ ونقدرهم حقها ونبنى على أصولها حتى نكون لهم خير خلف ولا بنائنا سلف خير فهاهى الايام لم تبق لنا عذرا واللبيب من تيقظ بالايام اهـ مؤلفه

الامر الثانى روح التعليم وأعنى بذلك تأثير المعلم فى عقول التلامذة وفى شعورهم وارادتهم النفسانية وبعث روح المعلومات فيهم حتى تحيي بها قلوبهم وتشغف بها أنفسهم والقدرة على ذلك وان كانت تعد فى عداد المواهب الالهية والاستعدادات الفطرية ينبغى لكل معلم أن يجهد نفسه ويمرنها حتى يحصل عليها فربما أودعه مولاه تلك الموهبة الجليلة على أنه لا يكترث بالاستعدادات فان الانسان عادة محضة

(القاعدة الثالثة) أن يكون سيد نفسه بأن يكون قامعا لشهواته كاظما الغيظ صبورا رقيبا على نفسه كيلا يأتى بما يمس الآداب كأن يقعد بدون اتكاء ويقوم بدون تحامل غير مظهر للتعب والملل ليس بالسباب ولا بالشاتم ولا بالساخط تاركا الخصال المتعود عليها البعض كالعبث بالاصابع والهراش فى الرأس وفرك الوجه وتحريك الارجل والسعال المتكلف ومسح العثنون فان ذلك كله كما يخالف الآداب يؤذن بالعى وعدم الاكتراث بالتربية والتعليم

ولما كانت عيون الناشئة معقودة بعيون المعلمين أينما كانوا وجب عليهم أن يلزموا مواضعهم فلا يروحوا هنا ويغدوا هنالك فتتشتت أنظارهم وينبعث مللهم

وبالجملة ينبغى للمعلم أن يبدأ باصلاح نفسه أمام الناشئة قبل اصلاحه لهم قال عمر بن عتبة لمعلم ولده ليكن أول صلاحك لولدى اصلاحك لنفسك فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت اهـ

(القاعدة الرابعة) أن يكون سيد تلامذته يعنى أن يحفظ موضعه منهم لا يتحير فتمل منه الناشئة ولا يهبط بشرفه فتنفد ثقتهم به بل يكون لهم كالأب الشفوق والاخ الحميم وليتمثل فى ذلك بالمشرع الهادى معلم الانام عليه الصلاة والسلام حيث قال «انما أنا لكم مثل الوالد لولده» وأن يضع الرفق موضعه والقساوة حيث تكون متعهدا ثقتهم به وطاعتهم له . قال الرشيد للاحمر معلم ولده الامين يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين اهـ

هذا ويهمنى أن أبعث من التفات السادة المعلمين الذين جمعتهم مدرسة واحدة الى أمرين

الاول ـ أن لا يقع أحدهم فى حق الآخر أمام التلامذة لانه لا يخلو أمره من أن يصيب فى قدحه اياه وفى تلك الحال يسقط اعتبار الناشئة للمقدوح فيه ولا ينتفعون به أو أن يخطئ

فى قدحه اياه فيقع بنفسه فى القدح وتحتقره تلامذته وكلا الحالين مخدش بناموس التربية والتعليم ومضر بالمقصود العام من المدرسة

الثانى - أن لا يقبح أحدهم للتلامذة علم الآخر ولقد نبه الى ذلك أبو حامد الغزالى فى كتاب احياء علوم الدين جزاه الله فى الآخرة خيرا حيث قال ان المتكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم علم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر فى الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان فأين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للعلمين ينبغى أن تجتنب اه

أقول ولئلا فى ذلك ينبغى لمن يريد أن ينصب نفسه معلما فى فن أن لا يدع الفنون الاخرى بدون أن يطلع على مقصدها وغايتها فان العلوم متعاونة ومرتبط بعضها ببعض حتى لا يلحظها بعين العداوة فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

الباب الثانى

(فى طرق التعليم الخاص)

حيث بحثنا فيما تقدم عن طرق التعليم العام فعرفنا كيفية انتخاب مواد العلوم وترتيبها وصور تعليمها ووسائل أخذ الناشئة بها على وجه العموم فلا جرم أن نبحث فى هذا الباب عن كيفية استعمال جميع ذلك فى مواد العلوم المنتخبة كل مادة على حدتها وعن طريقة أخذ الناشئة بكل فن من تلك الفنون

وقد سبق لنا أن مواد العلوم المنتخبة لتعليم الناشئة فى المدارس الابتدائية هى عشر مواد ولذلك يستدعى المقام رسم عشرة فصول ها أنا بصدد التكلم على كل فصل منها فأقول وبه الاعانة والتوفيق

الفصل الاول

(فى علم الدين وما يلحق به)

الدين هو عبارة عن أحكام أمر بها البارى جل شأنه لتبعث النوع الانسانى الى الصلاح معاشا ومعادا وهذا معنى قولهم فى تعريفه بانه وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم اياه الى

الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل وان شئت قلت هو عبارة عن مجموع النواميس الضابطة لنسبة الانسان الى الله والى غيره من المخلوقات

ولابد للهيئة الاجتماعية من الدين فان الانتظام السياسى لايتم الابه وقد أنبأت التواريخ عن أنه الاساس الذى انبنت عليه الدول والامم وذلك لان الدين اعتقاد عام يجمع الافراد الى ارادة واحدة وهى ارادته سبحانه والاعتقاد العام كاف لتأسيس دول ثابتة الدعائم ويأتى بما لم تأت به السياسة المجردة بحكمة أن أخلاق الانسان لايدفع سيئها ولايجلب حسنها الا الاعتقاد القلبى وحكم الفكر ومعلوم أن سلطان الدين انما هو على الباطن وأن أخذ الامة بالسياسة أخذا غير مشوب بالدين عديم الدوام لانه أثر يزول لاول عارض بمجرد زوال المؤثر وهو السلطان الظاهرى ففرق بين من لايسرق خوفا من أن يحل به عقاب الضابطة ومن لايسرق خشية من الله وخوفا من السخط عليه كما لايخفى على البصير

ولما كان الانسان لاسيما فى هذه العصر موضوعا للاحوال التى تقتضى مراعاة الدين والسياسة وجب أن يجتمع فى الابناء الطرفان بطريق معتدلة موافقة بحسب ظروف التربية ولذلك جعلت المدارس من حقوق الحكومة حتى بذلك يستطيع التلميذ أن يكتسب تربيتى الدين والسياسة

وقد تشعبت آراء الامم فبعض يرى ضرورة تدريس الاوامر الدينية وأخذ الناشئة بآدابها فى المدارس كما فى ممالك ألمانيا وانجلترا وروسيا وغيرها وبعض يرى أخذ الناشئة بالآداب العامة ويسمون ذلك بالدرس الأدبى كما فى مملكة فرنسا

أقول حيث ان ديننا المحمدى الشريف كافل بجميع الآداب ومحاسن الاخلاق أرى ضرورة تدريس الاوامر الدينية وأخذ الناشئة بآدابها فى المدارس الابتدائية بشرط أن يكون ذلك خالصا مما الحق بالدين وليس منه والذى من شأنه أن يطفئ من توقد الفكر وذكاء القريحة

أما تعليم الناشئة الاسرار والحكم الدينية فلا ضرورة له لعدم قدرتهم على ادراكها بل لاقدرة لاغلب أفراد النوع الانسانى على معرفة كنهها ولذلك وجب على الناس أخذ الاوامر الموضوعة لهم عنه جل شأنه مأخذ قبول بحيث لايطلب منهم سوى أن يسيروا على سننها بدون أن يعرفوا مبدأ الحكمة فيها اللهم الا أن ننبه الطلبة الى فضائل الاعمال وان كانت الفضائل فى الحقيقة حكما ولاضرب لك مثلا يوضح المقام وذلك حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الا ظله الامام العادل وشاب

نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماذا تنفق يمينه ورجل ذكر الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه

فلا يقتصر في شرح ذلك الحديث الشريف وأمثاله على سرد جمله وتبيين معنى ألفاظه والاكتفاء بان أولئك السبعة في ظل الله ومغمورون برضاه سبحانه بل يلزم تنبيه الطلبة الى الاسباب والحكم التى استحق بها أولئك السبعة لان يظلهم مولاهم بظله ويلحظهم برضاه جل شأنه

أما الامام العادل فلأن الانسانية كجسم واحد أعضاؤه الافراد بحيث يتساوون في الحقوق الانسانية بان يكون راعى الغنم في الصحارى وساكن القصور في المدن سيين فيها فمن قام بحفظ ناموس هذا التساوى بين أفراد النوع الانسانى تنفيذا للحكمة الالهية لا جرم أن يستحق رضاه ويستظل بظله الظليل يوم القيامة

وأما الشاب الناشئ في عبادة ربه فلان الانسان في عنفوان شبابه قوى الشهوات الجسمية والنفسية فاذا أخذ نفسه بالعبادة فقمع من شهواته وهبط بأمياله وجاهد دواعى الملاذ المهلكة كان جديرا برضا الله ومستحقا لكرمه وجوده

وأما الرجل الذى يعلق قلبه بالمساجد فلان شغفه باقامة الصلاة في أوقاتها دليل على استمساكه بعروة التقوى والصلاح بحكمة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وأما الرجلان يتحابان في الله اجتماعا وافتراقا فلانهما موطدان لدعائم الالفة وقائمان بآداب التعارف المندفعة اليه أفراد النوع الانسانى

وأما الرجل تطلبه المرأة ذات المنصب والجمال فيأبى عنها فلانه مبعد لنفسه عن المصاعب لقمعه نفسه عن مسابقة الغير بالاستئثار بأحاسن الدنيا

وأما الرجل المتصدق خفية فلانه دليل على حبه للفضيلة من حيث ذاتها وعلى رقة قلبه وحنوه على أبناء جنسه

وأما الرجل يذكر الله خاليا فتفيض عيناه فلانه أبعد عن الرياء متذكر صنع الله وحكمته في عباده

فكل أولئك جدير برضا الخالق جل شأنه مستحق للاستظلال بظله سبحانه يوم لا ظل الا ظله وعلى ذلك فليبين في شرح الاحاديث الادبية الدينية والآثار الحكمية والآيات القرآنية الادبية

لا كما يفعله الشارحون وأولوا الحواشي والتقارير من جعلهم كل ذلك موضوعاً لتطبيق قواعد العلوم الآلية كالنحو والبيان والمعاني والبديع غير مكترثين بمعانيها الادبية وحكمها العقلية ويجل قدر القرآن الشريف والاحاديث والآثار الدينية عن أن تكون موضوعا لتطبيق القواعد الآلية على أن العلوم الآلية لم توضع الا لان ندرك بها المعاني لا لان نلعب ونجادل بالالفاظ والجمل فنضع الامور في غير مواضعها وهو الظلم بعينه

ولما كان أمر الدين الحنيف والقرآن الشريف والسنة المطهرة مبنيا على أدبين أدب الشخص من تهذيب النفس وبعث الاخلاق الحسنة ومعالجة سيئها وأدب الامة من حسن المعاشرة والمعاملة وجب على المدرسة أن يكون مطمح نظرها هذين الادبين ليس الا فان الاكتفاء بتعليم الامور الدينية بدون تعهد ما وضعت لاجله من الآداب لا يفيد المقصود بل يصير ذلك عادة محضة تصدر عن المرء بدون روية ومن ذلك تعلم حكمة مشروعية النية في الاعمال الدينية

والامة متى قلد صغارها كبارها في أعمال الدين بدون أن يختلج في قلوبهم الاحساس بآدابها جديرة بالتقهقر وهي وان أقامها السلطان الظاهري والقوة الفعالة والسياسة فلا تبلغ شأوها بما أن القوة الظاهرية وحدها من شأنها أن تلقي في قلوب الافراد رعبا وجبنا وتملقا وغير ذلك مما يحط بالهيئة الاجتماعية

وقد تكفلت السنة المطهرة بذينك الادبين فأمرتنا بالتحلي بفضائلهما كالتواضع وشكر النعم والرضا والعفة والامانة والشجاعة والكرم والاعتدال في الامور والعدل والصدق والوفاء بالوعد والشفقة ورقة الجانب والصداقة والاحساس بالحقيقة وبالحق وحب الاهل والعشيرة والوطن وغير ذلك من الآداب كآداب الاكل والمجالسة والمؤانسة والتعارف

كما نهتنا عن أضدادها من الخيانة والمكر والخداع والتبله والدهاء والعناد والشك والاشراك والتطير والغيرة وحب النفس والطمع والبخل وحب الرئاسة والتسلط والافتخار وكفران النعم والغضب والحسد وحب الانتقام والميل الى التمتع والامتلاء بالشرب والاكل والشره والحرص والتبذير والتقتير والجبن والتكبر والتهور والعجب والذل والجزع والخساسة والوقاحة والرياء والملق والحقد والحسد وغير ذلك

فتلك أخلاق يجب على كل معلم أن يجعل حسنها مطمح أنظاره وسيئها مغزى لسهامه في أخذ الناشئة وتربيتهم تربية دينية وعليه أن يتعرف بشريفها وخسيسها ويستكشف أحوالها

وأسبابها وكيفية صدورها عن النفس حتى يتسنى له تهذيب نفوس الناشئة فيضع الدواء موضع الداء

ولتربية الناشئ بالآداب الدينية مقامان مقام المنزل ومقام المدرسة أما مقام المنزل فلا غرو أن نعتبره الاساس المتين لنشأة الناشئ فانه فى ذلك المقام جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل صورة وهو قابل لكل ما نقش فى طباعه ومائل الى كل ما يمال اليه فان عوّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد دنيا وأخرى وان عوّد الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك ولكن لما كانت العائلات الوطنية ليست سواء فى الدرجة الادبية تبعا لاختلاف الآباء أدبا وخساسة وعلما وجهلا وغنى وفقرا فنهم من درجوا على الخير وتحلوا بالفضائل فتعهدوا بها أبناءهم ومنهم بالضد من ذلك فأهملوا أبناءهم حتى حقت عليهم كلمة الشقاء وجب أن نعتبر مقام المدرسة أهم المقامين فى أخذ الناشئة بالآداب الدينية والآداب العامة ليخرجوا مع علومهم مهذبين مؤدبين ويمكنهم فيما بعد أن يؤسسوا لهم عائلات تقوم على دعائم الفضائل والآداب ويكونوا مثالا لابنائهم ونموذجا لهم

أما ما ينبغى أخذ الناشئة به من الامور الدينية فثلاثة أمور وهى الاعتقاد والعلم والعمل ولنتكلم على كل منها وعلى كيفية أخذهم بها فنقول

الاعتقاد الدينى

لو نظرنا الى ما يتعلق بالاعتقاد لالفيناه ثلاثة أشياء الالهيات والنبوات والسمعيات ويبحث عنها علم التوحيد حسبما اصطلح عليه علماؤنا

أما الالهيات فيبحث فيها عما يجب له سبحانه من صفات الكمال وما يستحيل عليه من أضدادها وما يجوز فعله وتركه والمقصود من بعث اعتقاد جميع ذلك فى الانسان انما هو احياء روح اليقين فى قلبه بوجود إله قادر متصرف فى هذا الكون وتربية الاحساس الدينى فى قلبه أيضا وقد تقدم لنا عند الكلام على الاحساس الدينى فى الجزء الاول أنه قسمان حقيقى ونسبى وأن الحقيقى هو شعور الانسان بذات موجودة أزلية أبدية قائمة بنفسها وأن النسبى هو الاحساس بالارتباط والتعلق بيننا وبين خالق قادر هاد قهار رحيم وأن احساسنا هذا يتنوع حسب تنوع صفاته جل شأنه فنشعر بالخشية عند تصورنا عظمته وبالعجز والتواضع عند تصورنا قدرته وبالشكر عند شعورنا بكرمه وبالحب عند تصور رحمته وبالسلام والرضا عند القرب وبالسخط عند اقتراف الذنوب وهكذا

ومن ذلك تعلم أن المقصود للمشرّع الأوّل انما هو تربية القلب بهذه الاحساسات وتقوية شعور النفس بتلك النسب حتى تتوطد محبة المرء للخالق جل شأنه ومتى توطدت المحبة ائتمر بأمره وانتهى بنهيه

وعلى ذلك سار السلف الصالح فكانوا ينيرون قلوب العامة بنور صفاته سبحانه ويؤكدون شعورهم بمعانيها ولم أقصد بذكر ذلك سوى بعث الالتفات الى طريقتين حائدتين عن المقصود من الدين

(الطريق الاولى) هي التي سلكها علماء التوحيد بعد السلف الصالح فانهم اتخذوا التوحيد علما جدليا وجعلوه في عداد الصناعة الكلامية وضربوا صفحا عن المقصود للمشرع الاول عليه الصلاة والسلام من تنوير القلوب وتثقيف العقول وهم وان قصدوا بذلك اقامة البراهين وافحام الخصوم فقد ساروا واشططا واعتبروه مقصودا بالذات ونسوا ما وضع لاجله كما يتبين ذلك لمن اطلع على تاريخ العلوم المشرقية

(الطريق الثانية) هي التي سلكها المعلمون والآباء فاما المعلمون فانهم ساروا على سنن سلفهم من جعلهم علم التوحيد موضوعا للجدل والبحث اغترارا بهم فتراهم يدؤن الناشئ بحفظ متن مطول في التوحيد عن ظهر قلب يكرره أياما وأشهرا بل أعواما ثم اذا صادفته العناية فدرس شروحه وحواشيه وتقريراته وقع في التشتت والحيرة لصعوبة الاصطلاحات والادلة والبراهين التي أسسها الاقدمون فتتثبط همته وتضعف عزيمته ويبقى الدهر ملوما محسورا ولا يدري أيعد نفسه من العامة أم من العلماء أقول لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأما اذا لم تصادفه العناية بدرس شروحه فقد كفاه الزمن الذي قضاه في الحفظ والتكرار بدون ثمرة وصار مثله كمثل ساقية تدور بدون ماء فهل يكفي نعيرها

وأما الآباء في العائلات فطريقة تربيتهم لابنائهم بالآداب الدينية انما هي القاء الفزع والخوف من جانب الالوهية في أغلب الاحوال وبذلك تنشأ الابناء خاوي القلوب جبناء خاملين لا ارادة ولا آمال لهم يظنون الحرام حلالا والمندوب مكروها والحسن قبيحا والشر حسنا ويتطرق ذلك الى أحوالهم المعاشية فيلحقهم الكسل ويقعدوا الدهر مع القاعدين نعم ان تلك الطريقة هي احدى الطريقتين في الاخذ بالعقائد والآداب الدينيه ولكن أنت تعلم أن ثانية الطريقتين أولى وأحرى ألا وهي القاء محبة الله في قلوبهم واحياء نفوسهم بصفاته سبحانه حتى تصدر عنهم الاعمال حبا لا كرها وتبرعا لا جبرا ويتطرق ذلك الى حبهم الفضائل لذاتها وكراهتهم الرذائل لذاتها أيضا لا لما يترتب عليها من الثواب والعقاب (راجع صحيفة ٤٨ جزء أول)

ولاضرب لك فى ذلك مثلا أنت ورفيقان لك رقيق ألنت جانبك اليه وأدبته فاحسنت تأديبه وآخر تركته سدى فعاملته بالتخويف والانذار فذاك لا محالة يقوم بأعباء خدمتك مؤديا وظيفته أتم قيام وأحسن أداء يسرك مخبره ومنظره تصدر أعماله عن خلوص قلب كأنه متبرع بها اليك لميله الى جانبك ولا يحتاج الى كثرة أوامرك ونواهيك وهذا لا يؤدى خدمتك الابعد التسيا والتى يسوقه الخوف ويقوده الفزع لا يأتمر الا اذا أمرته ولا ينتهى الا اذا نهيته وهو وان ملكت زمامه فأوعدته بالعقاب تارة ووعدته بالثواب طورا لا يقوم بأعباء خدمتك حق القيام بل يصير مكبلا فى حبال الوهم والتخيل ويقضى وقته بين الخوف والرجاء يغره الامل ويخزيه الفزع وما مثلك معه الا كمثل صاحب القرد المسترزق به لا يؤدى ملاعيبه الا اذا أنعمت أو نقمت عليه فاذن ينتج أن الطريق التى يحسن أن نؤمها فى تعليم الناشئة للعقائد الدينية هى القاء محبة الله فى قلوبهم واحياء نفوسهم بصفاته الكمالية وتقوية احساساتهم النفسية بمدلول صفاته سبحانه ولا يقتصر منها على ماذكره علماء التوحيد من الصفات السلبية والمعنوية وصفات المعانى فان ذلك موضوع لافحام الخصوم . ويكون ذلك باحدى طريقتين

(الطريقة الاولى) تعليم الناشئة القصص التى قصها البارى جل شأنه فى القرآن الشريف فانها كما تربى العقول لقيامها مقام الاختبار والتجربة تقوى الشعور بصفات الله الكمالية من القدرة والارادة وغيرهما وتكفل بتربية الاحساسات الدينية وحيث ان سردها فى القرآن الشريف لم يكن عبثا بل تعليما للخلق وهداية لهم فلا جرم أن نستعملها فيما سيقت لاجله وسيأتى الكلام عليها بعد هذا

(الطريقة الثانية) بعث التفات الناشئة الى المحسوسات الظاهرية كالسماء والنجوم والارض والبحار والانهار والاشجار والازهار والحيوانات والطيور والاسماك وغيرها وتنبيههم الى خواصها ومنافعها وآثارها فى هذا العالم فان ذلك لاعظم دليل على صفاته الكمالية سبحانه ولذا ينبغى أن لانسير سير علماء التوحيد عند تعليم الناشئة فى اقامة الادلة والبراهين المنطقية فانها داعية الى تشتت الافكار على أنى أناشدهم الله الذى لا اله الا هو الا يأتونى بآية قرآنية أو حديث شريف يؤذنان بوجوب الاستدلال ببراهينهم التى أسسوها ولا اخالهم يأتونى بهما أو بأحدهما فلو تصفحنا القرآن الشريف والاحاديث النبوية وآثار السلف الصالح لما وجدنا سوى البرهان بعالم العيان والمشاهدة فقال عز شأنه ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح

والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال سبحانه ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا . (راجع صحيفة ٢٧ جزء أول)

وأما أخذ الناشئة بتعليم النبوات فيكون ضمن سرد قصص الانبياء وتاريخهم وأعني بذلك ذكر أعمالهم وحسن أخلاقهم وقوة جأشهم وسعيهم في هداية الخلق الى الخير ولا يحسن بادئ بدء تعليم الناشئة صفاتهم الواجبة في حقهم كالصدق والامانة في تبليغ ما أمروا بتبليغه وغير ذلك والمستحيلة عليهم كالكذب والخيانة والكتمان فان معرفة ذلك ضرورية لقيامهم عليهم الصلاة والسلام بهداية الخلق لاسيما ونحن في زمن قد ضرب فيه الدين بجرانه على أننا لو نبهنا الناشئ الى استحالة الكذب على الانبياء مثلا لفتحنا له باب الجدل والعناد والوهم ويكون ذلك كالتحذير المراد به الاغراء كما لا يخفى عليك وبذا تعلم أن أدل دليل على صفات الانبياء الكمالية انما هو أعمالهم التاريخية وآدابهم وكفى بهما دليلا

وأما السمعيات فينبغي تعليم الناشئة ما أتى به الدين الحنيف منها بدون شائبة الاوهام والخرافات التي وضعها البعض جهلا وأعني بذلك أن نبلغ الناشئة بالبعث والنشور والثواب والعقاب بحيث لا نشد الوطأة عليهم بشرح ذلك فتخمد احساساتهم ويظهر خوفهم ويصير جبنا ويدعوهم ذلك الى الكسل الذي ربما ظنه البعض توكلا وهو عنه بمكان بعيد

ومن السمعيات اعتقاد الكتب المقدسة والملائكة والجن ويكون تعليم ذلك للناشئة ضمن التواريخ المقدسة ولكن حذار من تخويف الناشئة من الجن بذكر حكاياتهم التي تخلع قلوبهم وتجعلهم يعمهون في ظلمات الخوف والفزع والخيال والوهم ولست أذكركم سادتي بما قاسيناه أيام الطفولة من خفقان القلب وارتفاع شعر الرأس وتشنج الاعصاب اذا دخلنا قاعة مظلمة أو سرنا في طريق ليلا وما ذاك الا نتيجة تخويفنا بحكايات الجن والعفاريت والبعابع التي يجدر أن نعدها في عداد المضحكات بل المهلكات

العلم الديني

ذكرنا آنفا أن الحكيم جل شأنه قد قص في كتابه العزيز قصص الانبياء والامم السالفة تعليما للخلق وهداية لهم وأنه لا جرم أن نستعملها فيما سيقت لاجله من تثقيف العقول وبعث الاحساس الديني وقدر الاوامر الدينية حق قدرها والاطلاع على أعمال الامم فاضلها ودنيئها

لتكون لنا تلك الامم موعظة نقتدى باعمال خيارها وننتهى عن أفعال شرارها وها أنا قد اخترت من تلك القصص المقدسة لتعليمها للناشئة ماسيأتى

ابتداء خلق الدنيا آدم وحواء وخروجهما من الجنة والموضع الذى أهبطا فيه قابيل وهابيل نوح والطوفان حام وسام ويافث ابراهيم وهجرته الى مكة وعمارة البيت الحرام قصة الذبيح النمروذ وهلاكه اسماعيل أبو العرب المستعربة قصة أيوب قصة يوسف قصة الخضر مع موسى قصة موسى وهارون مع العجل بنو اسرائيل فى التيه داود وبناء بيت المقدس سليمان وقصته مع بلقيس اسكندر ذو القرنين المقدونى قصة مريم عيسى وولادته ونبوته ومعجزاته قصة أهل الكهف بعض أحوال العرب فى الجاهلية خصوصا فى عهد ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ولادته صلى الله عليه وسلم ونسبه وبعض أخبار آبائه وأجداده أحواله صلى الله عليه وسلم قبل زواجه السيدة خديجه ابتداء الوحى ومعجزاته قصة المعراج هجرته الى المدينة غزواته ولاسيما غزوات بدر الكبرى وأحد والخندق وخيبر فتح مكة شمائله وأخلاقه وأزواجه وأولاده وفاته صلى الله عليه وسلم ودفنه تاريخ خلفائه الاربعة وأخلاقهم وما قاموا به من اعلاء الدين الاجتهاد والمذاهب الاربعة وان كلا منها لايخرج عن الدين وسيرة الائمة الاربعة المجتهدين فتلك اثنان وثلاثون موضوعا يحسن القاؤها على المتعلمين بالمدارس الابتدائية ويجب على معلم الدين أن يوجه التفات الناشئة الى الحكم والآداب التى تضمنتها تلك القصص وأن يمدح أمامهم خير الاعمال ويذم سيئها بدون تعصب منه وأن يطلب منهم أن يوقعوا الحكم عما يرونه من أعمال الافراد والامم أهى حسنة أم سيئة وأن يبدوا أسباب ايقاعهم الحكم فان ذلك يحيي قلوبهم ويثقف من عقولهم ويضبط قوة مخيلتهم ويوسع من نطاق تفكرهم وتبصرهم بالامور

أما كيفية أخذ الناشئة بتلك القصص فيختلف باختلاف المبتدئين والمتقدمين أما المبتدئون فينبغى للمعلم أن يقص عليهم القصة مرة أو مرتين أو ثلاثا اذا اقتضى الحال طلبا لرسوخ العبارات والمعانى فى عقولهم ويكون ذلك بطريق المحادثة بعبارات سهلة مختصرة موافقة لعقول الناشئة ثم يعمد الى القصة فيقسمها الى أجزاء يقص الجزء الاول منها مع التؤدة والتأنى ثم يلقى عليهم أسئلة فيما قصه عليهم من ذلك الجزء ويطالبهم بالجواب عن أسئلته بجمل وعبارات تامة التركيب واذا ارتج عليهم ساعدهم فى الموضوع تذكيرا لهم ولا يلقنهم ما تلعثموا فيه طلبا لقيامهم بالنفس فى التفكر واختيار التعبير وهكذا يفعل بباقى أجزاء القصة حتى تنتهى

وأما المتقدمون فيقص عليهم القصة بدون تقطع سلسة العبارة سهلة الجمل خالية عن الالفاظ الغريبة مالم يفسرها لهم عرادفاتها متجنبا الالفاظ والافعال التى تدل على العجز والعى كما تقدم لنا التنبيه عليه ثم يسألهم عن موضوع القصة وهم يجيبون وبعد ذلك يأمرهم بمطالعة تلك القصة أمامه فى كتاب بعد ذلك وينبغى أن يلاحظ صحة مطالعتهم ومخارج حروفهم واذن يأمرهم بطى الكتاب ويطالبهم بحكاية القصة شفاهيا

وينبغى أن لا يلقى عليهم كثيرا فى آن واحد بل مقدارا لا تضعف لديه قواهم العقلية والجسمية وأن يتركهم لان يظهروا بأنفسهم المغزى الادبى لما يقصه عليهم مع تقديم بعض اشارات منه يساعدهم بها ولا يجوز أن يملى عليهم القصة فان المقصود اقامة ألسنتهم وتوسيع نطاق فكرهم وضبط تخيلهم ولا يحصل ذلك الا بالمحادثة الشفوية ويجب عليه أن تكون عينه معقودة بأفواه الناشئة عند أجوبتهم كهيئة متربص لما يخرج من بين شفتيهم من الالفاظ وأن يعاملهم باللطف والاحسان كيلا يجزعوا منه فتضيع الفائدة

وينبغى أن لا يذاكرهم فى مثل مراودة امرأة العزيز يوسف الصديق عليه السلام واذا قص أحوال أمة يحسن به أن يصف للناشئة بعضا من هيآتهم الجسمية وأشكال ملابسهم وبعض أدوات معايشهم التى كانوا يستخدمونها وينبههم الى الفرق بين كل ذلك وبين أحوالنا فى هذا العصر الحالى وذلك طلبا لاحياء قوة التفكر فيهم وتربية لوظيفة الانتقاد والتمييز بين الحسن والقبيح والمقبول والغير مقبول والمفيد والغير المفيد سواء فى الاخلاق والاحوال والاعمال

وأن يطلعهم على مواضع بلاد تلك الامم فى الخرائط الجغرافية ويذكر لهم طبائع أراضيهم وبعض بركاتها أما المدن الشهيرة فى التاريخ المقدس أو المواقع كالمساجد والجبال وخلاف ذلك فينبغى له أن يعرض عليهم صورها بطريق الفتوغرافيا اذا أمكن ذلك

العمل الدينى

وينقسم الكلام عليه الى قسمين الاول تلاوة القرآن الشريف الثانى قواعد الاسلام الخمس وما يتعلق بها

فأما القرآن الشريف فحيث ان تلاوته من جملة العبادات الدينية وان عامة المسلمين فى حاجة الى تلاوته وسماعه فى المحافل الدينية والمجالس العادية أرى ضرورة أخذ الناشئة فى المدارس الابتدائية بتلاوته مدة الزمن المدرسى ولو مرة واحدة مع حفظ بعض سور منه عن ظهر قلب وذلك جزء عم يتساءلون وسورة تبارك والفتح ويس والكهف ويوسف وبعض آيات

و ينبغي للعلم أن ينبه المتقدمين منهم الى عدد سوره والى ما اشتمل عليه من الترغيب والترهيب والقصص والفقه والمعاملات والآداب وما أشبه ذلك وأنه نزل متواترا شيأ فشيأ بمكة والمدينة وأنه هو المعجزة الكبرى التي أتى بها نبينا عليه الصلاة والسلام وأن أمة العرب قد عجزت عن الاتيان بمثله رغما عن زهو صناعة الشعر والخطابة وقتئذ وأنه هو هذا الذي في أيدينا بين الدفتين يكتب وجمع هكذا بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وأن عثمان أمر بكتابته في المصاحف وارسالها الى الآفاق بالصفة التي نعهدها الآن وهل كانت كتابته مهملة أو معجمة ومن الذي اخترع التنقيط والتشكيل

وأن يفسر لهم بعض السور الصغيرة والآيات كآية الكرسي وخلافها ليكون لهم بعض المام باسلوب القرآن الشريف لفظا ومعنى وأن يذكر لهم أشهر المفسرين له وأن ينبههم الى الفرق بينه وبين الاحاديث النبوية والقدسية ويستطرد في الكلام عليها فيبين أشهر من جمعها ووضعها في كتاب كالبخاري ومسلم مع ذكر بعض من ترجمة حياتهما الى غير ذلك مما تجب معرفته وجوبا أدبيا على كل مسلم

وأما قواعد الاسلام الخمس التي هي الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يكفي مجرد حفظها والتقليد في عملها بدون معرفتها والتثبت من معانيها

أما الشهادتان فينبغي للعلم أن يلقي على الناشئة لفظهما وهم يقلدونه تقليدا صحيحا في الحركات والسكنات ثم يشرح لهم معانيها شرحا وافيا حتى يمتزج المعنى بدمهم ولحمهم ثم يطلب منهم اعتقاد ذلك وينبههم الى أنه شرط في الايمان ويحسن به عند شرح نفي الالوهية عن غيره سبحانه أن يخبرهم بأن هناك أمما قد عبدت الاوثان والاصنام الى غير ذلك

وأما الصلاة فيلزم المعلم بادئ بدء أن يطلب من الناشئة حفظ ما يتلى في الصلاة عن ظهر قلب وذلك كالفاتحة والسور التي تتلوها بعدها وما يقال في الركوع والسجود والجلوس والتحيات المباركات وبعض الدعوات الصالحات المتعلقة بذلك ثم يعمد الى شرح ما حفظوه شرحا واضحا الى أن يفهموه فهما جيدا يؤمن عليه من النسيان ثم يفعل أمامهم حركات الصلاة ويسمي كل حركة باسمها شارحا المعنى شرحا لغويا

ومثل ذلك أعمال الوضوء والغسل فيبين لهم شروطها ومعاني ألفاظها ومتى تيقن من معرفتهم جميع ذلك سألهم أن يسردوا له أركان الصلاة وشروط الوضوء فانهم لا محالة يكونون عالمين بها حافظين لها بدون تعب ومشقة حيث تعلموها بطريق العمل لا كما يفعله المعلمون من أخذ الناشئة بادئ بدء بحفظها كالا يعزب عنك

ويحسن به أن ينبه المتقدمين منهم الى أن تأدية ذلك كله داعية لفائدتين عظيمتين الاولى رضا الله سبحانه وأى شئ أعظم من رضاه جل شأنه الثانية نشاط الجسم ورياضته حتى يكون أبعد عن الامراض والاسقام لان اقامة الصلاة نوع رياضة بدنية مرتبطة بعبادة ربانية والوضوء داع الى نظافة الظاهر الداعية اليها الآداب والشرع الشريف ولذلك نجد الصالحين متمتعين بالصحة جسما وعقلا تعلوهم شارة الهيبة والوقار ولا غرو فان الخير كله فى اتباع ما أمر به جل شأنه والانتهاء عما نهى عنه

ويدخل فى هذا النوع صلاة الجنازة وصلاة العيدين فينبغى للمعلم أن يصفها للناشئة حتى يكونوا على بينة منها اذا اضطروا الى اقامتها فان التقليد فيها يؤذن بالجهل وباستحقار المرء نفسه اذا قام منتصبا لا يدرى ما يفعل كما وجدت ذلك من نفسى وان لم أعلم ما يجده غيرى من نفسه

وأما الزكاة فهى مقدار يخرج من المال بشرائطها الشرعية تؤخذ من الاغنياء فترد على الفقراء وهى محرمة الاخذ على الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا على آله وهى من أعظم روابط الالفة بين الامة لما فيها من المواساة والتوسعة على ذوى الفاقة وتعميم الثروة بين الافراد نوعا ما الى غير ذلك مما لا يسعه الاحصاء

وأما الصوم فيصف لهم كيف يصوم الانسان فى شهر رمضان وينبههم الى الاحتفالات الدينية بذلك الشهر والى فضائل الصوم من أنه داع لتعويد المرء على تحمل المصاعب حتى يقوى سلطان النفس على الجسم وأنه ينبه المرء الى الفرق بين الجوع والشبع حتى تحنو عواطفه على الفقراء المعدمين فان الاشياء باضدادها تتميز

وأما الحج فأحسن طريقة لتدريس تعاليمه هو أن يصف المعلم للناشئة رحلة الحجاج من مصر الى مكة برا وبحرا كأن ينبههم أولا الى مقدار المصاريف التى تدفعها الحكومة لاقامة هذا الموسم الشريف كمصاريف كسوة الكعبة والهدايا التى تعطى للبدو والقاطنين بالطرق وبالبلاد الحجازية ثم يصف لهم مسير موكب المحمل فى مدينة مصر وينبه من التفاتهم الى أجزاء ذلك الموكب وما يشتمل عليه كطوائف الطرق واختلاف أعلامهم الى أن ينتهى الى محل الاستقبال ويأخذ رأيهم فى ذلك كله ثم يصف لهم سير الموكب من مصر الى مكة حتى اذا انتهى بهم الى ذلك الحد وصف لهم موقع مكة من الارض مع ذكر جغرافيتها بالاختصار ووصف بيت الكعبة وذكر أوصاف سكانها وبعض عوائدهم وأحوالهم المعاشية ثم يشخص لهم اجتماع المسلمين بهذا البلد الشريف ويطنب فى وصف احتفالاتهم التى تنتظم من مصريين وتركيين وفارسيين ومغربيين وهنديين وغيرهم من أنحاء بلاد الاسلام ويصف لهم

كيفية اقامتهم موسم الحج من الطواف والوقوف بعرفة ورمى الجمار وما أشبه ذلك ثم يصف المسير من مكة الى المدينة ويذكر زيارة الروضة الشريفة مع وصف المسجد النبوى ثم يستطرد بالكلام على المدينة سياسيا وجغرافيا وعلى بعض عوائد سكانها وبعد ذلك يلقى عليهم كيفية سرور العائلات عند رجوع الحجاج الى أوطانهم ثم ينبههم الى أن المقصود من الحج هو الهجرة الى الله فى طلب ما يصلح الدين والدنيا وأنه متى رجع الحاج خاليا عن ذلك فلا فرق بينه وبين الجمل الذى جرعه كؤوس العذاب بركوبه وثقل جسمه

واذا انتهى بهم الى هذا الحد وجه التفات المتقدمين منهم الى الاحوال المعاشية والفوائد الدنيوية التى تنجم عن الحج الشريف وذلك بان ينبههم الى أن اجتماع اناس مفترقى الاوطان فى صعيد واحد كمكة المشرفة يؤذن بالخير العميم العائد على الهيئة الاجتماعية من الاتحاد والتعارف وتوسيع نطاق التجارة والصناعة واتساع الافكار وتثقيف العقول فربما تجاذب المصرى والهندى الحديث فى بركات أراضيهما ومصنوعاتهما أو فى عادات وأحوال كل منهما معاشيا وأدبيا الى أن يفترقا وقد اتسع علم كل منهما بأحوال الآخر وصار له بعض المام بالهيئة الاجتماعية وغير ذلك من الفوائد العائدة من المجتمعات العظيمة التى يؤمها كثير من الامم

ويدخل فى موضوعنا هذا الكلام على الاعياد والمواسم المنسوبة للدين فينبغى للمعلم أن ينبه الناشئة الى أسمائها ومعناها وعدد أيامها وفى أى شهر تكون والى كيفية آداب الاجتماع فيها ويحسن به أيضا أن يذكر لهم أسماء الاعياد لدى المسيحيين والاسرائيليين مراعاة للتنظير وكذلك ينبههم الى آداب الاجتماع فى يوم الجمعة بالمساجد والى أن المقصود منه سماع ما يلقيه الخطيب مما فيه صلاح الدين والدنيا معا الى غير ذلك من المواضيع الدينية التى لها ارتباط مزيد بالاحوال الشخصية أو الاجتماعية ولى مندوحة عن الاطالة فيها بذكاء سادتى المعلمين

الفصل الثانى

(فى اللغة الوطنية)

اللغة هى العبارة والترجمان عن الافكار والتصورات والاحساسات النفسانية وكل احساس يختلج فى النفس له ألفاظ من اللغة تدل عليه ولذلك نجد المتفكر يعبر فى نفسه عن تصوراته واحساساته وان عجز عن التعبير عنها لفظا وعجزه عن ذلك ناشئ عن عدم وقوفه على ألفاظ لغته

والانسان من طبعه قابل لان يختلج فى صدره جميع الاحساسات والتصورات الممكنة عادة وطبعا ولكن يختلف ذلك فى الافراد فالذى سبر الاحوال وجرب الامور وزاد اختباره فاتسعت دائرة أفكاره يكون لامحالة فى حاجة الى كثرة الالفاظ والذى لم يأخذ نفسه بالتجربة والاختبار نراه قليل الاحتياج اليها وحيث ان كل فكر يمكن صدوره عن النفس له ألفاظ من اللغة تدل عليه نعلم أن ممارسة الانسان لغته تزيد فى أفكاره وتوسع من نطاق تصوراته وتصعد باحساساته التى كانت كامنة فى النفس ضرورة أن اللغة من موضوعات أمة عظيمة وضعوا ألفاظها لتترجم عن أفكارهم وتصوراتهم النفسانية فاذا مارس الافراد لغتهم حصلوا منها على نتائج أفكار تلك الامة العظيمة كما لا يخفى

وهكذا القول اذا تعلم المرء لغة أجنبية (بعد اتقان لغته الوطنية) فانها توسع من فكره وتكثر من تصوراته وتقيم من عقله بحكمة أنه قد شارك أمتها فى احساساتهم القلبية ومن ثم يعدون كل لسان بمنزلة انسان

والغرض من تعليم الناشئ لغته أمران الاول أن يقتدر على التعبير بها عن أغراضه الثانى أن يقتدر على فهم تعبير الغير والطفل يحصل من طبعه على مقدار من ذينك الامرين شيأ فشيأ أما تعلمه التعبير والكلام فبواسطة تكرار سماعه الالفاظ والجمل المختصرة المصوغة بشأن الاشياء المحيطة به لاسيما الاشياء التى يشغف بها الى أن يأخذ فى التقليد وأما تعلمه فهم اللغة فهو فى ابتداء أمره لا يفهم من الالفاظ والجمل الا مضمونها على وجه عام كجمل المدح والانذار والترغيب والترهيب ويستخدم فى ذلك بصره فتراه اذا كلمته شاخصا ببصره اليك ليستكشف مضمون كلامك من حركاتك وسكناتك وآثار وجهك بدليل أنك اذا قطبت له وجهك وخاطبته بالفاظ المدح غضب ولو كنت له سمح الوجه بشوشه وخاطبته بالفاظ الذم والانذار لكان لك حامدا شاكرا يسره منظرك وحديثك من حيث لا يدرى والناشئ المكفوف البصر يستخدم حاستى اللمس والسمع بدلا عن البصر فتراه اذا حدثته مقبلا عليك وعس جسمك ووجهك صاغيا اليك ليستكشف مضمون كلامك حتى انه ليخيل اليه أن الكلام جسم يكاد يمسكه كما نشاهده مرارا

ثم ان الناشئ الحدث ربما سمع ألفاظا مرارا عديدة بدون أن يفهم معناها فيتكلم بها بدون تعقل وتبصر وربما وضعها فى غير مواضعها الى أن يشعر بمدلولها شيأ فشيأ أما أسماء الاشياء فيشعر بمدلولها بواسطة الحواس الخمس وأما الالفاظ المعنوية فيتربى شعوره بمدلولها بواسطة الاختبار والتجربة

اذا تقرر ذلك تعلم أن الناشئ فى استخدام لغته أسير التقليد والتجربة ولذا وجب على المدرسة أن تهيئه وتوصله الى درجة يقتدر بها على صحة استخدامه لغته فى الترجمة عن أغراضه وأغراض غيره لفظا وتحريرا وعلى فهم ما يتكلم به الغير ويحرره لاسيما الاساليب المصطلح عليها فى الكتب والجرائد والرسائل

ولذلك وسائل عديدة كمحادثة الناشئة ومحاورتهم فى الاشياء المحسوسة أو المعلومة لهم وكترقب أساليب مختلفة من الكلام وتعليمهم المطالعة وتركهم لان يحفظوا عن ظهر قلب بعض قطع كلامية وأشعار ودعوات وتعليمهم الكتابة مع نسخ قطع من كتب المطالعة وتعليمهم القواعد النحوية وكيفية الانشاء والتحرير وبذلك يجدر أن نقسم الكلام على تعليم اللغة الى خمسة فروع وهى التعليم بالمعاينة والمطالعة والكتابة والقواعد النحوية والانشاء ولنأت على كل منها بالبيان فنقول

التعليم بالمعاينـــــــــــة

ويعنون به عرض نفس الاشياء المحسوسة أو صورها على أنظار الناشئة ومحادثتهم فى شأنها ولا غرو أن نجعله أساسا التعليم كل فن بقدر الامكان لاسيما تعليم اللغة فكما أن للاشياء المحيطة بالناشئة تأثيرا عظيما فى نمو أفكارهم تؤثر فى لغتهم أيضا كالمنزل والحوش والقاعة والمدينة والاسواق وغير ذلك تعلم ذلك من الفرق العظيم بين أن يقضى الناشئ أيام طفولته فى قصر مشيد أو بستان أو منزل رحب أو فى مدينة عامرة وأن يقضيها فى صحراء أو خص أو مغارة أو قرية أو على البحار أو أواسط المدن أو فى دكان تجارة أو معمل صناعة فان ذلك كله مما يجعل لافكاره وتصوراته ولغته حدودا يقف عندها فالطفل الذى نشأ فى المدينة مثلا ينظر ما لا ينظره الآخر الذى نشأ فى القرية فذلك يدعوه شغفه الى التعرف باشياء المدينة التى هى حاجيات وكماليات والى معرفة أسمائها وهذا يقصر نظره على ما أحاط به من المزارع وأدوات الفلاحة والاخصاص التى هى حاجيات فقط وهكذا القول فى الباقى

على أننا لو بحثنا عن المقدار الذى حصل عليه الناشئ من لغته قبل دخوله المدرسة لالفيناه صادرا عن النظر والعيان حيث شاهد أشياء وسمع التعبير عنها من أبويه وقرنائه ولذلك رأت جميع مدارس الامم المتمدنة الغربية أخذ الناشئة بالتعليم بالمعاينة عند دخولهم المدرسة مباشرة ولعمرى انه لاجود الطرق فى تثقيف عقول الابناء وتوسيع نطاق أفكارهم وتقويم ألسنتهم فانه يحث الناشئة على التفكر وايقاع حكمهم على الاشياء التى يشاهدونها ويدعوهم الى أن يتمموا معرفتهم فيما بعد اذا شاهدوا أشياء لم تكن معلومة لهم قبل ليبحثوا عن مادتها

وصورتها وخواصها ومنافعها وغير ذلك مما يفيدهم فائدة جسيمة فى معاشهم ويعود على جامعتهم بالخير العميم

أما الاشياء التى تعرض على الناشئة فهى كل ما يقع عليه نظرهم وذلك كالاشياء الموجودة بفصل المدرسة وأدوات التعليم وجسم الانسان والادوات المعاشية المنزلية والملابس والمساكن والمدينة والقرية والضواحى والحيوانات والنباتات والاحجار ومناظر السماء وظواهرها كالكواكب والنجوم والسحاب والرعد والبرق والتأثيرات الجوية من البرودة والحرارة واختلاف مناظر الارض حسب اختلاف فصول السنة ومثل ذلك اللغة فانها تعتبر شيأ محسوسا كأن نقسم الجمل الى كلمات والكلمات الى مقاطع والمقاطع الى أصوات تؤديها الحروف الهجائية الى غير ذلك من جميع الاشياء الممكن ادراكها بالحواس الخمس خصوصا ما تشغف به الناشئة منها

ثم ان الاشياء الطبيعية أولى من الصناعية والجسمية أولى من التصويرية فرؤية السبع الحقيقى مثلا أولى من رؤيته مصنوعا من الخشب ورؤيته مصنوعا من الخشب أولى من رؤيته مصورا على الورق ضرورة أن الناشئة لقصور عقولهم وقلة تجاربهم وضعف تخيلهم لا يقتدرون أن يبعثوا فى صور الاشياء حياتها الطبيعية وان كان لا غنى عن الصور اذا عز احضار نفس الاشياء كما تقدم لنا ذلك غير مرة (راجع الكلام على العرض)

وينبغى أن يكون جدول مواد التعليم بالمعاينة منظورا فى ترتيبه الى الاحوال المعاشية لتفيد الناشئة فى المستقبل وتنحصر تلك المواد فى أربع دوائر عامة وهى المدرسة والمنزل والمدينة والوطن

فاما المدرسة فيعرض المعلم على الناشئة أشياءها وأدواتها الموجودة بالقاعة التى هم جالسون بها حتى الباب والسقف والطاولات والتخت والكراسى والشبابيك فينبههم الى موادها وأجزائها وكيفية تركيبها والمقصود من وضعها بهذه الهيئة

وأما المنزل فيوجه التفاتهم الى مواد تركيبه كالاحجار والاخشاب والحديد ثم الى أدوات قاعة الجلوس من المفروشات والدواليب والكراسى والابسطة ثم الى قاعة النوم ثم الى أدوات المطبخ وهكذا

وأما المدينة فاول ما يأخذهم بالكلام عليها ينبههم الى الجهات الاربع جاعلا المدرسة نقطة المركز ويمرنهم على ذلك كثيرا حتى يسهل عليهم أن يعلموا كل جهة اذا وقفوا بأية نقطة من المدينة

ثم يصف لهم مافيها من الانهار والخلجان والاشجار القائمة بطرقاتها ثم يوجه من التفاتهم الى الحوانيت ويقسمها حسب الصنائع ويصف لهم كل صناعة بالاختصار ثم يتكلم على ساكنيها فيقسمهم تقسيما سياسيا أودينيا ثم يصف لهم حيواناتها الى غير ذلك من الاشياء الموجودة بالمدينة والتي ينبغي أن يعلمها كل انسان يعد نفسه ضمن المتمتعين بالهيئة المدنيــــــة

وأما الوطن فينبههم الى أنه ينقسم الى مدن وقرى وأراض منزرعة ويذكر أشهر محصولاتها مع ذكر أدوات الزراعة وما أشبه ذلك ونباهة سادتي المعلمين تجعل لي مندوحة عن ذكر كل شئ بخصوصه والحد الضابط لنا في ذلك أن نوجه التفات الناشئة الى الاشياء التي يمكن أن تقع عليها أنظارهم سواء طبيعيها وصناعيها لاسيما الاشياء التي ينتفعون بها في المعاش كي يكونوا على بينة منها قبل اختيارهم لها واستخدامها في أحوالهم المستقبلة

وكيفية تعليم ذلك هو أن يعرض المعلم على أنظار الناشئة الشئ نفسه أو نموذجا له أو صورة عند تعذر وجوده واذا لم يمكن جميع ذلك حسن بالمعلم أن يرسمه لهم على التختة العامة

وينبغي له عند عرض الشئ أن ينبههم الى أحواله العامة من الطول والعرض والكبر والصغر ثم الى الاحوال الخاصــة كالاجزاء ونســبة بعضها الى بعض والطريق التي يأخذها في تعليم ذلك هي الجامعــة بين الخطابة والسؤال حتى يمكنهم أن يصوغوا بانفسهم جملا تامة التركيب بشأن الاشياء المعروضة عليهم

وأخذ الناشــئة بالتعليم بالمعاينــة يختلف باختــلافهم صغرا وكبرا فلا تؤخذ المبتدئون بما تؤخذ به المتقدمون ولا بالعكس وتوضيحا للمقام أذكر لك كيفية أخذ كل من الفريقــين بذلك فأقول

أما الناشئة المبتدئون فحيث تقدم لنا في الجزء الاول عند الكلام على مراتب الناشئة أنهم في المرتبة الاولى ليس الاعينا مبصرة وأذنا صاغية وأنهم يشغفون باستكشاف المؤثرات على هاتين الحاسـتين فلا غرو أن نستخدم حواسهم في تثقيف عقولهم وتقويم ألسنتهم وذلك لا يكــون الا بايقـاظ حواسهم وتنبيهها الى ما يؤثر فيها كأن ننبههم الى كثير من المبصرات المختلفة كبرا وصغرا ومادة وصفة والى المسموعات حسب اختلاف أنواعها والى كثير من الملموسات ناعمها وخشنها لينها وقاسيها والى المشمومات والى الفرق بين المطعومات ليس من جهة لذتها وكراهتها بل من جهة أوصافها كالحلاوة والملوحة والمرارة والحموضــة وغير ذلك

وكيفية استخدام ذلك كله فى التعليم بالمعاينة أن تقول للناشئة مثلا ماهى الاشياء التى تشاهدونها بفصل المدرسة فاذا عدوا لك تلك الاشياء من الطاولات والمقاعد وتختة الكتابة والخريطة والاقلام والدواة والمسطرة واللوح وغير ذلك تأمرهم بأن يرتبوها ترتيبا بحسب الكبر والصغر يبتدئون بالاكبر ويختمون بالاصغر ثم تأمرهم بترتيبها حسب المادة

وكأن تسألهم أن يعدوا لك أسماء الاشياء التى يشاهدونها بقاعة الجلوس بالمنزل ثم أسماء أشياء المطبخ وتسألهم عما كان منها من الخشب أو الخزف أو الحديد أو النحاس أو الصفيح وما أشبه ذلك

وكأن تسألهم عن الاشياء التى يشاهدونها لدى الحدادين أو النجارين أو البنائين أو الخياطين وعن أعمال أولئك الصناع بحيث يجيبون بقولهم البناء يبنى والحداد يطرق والنجار ينجر وينشر والخياط يخيط وهكذا

وكأن تسألهم عن ألوان الاشياء بان تقول لهم هل تقدرون أن تعدوا لى أشياء لونها أبيض أو أحمر أو أصفر أو أخضر أو أزرق وتطلب منهم أن يجيبوك بجملة تامة التركيب كأن يقولوا اللبن أبيض والقطن أبيض والجبس أبيض والدقيق أبيض وغطاء الفرش أبيض والفضة بيضاء وكأن يقولوا الشربوش أحمر والدم أحمر وبعض الورد أحمر واللحم أحمر وهكذا جميع الالوان

وكأن تسألهم عن أوصاف الاشياء الممكنة وذلك بأن تقول لهم ماهى أوصاف الطريق الممكنة (الجواب) الطريق اما طويل أو قصير عريض أو ضيق مستقيم أو معوج وأن تقول لهم ماهى أوصاف الماء المحتملة (الجواب) الماء اما نظيف أو وسخ رائق أو عكر حلو سائغ أو مالح بارد أو ساخن وقس على ذلك الاشياء التى تعتريها أوصاف مختلفة

وكأن تسألهم بقولك ماهى الاشياء التى تشاهدونها بالشوارع وتأخذهم بالتدريج ليجاوبوك بقولهم نرى فى الشوارع اناسا ماشين وآخرين جالسين للبيع واناسا راكبين على العربات وآخرين على الافراس أو الحمير ونرى على الصفين منازل مختلفة المقدار بعضها عال وبعضها واطٍ وبعضها جميل المنظر والآخر غير جميله والبعض حديث والآخر قديم وهكذا

وكأن تسألهم بقولك ماتشاهدونه فى الطرقات من الحيوانات (الجواب) نرى فى الشوارع حيوانات مختلفة وهى الافراس والحمير والبغال والثيران والجمال وغير ذلك ونرى بعض الافراس يسير خطوة خطوة وبعضها يعدو والبعض يحمل أثقالا والآخر يجر عربات ونرى أحيانا عددا عظيما من الغنم يسوقها الراعى ليخرج بها الى الخلاء وغير ذلك

وكأن تسألهم بقولك ماتسمعونه فى المدرسة من الاصوات (الجواب) نسمع فى المدرسة أصواتا كثيرة كسير العربات فى الطرقات ولغط الناس فيها ونسمع فتح الابواب وقفلها ونسمع قراءة تلامذة الفصول الاخرى ونسمع المعلم وهو يعلمنا وأحيانا نقرأ جميعا بصوت واحد نسمعه

وكأن تقول لهم ماتسمعونه فى المنزل (الجواب) نسمع فى المنزل مالا نسمعه فى المدرسة فنسمع غليان الماء فى المطبخ وتنفيض المفروشات وكنس الارض وعجن الدقيق وقص الملابس وهكذا

وكأن تسألهم بقولك ماطعم الماء والسكر والخل والفواكه (الجواب) الماء الخالص لاطعم له ولكنه يروى العطشان وطعم السكر حلو وطعم الخل حامض وطعم الفواكه اما حلو أو حامض أو جامع بينهما

وكأن تسألهم بقولك ماهى الازهار التى رائحتها مقبولة (الجواب) بعض الازهار له رائحة شديدة مقبولة مثل الورد والفل والقرنفل والنرجس وبعضها ذو رائحة مقبولة عطرة ولكنها ضعيفة والبعض لارائحة له وانما منظره جميل

ومثل ذلك أن تسألهم عن أشياء من جهة مايعرض لها من الليان والقساوة والنعومة والخشونة

هذا وينبغى لك أن توسع لهم نطاق تلك المواضيع بامثلة كثيرة بحيث لاتترك لهم شيأ يقع نظرهم عليه الا وتفاوضهم الحديث فيه وتطلب منهم أن يجيبوك عنه بجمل تامة التركيب واذا انتهيت بهم الى ذلك الحد وكنت على يقين من تقدمهم وقدرتهم على التعبير أمكنك أن تحادثهم فى أشياء مفردة مخصوصة كل شئ على حدته من جهة مادته وهيأته وشكله وغير ذلك وها أنا أوافيك بامثلة فى الموضوع مختصرا على الاسئلة فقط فأقول

ماتنظرونه فى فصل المدرسة فوقكم أو تحتكم . ماهى أجزاء السقف . بأى شئ ترون أرض الفصل مستورة . ماهى أجزاء الحائط . بم نفتح الباب ونقفله . ماهى الاجزاء المتحركة من الشباك والاجزاء الثابتة منه . ماالذى سهل علينا فتح وقفل الشباك . ماهى أجزاء الطاولة التى أمامكم ومن أى مادة هى ولماذا ترون سطحها مائلا منحدرا وقس على ذلك جميع الاشياء الموجودة بالفصل

ماهى أحوال الاشجار والازهار التى تشاهدونها حسب تغيرات الفصول الاربعة السنوية . ماهى المناظر التى ترونها قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها . ماترونه عند غروب الشمس .

ماالفرق بين حرارة الشمس وسط النهار وحرارتها عند الغروب . كيف تسقط أشعة الشمس على الارض فى الصباح والظهيرة والغروب . ماهى التغيرات التى تحدث فى فصل الشتاء . هل يطول النهار أو يقصر زمن الشتاء . ماهى التغيرات التى تحدث فى فصل الربيع . كيف ترون الاشجار والازهار بذلك الفصل ومثل ذلك فصلا الصيف والخريف

كيف تفرقون بين الانسان والحيوان . ماهو الفرق بين أيدى الانسان وأيدى الحيوان ومثل ذلك الوجه والارجل والقوام والصوت . ماالفرق بين السليم والمريض . ماالفرق بين الحى والميت . ماالفرق بين الخروف والمعز وبين الثور والفرس وبين البغل والحمار وبين الاوز والبط وبين السمك والطير وهكذا

لماذا كانت المساكن . كيف تميزون أبنية المساكن من أبنية المساجد . ماهى الاشياء التى ترونها فى المساجد ولا ترونها فى المنازل . مافائدة تلك الاشياء بالمساجد . ماالفرق بين المدينة والقرية وبين البحر والنهر وبين الجبل والتل الى غير ذلك

ولقد أجمع علماء التربية على أن يستخدموا التعليم النظرى توطئة ومقدمة للعلوم التى سيتلقاها الناشئة بالمدرسة ولذا ينبغى للعلم أن يلزم الناشئة بتقليد مارسمه لهم على التختة وبتخطيط خطوط من نقط الى نقط أخرى مختلفة الجهات كمن أعلى الى أسفل وبالعكس ومن اليمين الى اليسار وبالعكس وينبههم الى أسماء تلك الخطوط كالخط الافقى والخط الرأسى ليكون ذلك توطئة لتعلم صناعة الرسم وعلم الهندسة والكتابة وعند وصفه الاشياء ينبههم الى خواص الاعداد كأن يعدوا له أشياء المدرسة أو المنزل وغير ذلك ليكون مقدمة لعلم الحساب وهكذا يمرنهم على مقدمات كل علم

وليعلم المعلمون أن الغاية من أخذ الناشئة بالتعليم بالمعاينة هو تمرين وترويض أيديهم وأعينهم وآذانهم وأصواتهم وكلامهم وقوة مخيلتهم وحافظتهم ومفكرتهم وماذلك على المتبصرين بعزيز

وأما الناشئة المتقدمون فحيث علمنا مما ذكرناه فى الجزء الاول أن الناشئة فى مراتبهم الثانية من مراتب النشأة الطبيعية يقوى تفكرهم وتشتغل مذكرتهم بتجديد كثير من التصورات التى هبطت بها الحافظة وأنه لذلك يلزم أن نعرفهم الارتباط بين الاشياء ومالها من المنافع حسن بنا أن نلقى عليهم دروس الاشياء منفصلة واضحة وذلك بأن يعرض المعلم الشئ على أنظارهم أو صورته أو يرسمه أو يصفه لهم وصفا يشخص حقيقته ثم يحادثهم فى أمره كأوصافه ومنافعه متخذا طريقة الخطابة المشوبة بالسؤال ومتى تيقن من تصورهم اياه سألهم أن يصفوه

أمامهم والمقصود من ذلك تعويدهم على اختيار التعبير وتمرينهم على التكلم زيادة على تثقيف عقولهم وللمعلم أن يستخدم الشئ الذى عرضه عليهم موضوعا للتحرير والانشاء

أما تمكينهم من كتب دروس الاشياء فلا يجوز الا اذا كانت مشتملة على الصور وحينئذ يحسن بالمعلم أن يأمرهم بمطالعة ما وصفه لهم من تلك الكتب ويكون ذلك أمامه وعليه أن لا يكلفهم بحفظ عباراتها عن ظهر قلب اللهم الا الالفاظ والعبارات الاصطلاحية كما هو معروف بدون تعريف

وتقدير زمن دروس التعليم بالمعاينة يختلف باختلاف الناشئة أما المبتدئون فيحسن أخذهم بالتعليم بالمعاينة سنة واحدة وهى سنة دخولهم بالمدرسة ويكون ذلك يوميا طلبا للتمرينهم على التعبير والتكلم والتنبيه حواسهم وضبط مخيلتهم وأما المتقدمون فيكفيهم درس واحد فى كل أسبوع من السنين التى يمكثونها بالمدارس الابتدائية

القـــــراءة أو المطـالعـــــة

لما كانت القراءة والكتابة مكملتين للتعارف الانسانى وقائمتين مقام النطق والسمع عند تباعد المتخاطبين وكانت الافراد فى حاجة الى معرفتهما تنفيذا لحكمة التعارف ووصولا لما عهده الينا السلف فيما دونوه بكتبهم ورسائلهم ضرورة أن الامة متى دام أفرادها على البساطة الاولى واقتصروا فى المعائش على الحاجيات كانوا فى غنى عن تدوين أفكارهم وتقييد اختباراتهم وتجاربهم ومتى نزع الافراد جلباب البساطة وتحلوا بحال الحضارة والمدنية كانوا فى حاجة الى التدوين والتقييد والى ضبط ما أفادتهم التجربة مما يعود بالفائدة على أسباب معائشهم الحاجية والكمالية

تعلم مزيد أهمية تعليمهما للابناء وأخذهم بهما ولقد عظم قدرهما لدى الممالك المتمدنة الحالية فقضت على الامة بتعليمهما لجميع الابناء والبنات وسهلت لهم طرق ذلك بتكثير عدد المدارس والمدرسين فلا ترى ولن ترى أحدا من خواصهم أو عوامهم الا ولديه خبر بهما وقدرة على استعمالهما كما سيأتى لنا بسط الكلام عليه فى الجزء الثالث فى البيداجوجيا التاريخية

والمقصود من تعليم الناشئة القراءة والكتابة بالمدارس الابتدائية أمران

الاوّل — اعدادهم لان يقوموا بأنفسهم فى اجراء مقتضيات أحوالهم المعاشية بحيث لا يحتاج أحدهم الى آخر فى قراءة أو كتابة الرسائل الودادية أو المعاشية والجرائد الوطنية فان عجز المرء عن معرفة ذلك كله نقص فى حضارته ومثبط لهمته عن بلوغ الكمال

وداعيـة الى تقاعده عن أخذه نصيبا من الحضارة بينما يتمتع بها أبناء جنسه والى انعزاله عن وحدة الوطنية

الثانى – توصيلهم الى حد يمكن لهم به أن يتكملوا فيما بعد ويوسعوا من نطاق معرفتهم بلغتهم وأدبها

وأخذ الناشئة بالقراءة والكتابة يكون معا فى آن واحد عند دخولهم المدرسة ويفترقان متى قدروا على أن يكتبوا الالفاظ وبعض الجمل المملاة عليهم واذن يتسنى أخذهم بالكتابة وتحسين الخط ولذا وجب علينا أن نتكلم أولا على كيفية أخذ الناشئة بهما معا فنقول

حيث تقدم لنا قريبا أن علماء التربية قد أجمعوا على أن يستخدموا التعليم بالمعاينة توطئة ومقدمة للعلوم التى سيتلقاها الناشئة بالمدرسة نرى أنه ينبغى للمعلم عند أخذ الناشئة بالتعليم بالمعاينة أن يمرنهم على مقدمات القراءة والكتابة وذلك

أولا – تمرين أسماعهم وآلات نطقهم بكثير من الالفاظ كأن يلقى عليهم الالفاظ واضحة المقاطع والحروف مع التؤدة بحيث يقدرون على تمييز كل صوت يتركب منه اللفظ ثم يأمرهم بتقليدهم اياه فى التلفظ وبأن ينبههم الى أن اللفظ يشتمل على مقاطع وان المقاطع تشتمل على أصوات وان الصوت يؤديه حرف واحد وهكذا

ثانيا – تمرين أيديهم وأعينهم وذلك بتخطيط خطوط مستقيمة ومنكسرة ودوائر وأقواس وتعليمهم الالفاظ المحتاج اليها فى الخط مثل فوق وتحت يمين ويسار أفقى ورأسى مستقيم ومعوج دقيق وغليظ ومن ذلك تمرينهم على تقويم أجسامهم ككيفية انتصاب أعلى الجسم ووضع الذراع لدى التخطيط ومسك الاقلام طلبا لتعويدهم على ما يكفل صحة أجسامهم وعلى ما يروق منظره للناظرين

هذا ويحسن بنا فى هذا الموضوع أن نبحث فى الطريقة المتخذة لدينا الآن فى تعليم القراءة فان كانت جيدة السير حمدنا السرى والا استعنا الله على تحسينها فنقول

لاشك أن طريقتنا المستعملة لدينا فى تعليم القراءة الاولية موصلة للغاية المطلوبة ولكن لو سبرناها بمسبار الفكر وجعلناها عرضة للاختبار لالفيناها داعيـة الى خمود أفكار الناشئة موقعة فى الكسل ولا تبلغ بنا الغاية الا بعد ركوب متون الشطط ومرور كبير الزمن وذلك لانى أرى أن لا فائدة فى تكرير الناشئة قولهم بَ نَصبْ بَ بِ خفضْ ب بُ رفعْ بُ بْ جزمْ بْ الى آخر الحروف وقولهم بًا شدّه ونصبتين بٍ شدّه وخفضتين وهكذا كل حرف على حدته وقولهم بابا الف بى بايا بو باواو وهكذا فان مثل الناشئة فى ذلك كمثل آلة الموسيقى

تضطرب وليس لها احساس بما وقعه لعدم عمل أفكارهم وتنبه قواهم العقلية الى ماينطقون به وربما أدّى ذلك الى تثبط هممهم بل الى نومهم الذى هو الطامة الكبرى

وليت شعرى لو اتبعنا تلك الطريقة حسبما وضعه أسلافنا الاقدمون فلم يكن مقصودهم من وضع ذلك سوى التمرين العملى لا الآلى فقط حيث عهدى بهم أنهم قصدوا بوضع بَ بِ بُ بْ وهكذا أن ينطق بها الناشئ على ماهى عليه كنطقها فى الالفاظ بدون زيادة بَ نصب بَ اللهم الا فى موضع الاختبار والامتحان وطلب التعليل كأن يقول المعلم للناشئ لماذا تنطق الحرف هكذا فيقول له باء ونصبة تنطق بَ وباء وخفضة تنطق بِ الى آخره ولكن ما الحيلة وقد تقادم على ذلك العهد ونسى المعلمون الاصل وألزموا الناشئة بتعليل كل حرف مع الحركات تعليلا بمكان بعيد عن الفكر حتى صار ذلك آليا وركنوا الى الصدفة وألقوا مقاليد الامر الى الزمان حتى يفتح الله عليهم ويفك مقفل تلك الطلاسم

اذا تقرر ذلك نعلم أن أحسن طريقة نتخذها هى أن نلزم الناشئة بنطق الحروف كما تنطق بها فى الكلمات المركبة واذا احتاج الحال الى اختبارهم فلا بأس بتعليلها واذن ينبغى للمعلم أن يلقى الحرف على الناشئة ويكتبه لهم على التختة وينطق به ويأمرهم أن يحاكوه فى نطقه

واختلف القوم فى أخذ الناشئة بحروف الهجاء وبتهجئة الكلمات فنهم من يستحسن النطق بمسميات الحروف فبدلا عن قولنا جيم نقول جـ وعن ذال نقول ذ ونقول فى تهجئة كتاب كِـ تَـ ا بْ بدلا عن كاف وتاء وألف وباء ومنهم من يستحسن العكس وهو النطق بالاسماء والذى أراه استعمال تينك الطريقتين كل فى موضعها المناسب لها

وكما أنه يعلمهم الحرف يأمرهم بكتابته اما فى ألواحهم أو على التختة حتى اذا ارتسمت الحروف فى حافظتهم أخذهم بالحركات فيكتب لهم حرف الباء مثلا ويضع عليه اشارة النصب ويلقى عليهم لفظها ويمرنهم على جميع الحروف مع اشارة النصب ثم يأخذهم باشارة الخفض مع كل الحروف وهكذا بحيث يلزمهم أيضا بكتابة كل حرف مع الحركات ويمرنهم على ذلك مرارا عديدة

ويحسن به أثناء التعليم أن يركب لهم بعض الاحرف التى تعلموها ويصوغها كلمات ويأمرهم بقراءتها وكتابتها والحد الضابط لنا أن لا نأخذ الناشئة أخذا آليا فقط بل معززا بالتفكر والتأمل طلبا لتعويدهم على عمل الفكر فى جميع أحوالهم

ويلزم أن يكون بالمدرسة لتعليم القراءة كتابان كتاب التهجئة وكتاب المطالعة ولنتكلم على كل منهما فنقول

كتاب التهجئة

لما كانت الناشئة فى أوائل أمرهم مائلين الى كثرة الحركة شغفين بالحرية فى جميع أعمالهم وأحوالهم قريبى العهد بتلطف الاباء وتملقهم لهم نعلم أن كل ما يصادم احساساتهم وشعورهم بجميع ذلك يوقعهم فى الملل ويضعف عزيمتهم وهمتهم ولذا وجب أن يكون وضع كتاب التهجئة على حالة مناسبة لطباعهم سهلة المأخذ كثيرة المواضيع المختلفة ملائمة لقواهم العقلية باعثة لشغفهم بالتعلم ولكن اختيار الطرق المؤدية لذلك من الصعب على الانفس ولذا تفنن فيها أهل الغرب ولم يزالوا دائبين على اكتشاف طريقة حسب عقول الناشئة كافلة بتوصيلهم الى الغاية بكل سرعة وأحسن طريقة متبعة فى مدارس الغرب لاسيما مدارس ألمانيا هى الكافلة بالمطالعة والكتابة والتكلم وبالتعليم النظرى معا حتى يخرج الناشئ قادرا على مطالعة الكلمات والجمل وعلى كتابتها متمرنا على التكلم منضبط المخيلة واسع العقل حاذق الفكر حاضر التنبه

وحيث انى قد تعهدت تلك الطريقة وحضرت أخذ الناشئة المبتدئين بها فى مدارسهم حتى ظهر لى جيد نتيجتها رأيت أن يكون لنا معاشر المشرقيين من ذلك التفنن نصيبا يحيد بأبنائنا عن العمه فى طرق الظلمات ويجوز بهم فى مهيع الهداية وما على الا وصف تلك الطريقة فان حازت من الاساتذة الاستحسان حمدت المغبة والا فيكون وصفى لها من باب تنبيه الافكار فأقول

ينبغى أن نبنى كتاب التهجئة على ثلاثة أسس

(الاساس الاول) الحروف المفردة ثم هى مع الحركات ثم هى مع أحرف العلة ولا يلزم ذكر كل حرف على حدته مع كل حركة وحرف علة بل يكفى استعمال الحركات مع بعض الحروف وعلى المعلم أن يمرن الناشئة عليها مع باقى الحروف بواسطة الكتابة فى الالواح أو التختة كما تقدم التنبيه عليه آنفا واذا استدعى الحال الى ذكر كل حرف مع كل حركة فليكن ذلك بدون ترتيب فتوضع اشارة الخفض مثلا قبل الفتحه وعلامة الرفع بينهما وهكذا وذلك طلبا لتنبيه أنظار الناشئة ودفعا لما عسى أن يكون تعلمهم آليا بدون تفكر وروية

وللمعلم أن يأمرهم جميعا فى بعض الاحيان بتلاوة الحروف بصوت واحد يلحن تلحينا مقبولا للاسماع وذلك طلبا لتشجيع قلوبهم ودفعا للالهم وتمرينا لالات نطقهم وادخالا للسرور عليهم كما لا يخفى

(الاساس الثانى) حيث ان الناشئ من طبعه مائل الى ما يحرك نظره ويبعث من سروره نرى أن ننتخب ثمانية وعشرين كلمة تكون أسماء لحيوانات أو لادوات معاشية منزلية أو صناعية بحيث يكون كل اسم مبدوأ بحرف غير الذى بدئ به الاسم الآخر وترسم صور تلك الحيوانات والادوات وتحتها أسماؤها ويلزم وضع كلمات تحت كل صورة بحيث تكون مشتملة على حروف اسم الصورة مختلفة الموضع كى يتعلم الناشئ كيفية وضع الحروف أوائل الكلمات وأواسطها وأواخرها وينبغى أن يكون لتلك الكلمات مدلولات محسوسة أو معنوية لاساذجة وانتخاب المحسوسة أولى وأحرى

والاولى أن يكون مجموع أسماء الصور مشتملا على جميع الحروف الهجائية مختلفة المواضع وبذلك نرى أن ثمانية وعشرين كلمة كافلة بتعليم المطالعة الابتدائية فى زمن قريب

وكيفية أخذ الناشئة بذلك أن يأمرهم المعلم بفتح كتاب التهجئة ويعين لهم الصورة ويسألهم عن اسمها فلا محالة يجاوبونه وحينئذ يأمرهم بمطالعة اسمها المرقوم تحتها وبتهجئته وتقطيعه حرفا حرفا وبمطالعة كلمات التمرين التى تحت ذلك الاسم ومتى تمرنوا على مطالعة ذلك أمرهم أن ينسخوا تلك الكلمات فى ألواحهم ثم يأمرهم بطى الكتاب ويملى عليهم تلك الكلمات ليكتبوها امافى ألواحهم أو على التختة العامة واحدا بعد آخر أو يكتب أحدهم على التختة والآخرون فى ألواحهم وينبغى تمرينهم على ذلك مرارا عديدة حتى ترسخ صور الحروف والكلمات فى حافظتهم وهكذا يأخذهم بكل صورة الى أن تتم وبذلك تتمكن الناشئة من المطالعة والكتابة فى أقرب زمن بطريقة عقلية تشحذ من أذهانهم وتربى فيهم التفكر وتبعث من سرورهم وتحد من أبصارهم وتوقظ من تنبههم وتمنحهم قوة التمييز بين الاشياء بحكمة اختلاف الصور المتباينة جسما ووضعا وهيئة

وأما استخدام ذلك فى أخذهم بالتكلم وبالتعليم النظرى فينبغى للمعلم أن ينبه أبصارهم الى الصور فيسألهم عن أسماء أعضائها وصفتها ونسبة بعضها الى بعض من الطول والقصر وعن خواصها وفائدتها فى الاحوال المعاشية أو ضررها وهم يجاوبونه بجمل تامة التركيب مختصرة العبارة

ويلزم بعد الصور وضع ثمانية وعشرين جملة مختصرة تصف من أحوال وخواص الصور التى تقدمت مثال ذلك قولنا العصفور يطير الدب يرقص البيض له قشر وهكذا حسب اختلاف الصور التى رسمت ويأمرهم المعلم بمطالعة تلك الجمل مرارا ثم ينسخها فى ألواحهم ثم بكتابتها املاء عليهم ويحسن به أن يتحدث معهم فى معانى تلك الجمل بحيث لا يترك لهم جملة بدون فهمها

(الاساس الثالث) قطع نثرية لا ينقص عددها عن الخمسين يكون مضمونها اما حكاية عن ألسنة الحيوانات أو الجمادات أو عن أحوال الانسان لاسيما الاطفال أو وصفا للاشياء الطبيعية والصناعية المستعملة فى الاحوال المعاشية

ويلزم أن تكون سهلة الموضوع والاسلوب اللفظى مختصرة الجمل غير معقدة التركيب ولا مستهجنة الالفاظ ملائمة لعقول الناشئة ولافكارهم مناسبة لاحوالهم وتخيلاتهم وان كانت من البديهيات فبديهيات الكبير نظريات الصغير والقاعدة فى ذلك أن تكون تلك القطع كأنها صادرة عن احساساتهم ووجدانهم

وينبغى أن يكون مغزاها اما تجريبيا يوسع من أفكار الناشئة ومن تبصرهم باحوال الحياة وبالمعاملة الانسانية كحسن العشرة وشرف النفس وحب الاهل والوطن والحق والحقيقة أو أدبيا يربى فيهم الاخلاق الحسنة ويحيدبهم عن سيئ الاخلاق مثال ذلك ما يتضمن الفرق بين ولدين أحدهما مطيع والآخر عاص أو بين آخرين أحدهما مجتهد والآخر كسول أو أديب والآخر سفيه وهكذا

ويحسن أن يكون بعض تلك القطع شعرى الاسلوب بحيث يكون بحره سهل التلفظ والتوقيع وذلك طلبا لان يكون لهم بعض المام بالشعر وبالفرق بينه وبين النثر

وكيفية أخذ الناشئة بتلك القطع أن يعين المعلم منها قطعة سواء من الاول والوسط والآخر حسب ما يراه مناسبا للقوى الناشئة العقلية ويأمرهم بمطالعتها كل منهم جزأ منها بحيث يكون ذلك الجزء تام التركيب فلا يجوز أن يقرأ أحدهم جزأ من جملة يتممها الآخر فان ذلك يضيع أسلوب الجملة ومعناها واذا قرأ أحدهم قابل عليه الباقون وقرأوا معه سرا

ثم يتحادث معهم فى معناها فيشرح لهم المعنى والالفاظ الغريبة عنهم بمرادفاتها (راجع الكلام على الشرح) وحيث ان المقصود تعليم الناشئة حسن القراءة واتقانها أيضا حسن بالمعلم أن يمرنهم على جودة القراءة من أول الامر بان يقرأ القطعة أمامهم وهم يقلدونه وتكون قراءته بكل تؤدة متعمدا الصحة موقعا على المقاطع فان حسن قراءة المعلمين يمرن آذان الناشئة وآلات نطقهم

وللمعلم أن يجعل القطعة التى طالعوها موضوعا للاملاء على التختة أو فى ألواحهم أو موضوعا لنسخها فى منازلهم ولا تخفى عليك جودة تلك الطريقة اذا أخذت الناشئة بها أخذا حقيقيا فانها كما تمرنهم على المطالعة والكتابة توسع حافظتهم بكثير من الالفاظ وتعودهم على التفكر والبحث

كتاب المطالعة

وهو أهم كتب المدارس الابتدائية والثانوية والمقصود منه تثقيف عقول الناشئة بوصف الاشياء طبيعيها وصناعيها وبالاحوال ماديها وأدبيها وتوسيع دائرة معرفتهم بلغتهم وأدبها والحكمة من وضعه أن يكون للابناء معرفة بمتوسط من أدب اللغة لانك تعلم أن الامة البالغة شأوها من الحضارة لابد لها من متوسط أدبي يعلمه الخاص والعام طلبا لتقوية دعائم التعارف والالفة فيما بينهم ولبعث شغف الافراد بلغتهم وكتبها ولتسهيل تدوين العلوم والفنون

وحيث كان ذلك كذلك فلا جرم أن نستخدم كتاب المطالعة في تمرين الناشئة على الاساليب العربية تربية لاذواقهم بنثرها ونظمها من حيث هم يتمرنون على القراءة ولذا وجب أن تكون أساليبه منسجمة التركيب عذبة الالفاظ ثمينة المعاني مرسلة الجمل سهلة المأخذ بحيث يشغف بها الناشئ في صغره ويعتبرها في كبره

ولابد أن يكون كتاب المطالعة في وضعه كسفينة أو كشكول جامعا الكثير من المعلومات المادية والادبية مقسما الى أقسام عامة يشتمل كل قسم منها على قطع كثيرة وذلك أولا أدعية صالحة ثانيا أمثال وحكم ثالثا قصص وحكايات نثرية وشعرية رابعا وصف أشياء طبيعية وصناعية خامسا جغرافية بعض البلاد الوطنية والبلاد المقدسة سادسا تراجم بعض عظام الرجال سابعا وصف بعض الحيوانات والنباتات والاحجار ثامنا وصف أشياء مخترعة

فتلك مواضيع ثمانية ينبغي أن يذكر تحت كل منها قطع كثيرة لا تخرج عن موضوعها

أما الادعية الصالحة فينبغي أن نختار منها ما سهل معناه وخف لفظه ولا يقتصر فيها على طلب النفع ودفع الضرر بل على تمجيد الله أيضا ومجاهرته سبحانه بآثار قدرته (١)

---

(١) ويهمني أن أورد هنا لمحة طالما اختلجت بروعي وذلك انك لو تتبعت الدعوات التي نلهج بها لالفيتها نوعين نوعا يشتمل على طلب النفع ودفع الضرر بالاصالة كقول الداعي اللهم ارزقني اللهم أبعد عني الفقر ونوعا يشمل على طلب التوفيق لنوال الخير والقدرة على مصادمة الشر وأمثلة ذلك كثيرة ولو أمعنت الفكر في الفرق بين هذين النوعين وفي تأثيرهما على خواطر الداعين لوجدت بينهما بونا بعيدا فان من تأثيرات النوع الاول في الانسان تثبيط همه والوصول به الى حد يخرج به عن التوكل الحقيقي المطلوب شرعا ويوقعه في الكسل الذي يصير به الى التهلكة ونحن نعلم أن الباري جل شأنه جعل لكل شئ سببا يتوقف عليه حصوله فاوقف حصول الغنى على العمل والاقتصاد ومعرفة طرق الكسب وجعل الفقر عاقبة الجاهل بطرق الكسب أو العالم المتهامل الكسول تلك هي حكمته المطردة في عباده وحصول كليهما بالصدفة لا يعبأ به لندرته وخروجه عن الناموس الطبيعي فان قلت ان المقصود أيضا من طلب النفع ودفع الضرر هو طلب التوفيق للحصول على الاول والقدرة على الثاني أقول نعم ذلك مقصود الواضع الاول لمثل تلك الدعوات ولكن العبرة بما يجده الداعون من أنفسهم فانك ترى أنه لا يختلج ذلك المعنى في صدورهم ألبتة اللهم الا في صدور المتبصرين وقليل ما هم وأما تأثير النوع الثاني في الانسان

وحذق سادتى المعلمين يحمل عنى مؤنة التنبيه على كيفية اختيار باقى المواضيع الا أنه يجب أن يكون ترتيبها على حالة ملائمة لعقول الناشئة لا بحسب الموضوع العلمى

ولاخذ الناشئة بكتاب المطالعة خمس طرق مختلفة حسب اختلاف المواضيع سهولة وصعوبة

(الطريقة الاولى) اذا كانت القطعة غير محتاجة للشرح والتوضيح وحينئذ يأمر المعلم أحدهم بمطالعتها أمامه والآخرين بمقابلتهم عليه ومطالعتهم معه سرا وللمعلم أن يتفرس فى الناشئة ليكون على بينة من فهمهم ولذلك علامات لا تعزب عنه فاذا سكنوا واطمأنوا فذلك دليل على فهمهم واذا اضطربوا أو كسلوا فدليل على عدم الفهم وفى هذه الحالة ينبغى له أن يتلافى الامر إما باعادة القطعة ثانية أو بشرح المعنى لهم

(الطريقة الثانية) اذا كانت القطعة غير محتاجة الى الشرح ولكنها مملة الموضوع لا تشغف بها الناشئة وحينئذ يأمرهم المعلم بمطالعتها واحدا بعد آخر كل يقرأ جزأ منها وذلك دفعا للملهم وبعثا لنشاطهم

(الطريقة الثالثة) اذا كانت القطعة صعبة الفهم ولذلك حالتان

الحالة الاولى ـ أن تكون صعبة الموضوع فقط واذن يجب على المعلم أن يشرح لهم الموضوع شرحا واضحا ملاحظا قوى الناشئة العقلية وله أن يزيد من معارفه تسهيلا للفهم وللتلميذ أن يقدم ملاحظاته وبذلك يكون الدرس درس محادثة ولكن فى الموضوع فقط ثم يأمرهم بعد ذلك بمطالعة القطعة

الحالة الثانية ـ أن تكون القطعة صعبة العبارة والتركيب بحيث تحتاج الى الشرح اللغوى والنحوى وبذلك يكون الدرس درس محادثة فى الالفاظ وتفسيرها وعلى المعلم حينئذ أن لا يتعمق فى الشرح والتفسير فان كثرة الشرح تضيع عذوبة الالفاظ وتهبط بالشغف وتؤذن بالملل خصوصا فى القطع الشعرية فلا ينبغى التعمق فى شرحها اللهم الا شرح ما توقف عليه فهم المعنى

فهو يحثه الى العمل مع التوكل المطلوب والسعى فى جلب المنفعة ودفع المضرة بمعونته سبحانه ومن هنا ينتج أن المطلوب حصوله أو دفعه اما أن يحصل بواسطة أو بدونها فالذى يحصل بالواسطة هو كل ماله سبب دنيوى ظاهرى والذى يحصل بدون واسطة هو كل ماله سبب روحانى كالمغفرة والتوفيق والرضا والمعونة والتسهيل وغير ذلك ولذا ينبغى اتباع ما رسمناه فى انتخاب الدعوات التى يتحلى بها كتاب المطالعة ويحسن أن يكون أغلب موضوعها طلب التوفيق للحصول على المنفعة العائدة على العموم كاقامة دعائم الوطن واصلاح حال الامة وما أشبه ذلك اهـ مؤلفه

ولتعلم أن المحتاج الى الشرح ثلاثة أشياء الاول موضوع القطعة على وجه العموم الثانى الالفاظ والجمل على حدتها ثم ارتباط بعضها ببعض الثالث التعاريف والامثال والمجازات ويلزم أن يكون شرح الالفاظ لغويا بالنسبة الى المتقدمين وبالمرادفات أو بالوصف والتشخيص بالنسبة الى المبتدئين

وينبغى أن لا يكون الشرح آخذا اصطلاحا علميا بل يجب على المعلم أن يصوغ عبارة شرحه فى قالب عبارات عادية طلبا للتسهيل على الناشئة وبعد انتهاء الشرح يأمرهم بمطالعة القطعة يبتدئ بنبهائهم وينتهى بضعفائهم

(الطريقة الرابعة) أن يعمد المعلم الى القطعة ويطالعها أمامهم وهم يقابلون عليه بعد أن يقدم لهم مقدمة تسهل عليهم فهم الموضوع أو يحكى لهم موضوع القطعة بتمامها ثم يقرأها أمامهم وبعد ذلك يسألهم عن المعنى ليكون على بينة من فهمهم وبقدر قراءة المعلم حسنا ورداءة يكون الادراك لان جودة القراءة نوع من الشرح والتفسير

(الطريقة الخامسة) أن ينتخب المعلم قطعة ويأمر الناشئة بمطالعتها فى المنزل واذا أوجس خيفة من عدم فهمهم المعنى أو بعض الالفاظ شرحها لهم أوّلا ويحسن أن تكون تلك القطعة مما تلائم الاحوال المنزلية كما لا يخفى

واذا حضروا بالدرس يأمرهم بطى كتاب المطالعة ويتفرس فيهم فيجد الذين أتقنوا القطعة مطالعة وفهما تلوح عليهم شارات السرور يكادون يذكرون القطعة بأول اشارة تصدر عن المعلم وحينئذ يأمر ضعفاءهم بحكاية موضوع القطعة ويظهر لهم سروره وارتياحه منهم ولو ذكروا النزر اليسير ثم يأمر نبهاءهم بحكاية جميع القطعة واذا نسوا شيأ نبههم اليه بدون ما لوم ولا عتاب

هذا ويحسن بى أن أذيل الموضوع ببعض تنبيهات فأقول

الاوّل — ينبغى أن تكون مطالعة التلميذ بصوت يسمعه الباقون ما بين التؤدة والعجلة موقع به على المقاطع والاتصالات الجملية صادر عن الطبيعة لا عن التصنع مختلف التوقيع حسب اختلاف معانى الجمل حيث ان للصوت لدى المطالعة أنواعا مختلفة وهى صوت الحكاية وصوت الاستفهام وصوت النداء وصوت الاستعطاف والرجاء وصوت التحذير والاغراء وصوت التهكم وهكذا فيجب ملاحظة كل هذه المواضع عند توقيع الصوت بشرط أن لا نخرج عن نقطة الاعتدال بدون تفريط ولا افراط لخروجهما عن الطبيعة وبذلك تكون المطالعة جيدة

مشخصة للمعانى ولا يجوز النطق بالحروف نطقا حادًا بل لينا سهلا حتى لا نكون موضعا للاستهزاء وتهكم السامعين

وينبغى مطالعة القطعة مرارا عديدة لان اتقان قطعة أفيد من مطالعة قطع كثيرة غير متقنة

ويجب على المعلمين أن يلاحظوا الناشئة عند مسكهم كتاب المطالعة فلا يتركهم يقربونه من أعينهم أو يغضون من أبصارهم طلبا للتقوية النظر بل يأمرهم بابعاده عن أعينهم بمقدار ٢٦ الى ٣٠ سنتيمترا(١) والمقصود من ذلك حفظ أبصارهم مما عسى أن يلم بها من الضعف على أن قرب المقروء من العين أو غضها عند القراءة يشخص هيئة قبيحة المنظر كما لا يخفى

الثانى - يلزم انتخاب بعض قطع نثرية وشعرية من كتاب المطالعة وإعدادها لان تحفظها الناشئة عن ظهر قلب وذلك بعد أن يطالعوها ويفهموها فهما جيدا وبعد حفظها يأمرهم المعلم يوما ما بالقائها والخطابة بها عن ظهر قلب وذلك طلبا لتشجيع جاشهم وتمرينهم على التكلم فى المحافل فيما بعد ومثل ذلك أن يأمرهم بكتابتها غيبيا ولا تعزب عنك حكمة ذلك فانه يوسع من أفكارهم ويغنى من كنوز محفوظاتهم بكثير من الالفاظ والتراكيب المختلفة لتكون نموذجا لهم فيما بعد عند ارادة التحرير فى مواضيع الاحوال المعاشية والأدبية

الثالث - يحسن أن يكون ضمن كتاب المطالعة قطع نثرية وشعرية لبعض المنشئين والشعراء المتقدمين المشهورين فى تاريخ أدب اللغة وينبغى حينئذ كتابة أسمائهم كل منهم فوق القطعة المنسوبة اليه وذلك طلبا لامرين الاول بعث احساس الفخر فى الناشئة بلغتهم وبمن قاموا بخدمتها من مشاهير الرجال الثانى استطراد الكلام على تراجمهم وأحوالهم المعاشية والادبية حيث ينبغى للمعلم عند نسبة القطعة الى أحد الرجال المشهورين أن يحكى للناشئة سيرته وأحواله وفى أى عصر كان ويحسن أن لا يجاهرهم بافضلية أحد الناثرين أو الشعراء على الآخر بل يترك لهم ذلك ويكل الامر الى أفكارهم وحكمهم فانهم لا محالة يشعرون بذلك بأنفسهم شيأ فشيأ

الرابع - يحسن أن يكون بمكتبة كل مدرسة كتب أدبية عديدة كقصص وحكايات وروايات من شأنها أن تربى فى الناشئة قوة الفكر وتوسع من نطاق تجاربهم وتضبط من قوة تخيلهم والمقصود من ذلك اعارتها الى الناشئة ليطالعوها فى أوقات الفضاء أو فى المنزل ويجب امعان النظر فى اختيار تلك الكتب فليست كل حكاية أو قصة تلائم الناشئة ولذا لزم أن يكون

---

(١) ينبغى سؤال الاطباء عن المقدار المتوسط اللازم لبعد المقروء عن العين فان ذلك يختلف باختلاف الابصار من الفطرة فمن الناس من هو قوى البصر بالنسبة الى المحسوسات البعيدة ضعيفه بالنسبة الى القريبة ومنهم بعكس ذلك اه مؤلفه

مغزاها أدبيا لا يضر بالاعتقاد ولا يمس بالآداب وأن يكون أسلوبها غير مهيج للتخيل تهييجا يحيد بالناشئة عن حقائق الامور

ولقد كان غرض السالفين من وضع الحكايات ليس الا تربية الافكار بالمبادئ الادبية والفوائد التاريخية وتهذيب الاخلاق باعتبار حوادث الايام حتى قيل ان المقصد الاصلى من وضع الحكايات كان لكشف الحقائق التى يصعب أو يخشى كشفها بدون تمثيل ولذلك كان أصل وضعها فى منازل الملوك ولكن غفل الانسان بعد ذلك عن المقصد الاصلى فوضع قصصا غريبة بعيدة الادراك لا تحتمل التصديق لتجاوزها طور العقل وخروجها عن النواميس الطبيعية فاذن يجب علينا أن نرجع الى الاصل ولا نمكن الناشئة من الحكايات الخرافية الخارجة عن حدود الطبيعة

ويلزم أن تكون الكتب المنتخبة لذلك سهلة العبارة قريبة التناول مأنوسة الالفاظ أدبية الموضوع بحيث تكون نتيجتها مطابقة للحكمة المقصودة من وضعها

وعلى المعلم أن يعين منها للناشئ كتابا يأمره بمطالعته بعد أن يبعث فيه الشغف بموضوعه ولا يجوز تبديل الكتب بالسرعة وذلك طلبا لتمكن الناشئة من مطالعتها وفهم موضوعها ولذا يحسن بالمعلم أن يسألهم عن موضوع الحكاية التى طالعوها فاذا تحقق من فهمهم الموضوع فبها والا فلا يجوز تمكينهم من كتاب آخر على أنه لا ينبغى اعارتهم الكتب غالبا دفعا لما عسى أن يصير شغفهم بمطالعة الحكايات عشقا يضر بجانب المعلومات الاخرى

الخامس — يلزم أن تكون كتب المطالعة كغيرها حسنة المنظر سهلة التناول والاستعمال بان يكون الورق نظيف المادة أملس السطح ليس باللماع سميكا بحيث لا تظهر آثار حروف صحيفة منه فى صحيفة أخرى وأن تكون أحرف الطبع كبيرة والاولى أن يكون ارتفاعها ثلاثة مليمترات (ينبغى أخذ رأى الاطباء فى ذلك) ويلزم أن تكون السطور بعيدة عن بعضها كيلا يقع الناشئ فى الحيرة عند القراءة فانه ربما أتم سطرا وابتدأه ثانية لقرب السطور من بعضها وأن تكون السطور غير طويلة والاولى أن تكون من ثمانين الى تسعين ملليمترا

ويجب أن تكون كل الكتب المتداولة بايدى الناشئة مجلدة أو مجزءة بكل اتقان وإحكام والاولى أن لا يكون جلدها ملونا بلون تتأثر به الايدى أو بلون ذى مواد سمية فان ذلك بمعزل عن النظافة وعن الصحة

الكتابة وتحسين الخط

لقد علمت آنفاً أن أخذ الناشئة بالقراءة والكتابة يكون عند دخولهم المدرسة وتفترقان متى قدروا على أن يكتبوا الالفاظ والجمل المملاة عليهم وحينئذ يتسنى أخذهم بالكتابة وتحسين الخط فى درس مخصوص

والمقصود من هذا الدرس هو ابلاغ الناشئة الى حدّ يقدرون به على حسن عرض ما يكتبونه ومع أننا لا نريد أن يصير الجميع خطاطين يجب علينا أن نطالبهم بتحسين خطوطهم على اختلاف أنواعها والحكمة فى ذلك أن لممارسة تحسين الخط فوائد جمة فانها تحد البصر وتكسب الذوق معرفة بالحسن وتربى فى الناشئة وظيفة الانتقاد والتمييز عند التمعن فى النسب الخطية وتمرنهم على ترقبهم لانفسهم واختبارها والحكم عليها عند المضاهاة بين ما يكتبونه وبين المشق وتوقظ فيهم الاحساس بالنظافة والنظام وتمرنهم على الصبر وتدعوهم الى التسليم للحق عند عدم القدرة عن محاكاة المشق وتبعث فيهم الاحساس بالتقدم والفخر عند قدرتهم على محاكاته

ولما كانت الناشئة أولى مراتب مختلفة حسن بنا أن نتكلم على أخذ كل مرتبة بتعليم الخطوط فنقول

(الناشئة فى المرتبة السفلى) وفى هذه المرتبة ينبغى أخذهم بتخطيط الحروف والكلمات والارقام الحسابية على التختة أو على ألواح الاردواز حسب القاعدة النسخية وفى أواخر مرتبتهم يتبدؤن بالكتابة بالحبر على ألواح تعد لذلك ولا يجوز أن يقلدوا حروفا أو كلمات أو جملا لا يفهمونها ولذا يلزم أن يأمرهم المعلم بمطالعتها ويتحدث معهم فى معناها والاولى انتخاب تلك الجمل من كتاب التهجئة ويبدأهم المعلم بالكتابة الجسيمة ثم يأخذهم بتصغيرها شيأ فشيأ الى القدر المطلوب وعليه أن يدلهم الى كيفية مسك الاقلام والالواح ومقدار بعد الاخيرة عن العين واقامة أعلى الجسم لدى الكتابة وغير ذلك ومعلم هذه المرتبة هو معلم القراءة والكتابة الاولية ويختص معلم الخط بالمرتبتين الآتيتين

(الناشئة فى المرتبة الوسطى) وفى تلك المرتبة يأخذهم المعلم بخطى النسخ والثلث على الورق فأما الخط النسخى فيكون ضمن جمل وتراكيب والخط الثلثى ضمن الحروف المفردة وتركيب أحدها مع الآخر وفى أواخر مرتبتهم هذه يحسن أخذهم بخط الرقعة ولو نادرا ضمن جمل سهلة الالفاظ ثمينة المعانى والاولى انتخابها من كتاب المطالعة

(الناشئة فى المرتبة العليا) وفيها تؤخذ الناشئة بخطى الثلث والرقعة الا أنه ينبغى مزيد الاعتناء بتمرينهم على الرقعة ضمن مكاتيب ودادية وتجارية أو ضمن قطع أدبيـة أو تاريخية وذلك تمرينا لهم على اجراء مقتضيات الاحوال المعاشية

وحيث ان الناشئة فى هاتين المرتبتين الاخيرتين يستخدمون الورق فى الكتابة وتحسين الخط وجب أن نطالبهم بترتيب أوراقهم وتنظيمها كيلا يفرقوها أيدى سبا فى أدراجهم التى ربما نراها غير منتظمة كحوانيت العطارين ولذا وجب أن ندلهم الى وضع الاوراق الملائمة المستعملة لخطى الثلث والنسخ فى محافظ مخصوصة تعد لذلك وأما خطوط الرقعة فالاولى أن نستخدم لها كراريس بيضاء غير مقلمة ولا سميكة تكون مجزعة بجزع بسيط ليس له لون تتأثر به الايدى فان ذلك يضبط من قوة تخيلهم ويحفظ أفكارهم عن التشتت ويمرنهم على النظافة والترتيب واحترام أدواتهم وحفظها وعلى نظار المدارس والمعلمين تعهد ذلك النظام فى أغلب الاحيان

هذا ومتى أخطأ كثير من الناشئة فى رسم حروف أو كلمات حسن بالمعلم أن يطلعهم جميعا على سبب الخطأ ويريهم كيفية رسمها على التختة العامة وينبغى له أن يكثر لهم من كتابة الالفاظ المخالف رسمها للفظها شيأ فشيأ طلبا لتعويدهم على الاملاء وصحة رسم الكلمات وعلى نظار المدارس والمعلمين أن يتعهدوا حسن خطوط الناشئة فى جميع الدروس فانه لا فائدة فى حسن الخط فى درسه وقبحه فى الدروس الاخرى كما لا يخفى

تبصـــــــرة

ويجب صرف العناية الى تقويم أجسام الناشئة لما يضر بصحتها أو يشين بمنظرها وذلك بأن نعودهم على انتصاب أعلى الجسم وكذلك الرأس فلا يجوز أن يميل أحدهم بجسمه أو ينكب به على الورق أو يطأطئ برأسه شديدا أو يقرب الورق الى عينه أو يغض منها

ونحن معاشر المشرقيين قد اتخذنا عادة مضرة بالصحة لاسيما كتابنا المكبون على التحرير أغلب أوقاتهم حيث نراهم يبعدون الورق عن أعينهم من ١٠ الى ١٦ سنتيمترا وذلك هو الضرر بعينه على ما فيه من قبح المنظر ولذا وجب تعويد الناشئة من أول الامر على أن يكون بعد الورق عن أعينهم عن الكتابة من ٢٦ الى ٣٠ سنتيمترا وعلى الذين يكتبون خط الثلث أن يضعوا الورق على الادراج عند الكتابة فان جلوسهم القرفصاء مما يدعو الى الامراض ويؤذن بالضعف حيث بذلك يكل العمود الفقرى ويتعب من شدة الانحناء وتتألم المعدة بضغط الاحشاء الباطنية فان قلت ان رسم الثلث لا يمكن الا اذا جلس الانسان القرفصاء أقول

أن تيك عادة محضة والانسان أسير عادته فلو تعود ناضدها لكانت لنا عادة أيضا ولكل امرئ من نفسه ما تعود

ومما يدعو الى الصحة أن لا يكون الورق عند الكتابة موضوعا على سطح مستو بل منحدر بحيث يصنع انحداره زاوية قدرها ثلاثون درجة من زاوية قائمة وأن يكون المداد أسود حالكا فان الالوان الزاهية تضر بالبصر لكثرة الانعكاسات

القـــــــواعد النحوية

لما كانت اللغة هي الاساس الوحيد الذي تنبني عليه دعائم تقدم الوطن ماديا وأدبيا علميا وصناعيا حيث هي آلة التفاهم بين التاجر والصانع والعالم والجاهل والمعلم والتلميذ الى غير ذلك تعلم أن تعهدها من الواجب على أفراد أمة تريد أن تبلغ لها شأوا من الحضارة والمدنيــة وأنه بقدر خدمتها خدمة عملية يكون التقدم ان زيادة وان نقصا ولا يكون ذلك الا بأخذ الافراد بها وبما تتوقف عليه من القواعد النحوية والانشائية

والمقصود من أخذ الناشئة بالقواعد النحوية في المدارس هو تربية ذوق اللغة فيهم حتى يكونوا على يقين وثقة من صحــة ما يقولونه أو يحررونه أو يقرؤنه وتمرينهم على صحة التعبــير عن أفكارهم الخصوصــية وعن أفكار الغير شفاهيا وتحريريا على أن لاخذهم بتلك القواعد المنتظمة نفوذا عظيما في توسيع أفكارهم وتربية أخلاقهم لانه تقرر في علم النفس أن بين اللفظ والفكر والخلق نسبا نفسانية تؤثر احداها في تاليتها

وبوجه أخص أقول ان الغرض المدرسي من أخذ الابناء بالقواعد النحوية هو بعث القدرة فيهم على استعمال لغتهم في التكلم والتحرير واستخدامها في اجراء مقتضيات وظائفهم المستقبلة وتلك الوظائف اما مادية أو أدبيــه فالمــادية كالصناعة والحرفة والتجارة وفي تلك الحال ينبغي أن ينتهي أخذهم بالقواعد النحوية بانتهاء زمن المكتب الاهلي وأما الادبية فهي العلم بجميع أنواعه وحينئذ يجب الاستمرار على أخذهم بالقواعد النحوية أخذا عمليا الى انتهاء زمن تعلمهم وأعني بهــم الذين يتصدرون فيمــا بعــد لان يكونوا طبيعيين أو مهندســين أو أطباء أو معلمين أو مترجمين أو كتبة أو قضــاة أو أولي وظــائف ادارية فكل أولئك يجب أخذهم في نشأتهم بالقواعد النحوية حتى يقوم الواحد منهم بنفســه في أداء وظيفته بحيث لا يحتاج الى مشاركة الغير في التعبير عن أفكاره أو تصحيح ما حرره أو صــنفه ولعمري ان عجز العالم عن اظهار علمه بلغته الوطنية لكاف في أن يستر بالامة القهقرى كما لا يعزب علم ذلك على المتبصرين

وأخذ الناشئة بالقواعد النحوية على كلا الحالين أعني سواء كان مستقبل وظائفهم الاحوال المعاشية أو الادبية يلزم أن لا يخرج عن المركز المطلوب والغاية المنتظرة فلا يجوز أخذهم بالمناقشات والفروقات العلمية والتعليلات المنطقية والحكم الفلسفية المحضة فان ذلك كله بمعزل عن الغرض المدرسي اللهم الا الذين نصبوا أنفسهم لان يكونوا لغويين أو علماء شرعيين يستنبطون أحكام الشريعة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ولنا معاشر المصريين غنى فى ذلك بالازهر الشريف ودار العلوم الغراء

أما طرق تعليم القواعد النحوية فكثيرة ولكن اختيار طريقة منها تكون موصلة الى الغاية المطلوبة من الصعب على الانفس ولذا نحا البيداجوجيون فيها مناحي شتى كل يؤيد منحاه ببراهين عقلية وهم مع ذلك قد وكلوا الامر الى المعلمين فان الطرق على اختلاف أنواعها لا تصل بالناشئة الى ما تصل اليه المعلمون فهم روح العلم وسر التعليم

الا أنه يحسن بي أن أثبت طريقة لاخذ الناشئة بالقواعد النحوية تذكيرا للسادة المعلمين فأقول (الناشئة فى المرتبة السفلى) حيث ان قواهم العقلية فى هذه المرتبة لا قدرة لها على فهم القواعد المحضة وجب أن نمرنهم على المقدمات ليكون لهم استعداد فيما بعد لتلقى القواعد العلمية وذلك بان يعودهم المعلم على حسن النطق بالالفاظ ومخارج الحروف وعلى صحة التوقيع على المقاطع وعلى المطالعة فى كتاب التهجئة بكل دقة

ثم يذكر لهم الفرق بين الاسماء والصفات (١) والافعال ويكون شرحه لذلك آخذا غاية من البساطة والسهولة مثال ذلك أن يقول لهم كل شيء ترونه له كلمة تدل عليه وتسمى اسما له فكلمات حبر ورق تختة مدرسة بيت فرس سلمان وغير ذلك أسماء وكأن يقول لهم كل شيء تشاهدونه له حالة مخصوصة فترون الحبر أسود والورق أبيض والشجر أخضر وترون الباب عريضا والشباك عاليا وقاعة الفصل متسعة أو ضيقة فكل هذه الكلمات تسمى صفات وكأن يقول لهم كل عمل يعمله أحدكم يسمى فعلا وينبغي أن يشخص لهم ذلك كأن يأمر أحدهم بالوقوف ثم القعود ويطلب من الباقين أن يعبروا عن عمله فى جملة فانهم لا محالة يقولون فلان وقف ثم قعد ومثل ذلك أخذهم بالمضارع والامر

ومتى كان على بينة من معرفتهم ذلك أتم معرفة طالبهم بأن يعدوا له كثيرا من الاسماء والصفات والافعال شفاهيا وتحريريا ويحسن أن يأمرهم بمطالعة قطعة من كتاب التهجئة امامه

---

(١) المراد من الاسماء والصفات ما كان منها محسوس المدلول وأما ما كان منها معنوي المدلول ككرم وشجاعة وخلاف ذلك فالاولى أخذهم بها متى وصلوا الى المرتبة الوسطى اه مؤلفه

وكلما أتوا على كلمة منها يعينون جنسها كما يحسن أن يعين لهم قطعة من الكتاب المذكور ليشتغلوا بها فى المنزل بكتابة ما يجدونه فيها من الاسماء والصفات والافعال والحروف كل قسم على حدته وليكن ذلك بعد مطالعتهم اياها أمامه وفهمهم معناها

(الناشئة فى المرتبة الوسطى) لما كانت الناشئة فى هذه المرتبة قد حصلوا على بعض العلم بالمبادئ ناسب أخذهم بالقواعد النحوية بأن نبدأهم بقواعد الاسماء والافعال والصفات ثم المفردات وجموعها ثم هى مع الصفات بدون تركيب تام مثال ذلك البيت الكبير والبيوت الكبار ثم الافعال ضمن جمل مختصرة بسيطة ثم هى مع المفاعيل ثم الفعل المجهول وفى أثناء ذلك كله يؤخذون بالضمائر وحروف الجر والظروف

(الناشئة فى المرتبة العليا) وفى تلك المرتبة ينبغى أخذهم بأحكام الجمل الاسمية والفعلية سواء بسيطها ومركبها وكذلك بالقواعد الصرفية مع تطبيقها على كثير من الامثال حتى تنطبع القواعد فى حافظتهم فلا تعزب عن أفكارهم

هذا والبيداجوجيون على كثرة طرقهم لم يحيدوا عن سبيلين

الاوّل — أخذ الناشئة بالقواعد بادئ بدء ثم تطبيقها على الامثلة وهم مختلفون فى ذلك فنهم من يرى أن تكون تلك الامثلة ضمن قطع نثرية توضع فى كتاب النحو تحت كل قاعدة ومنهم من يرى اختيار الامثلة من كتاب المطالعة ولكن طريق ذلك وعرة لا يقدر على سلوكها الا المعلم الماهر وذلك لان كتاب المطالعة لم يكن وضعه منظورا فيه الى نظام القواعد النحوية فربما لا يجد الانسان فى قطعة سوى مثال واحد للقاعدة المطبق عليها مع أن المقصود كثرة الامثلة ومنهم من يكل الامر الى المعلمين حيث يلزمهم أن يلقوا على الناشئة الامثلة ويأمروهم بنسخها فى كراريس معدة لذلك وأرى أن المعلم الماهر لا يتقيد برأى من هذه الآراء فيستعمل كلا منها عند سنوح الفرصة

الثانى — القاء الامثال ثم انتاج القواعد منها وهم مختلفون فى ذلك أيضا فنهم من يرى انتخاب كثير من الامثلة وجعلها موضوعا للبحث مع الناشئة لينتجوا منها القواعد وهذه الطريقة تشحذ من أذهان الناشئة وتربى فيهم وظيفة البحث والانتقاد وتحد من أفكارهم ولكنها صعبة المرقى لا يؤمها الا المعلمون الخبيرون بقوى الناشئة العقلية (راجع الكلام على الانتاج التدريجى)

ومنهم من يستحسن أن يقرأ المعلم معهم قطعة من كتاب المطالعة وينتج لهم منها القواعد النحوية المرادة له ويأخذهم بذلك شيأ فشيأ حتى يخرجوا وقد تعلموا القواعد تعلما عمليا من حيث لا يشعرون

ولكن لا قدرة لكل معلم على استعمال تلك الطريقة فانها وعرة السالك فربما أوقعت الناشئة في التشتت والحيرة ولذا يجب على من يؤمها أن يكون نبيها حاضر الذكر ثاقب الفكر

ثم ان أهم الامور في أخذهم بقواعد النحو هو عرض كثير من الامثلة وتمرينهم على العمل بموجبها فان معرفة القاعدة مع العجز عن استعمالها في الاحتياجات المعاشية والادبية لا يفيد الاعناء ولا يثمر الا تعبا فان القواعد وسائل للعمل ومتى وقف الانسان لديها بدون بلوغ المقاصد كان جديرا بالخيبة

ولذا يجب على المعلم أن لا يترك فرصة بدون أن ينتهزها في تطبيق القواعد على كثير من الامثلة العائدة على العمل وأن لا يأخذ الامثلة المصطلح عليها لدى النحاة دستورا له فانها لا تخرج عن ماجريات زيد وعمرو وخالد وبكر

تنبيه

وتمرين الناشئة على صحة رسم الحروف والكلمات وتعويدهم على الاملاء من الواجب على معلمي القراءة والنحو ويكون ذلك بامور (أولا) أن يأمرهم المعلم بنسخ عدد من الالفاظ المختلفة نطقا وكتابة (ثانيا) أن يأمرهم بتهجئة الالفاظ وتقطيع حروفها بحيث يجيبونه جميعا بصوت واحد منتظم (ثالثا) أن يملي عليهم ألفاظا أو جملا من كتاب المطالعة بعد قراءتها وفهمهم معناها وكلهم يكتب في كراسة تعد لذلك (رابعا) أن يعين لهم قطعة من كتاب المطالعة ويأمرهم بنسخها (خامسا) أن يأمرهم بكتابة ماحفظوه عن ظهر قلب من القطع النثرية أو الشعرية

وينبغي تنبيه المتقدمين منهم الى قواعد رسم الحروف والى الحكمة في كتابتها بالرسم المعهود وبعد تمام الاملاء يستصحب المعلم معه كراريسهم ليصلح من غلطها فاذا رأى أن أحدهم قد أتى بغلط كان يمكنه أن يتداركه بنفسه رسم تحته أو فوقه خطا ونبه الناشئ اليه ليصلحه وأما صعاب الاغلاط فينبغي أن يرسم فوقها رقما وتحتها خطا ثم يكتب الالفاظ الصحيحة على الهامش أو أدنى القطعة بحيث تكون متسلسلة الارقام ويحسن أن يكون مداد الاصلاح أحمر اللون كي تظهر للناشئة أغلاطهم لاول نظرة منهم (راجع الكلام على الاصلاح)

الانشاء

وهو أهم الغايات المقصودة من أخذ الناشئة باللغة الوطنية والمقصود المدرسي من أخذهم به هو اعدادهم وتهيئتهم لان يقوموا بانفسهم في التعبير عن أفكارهم المرتبطة بالاحوال المعاشية والادبية

واضطربت أقوال علماء التربية فى تحديد الغاية التى يجب أن يحصل عليها الناشئة منه فى المدارس الابتدائية وانقسموا الى حزبين

فأهل الحزب الاول يرون الاقتصار على الحاجيات المعاشية كالمعاملات الصناعية والتجارية قائلين ان أغلب الابناء بالمدارس الابتدائية لايخلو أمرهم من أن يكونوا أولاد زراع أو صناع أو تجار وانه لاجرم أن نمرنهم من الانشاء على مايمكنهم من تأدية وظائفهم ضرورة أن الفلاح المتبصر بالامور فى حاجة مزيدة الى ثلاثة دفاتر يقيد فى أحدها الداخل والخارج وفى ثانيها مواشيه وأدواته الفلاحية جديدها ومستعملها وفى ثالثها تقييدات وملحوظات فى أحوال الزراعة ومادتها كالبذور والثمرة وأوقات الزرع والحصد وما أشبه ذلك والصانع مضطر أيضا الى تقييد داخله وخارجه وأعماله التى وصاه عليها الغير والتى وردها للغير ومثلهما التاجر وهؤلاء الثلاثة فى حاجة الى تحرير الوصولات والسندات والحسابات والاعلانات والى المكاتبة والمراسلة فيما بينهم

ولذا وجب أن يكون أخذ الناشئة بالانشاء والتحرير منظورا فيه الى تلك الغايات ليس الا وماعدا ذلك من التأدب والتفنن فى فنون التحرير فيحصل عليه الناشئ بالمدارس الثانوية والعليا اذا أراد التكمل فى المعارف والخروج عن وظائف آبائه

وأهل الحزب الثانى يرون أن الاقتصار على ذلك غير كاف قائلين ان الغرض من تعليم الناشئ لغته هو تربية ذوقه ليقتدر على تشخيص أفكاره تكلما وتحريرا حتى الفلاح والصانع والتاجر حيث هم فى حاجة أيضا الى التعارف والمعاملة الادبية كشكر الجميل وتهنئة الاحباب وصلة الاصحاب واستمالة جانب الاعداء وتوثيق دعائم المودة بين الاصدقاء وغير ذلك على أن أخذ الناشئة بادئ بدء بالاحوال المعاشية يؤذن بتشتت أفكارهم ويدعو الى تنغيص راحتهم فليس من العدل أن نثقل كاهل الناشئ بأعمال الرجال وأن ننبه فكره الى كدر العيش ومشاق الاعمال وهو محتاج الى أن يقضى أيام نشأته ناعم البال فرحا جذلا اللهم الا أن نعرض على الناشئة صور تلك الاعمال كجداول الحساب والوصولات والسندات وما أشبه ذلك ويكون عرضها عليهم فى دروس الخط ليحسنوا صورة وضعها

أما ما أراه بالنسبة الى مدارسنا المصرية فهو سلوك طريق الاعتدال فى هاتين الحالتين بحيث ينبغى تنبيه الابناء الى بعض الاعمال المعاشية العملية عند سنوح الفرص ولو بطريق العرض المحض ليكون لهم بعض الالمام بالاصطلاحات العملية

هذا وللاخذ الناشئة بالانشاء تأثير عظيم فى قواهم العقلية حيث يوسع من دائرة أفكارهم

ويدعوهم الى اجالة الفكر وتتبع الالفاظ والاساليب الملائمة ويعودهم على الصبر والقيام بالنفس ويزيد من تجاربهم بحكمة اختلاف المواضيع كالوصف والحكاية والتشخيص وشرح التعاريف ووصف الاخلاق وغير ذلك ولاخذ الناشئة بالانشاء ثلاث مراتب وهى مرتبة الاستحضار ومرتبة التقليد ومرتبة الحرية وها أنا بصدد الكلام على كل منها فأقول

مرتبـــــــــة الاستحضار

وفيها أنا أخذ الناشئة بالمقدمات وغرينهم على مابعدهم لان يجوزوا المراتب الاخرى وابتداء أخذهم بذلك يكون عند قدرتهم على كتابة ما يلقى عليهم وقراءة ما يطلب منهم

ولتمرينهم على تلك المقدمات وسائط كثيرة كأن يتركهم المعلم لان يتكلموا دائما بجمل تامة التركيب ولان يحكوا ما ألقى عليهم من الحكايات ولان يحفظوا عن ظهر قلب بعضا من الجمل وكأن يمرنهم على نسخ بعض قطع من كتاب المطالعة بعد فهمهم المعنى وكأن يملى عليهم قطعا من الكتاب المذكور وكأن يأمرهم بكتابة القطع النثرية والشعرية التى حفظوها عن ظهر قلب وكأن يبعث من التفاتهم الى الاحوال المعاشية والوقائع الوطنية والى الاشياء الطبيعية والصناعية والى ترقيها فى دروس التعليم النظرى

فتلك وسائط عامة لاخذهم بالمقدمات الانشائية وهنالك ثلاث وسائط خاصة مرتبة ترتيبا طبيعيا أذكرها توضيحا للمقام فأقول

(الواسطة الاولى) أن يأمرهم المعلم بكتابة عدد من الاشياء المختلفة سواء كانت أمام أعينهم أو بعيدة عن أنظارهم كأدوات المدرسة والمنزل فاذا كتبوا عددا عظيما منها أمرهم بكتابته ثانية مع ترتيب تلك الاشياء حسب المادة كأن يكتبوا الادوات الخشبية معا والحديدية معا وكذلك الصفيحية والخزفية وغيرهما

(الواسطة الثانية) أن يأمرهم بكتابة بعض أعمال الانسان والحيوان والجماد فمثال الاعمال الصادرة عن الانسان أن يملى عليهم قوله ما يفعل الحداد والبناء والنجار والخائط والطباخ والصباغ والصائغ والتاجر الى غير ذلك ويأمرهم بكتابة أعمالهم بالترتيب كقولهم الحداد يطرق الحديد والبناء يبنى المنازل والنجار ينجر الاخشاب والخائط يخيط الملابس والطباخ يطبخ المآكل والصباغ يصبغ الثياب والصائغ يصوغ المعادن الكريمة والتاجر يشترى ويبيع . ومثال الاعمال الحيوانية أن يملى عليهم قوله ماهى أسماء أصوات الديك والهرة والكلب والحمار والفرس والبقر والاسد والطير وغيرها (الجواب) الديك يصيح والهرة تموء

والكلب يعوى والحمار ينهق والفرس يصهل والبقر يخور والاسد يزأر والطير يغرد ومثال الاعمال الجادية أن يملى عليهم قوله مايفعل الحديد والزجاج والعجلة والماء والريح والقلم والاوتار والباب والرحى والقفل والنعل الى غيرذلك فيكتبون الحديد يصلّ والزجاج يرن والعجلة تكر والماء يخر والريح تصر ومثلها القلم والباب والاوتار تطنطن والرحى تجعجع والقفل يلقلق والنعل يخفق وهكذا(١)

(الواسطة الثالثة) أن يأمرهم بكتابة أوصاف محسوسة لاشياء مختلفة كالاوصاف المبصرة والمسموعة والملموسة والمشمومة والمذوقة حسب اختلافها وكالاوصاف التى يمكن أن تعتور على شئ واحد

فالاوصاف المبصرة كالالوان فينبغى للعلم حينئذ أن يملى عليهم قوله مثلا ماتعرفونه من الاشياء التى لونها أحمر أوأصفر أوأبيض أوأخضر وهكذا فيكتبون الاشياء المعلومة لهم مع ألوانها المطلوبة على نمط المبتدأ والخبر كقولهم الدم أحمر والورق أبيض والشجر أخضر الى آخره ويحسن أن يكثروا من ذكر عدد عظيم من الاشياء وألوانها

وأما الاوصاف المسموعة فهى الاصوات التى يمكن للناشئة سماعها كأن يملى عليهم قوله ماتسمعونه من الاصوات فى المدرسة أوفى المنزل أوفى الطريق أوفى الاسواق وهكذا

وأما الاوصاف الملموسة فهى خواص الاشياء من جهة نعومتها وخشونتها وليانها وقساوتها ورخاوتها وجمودها وغيرذلك

وأما الاوصاف المشمومة فكالروائح العطرة للازهار وغيرها من جهة كونها مقبولة أوغير مقبولة شديدة الرائحة أوضعيفتها

وأما الاوصاف المذوقة فهى خواص المطعومات من الحلاوة والحموضة والمرارة والملوحة والغضاضة والعذوبة وهكذا

---

(١) لست أعدم قائلا يقول كيف نأخذ الناشئة بمثل تلك الالفاظ والجمل التى استهجنت واندرست أقول نعم ولكن ليس الغرض من تربية أبنائنا أن يكونوا نسخة لناعلى النقص بل أن يكونوا خيرامنا وصورة لاسلافنا الذين توطدت فيهم دعائم اللغة ألم يكفنا نقصا عجز أحدنا عن التعبير عن كل عمل أوفكر يختلج فى الصدور أليس بعيب أن نقتصر على بعض الالفاظ ونحاول استعمالها فى مواضيع كثيرة لاتناسبها وهاهى اللغة العربية أغنى اللغات ألفاظا وأوسعها ميدانا فلا تجد مدلولا الا وله فيها لفظ مخصوص يدل عليه وحيث ان الابناء زمن نشأتهم أقدر على حفظ الالفاظ والجمل ناسب تنبيههم اليها واستعمالها فى تمريناتهم الانشائية شيأفشيأ وليس ذلك على مهرة المعلمين بعزيز اهـ مؤلفه

والاوصاف التي يمكن أن تتوارد على شيء واحد كثيرة كالاوصاف التي يحتمل أن يكون عليها طريق من الطرقات فانه اما أن يكون طويلا أو قصيرا عريضا أوضيقا مستقيما أومعوجا وكذلك الماء فانه اما أن يكون نظيفا أو وسخا رائقا أوعكرا حلوا سائغا أومالحا باردا أوساخنا ومثل ذلك جميع الاشياء التي تتوارد عليها أوصاف مختلفة

هذا واذا كنت بعد على ذكر مما سبق لنا الكلام عليه في التعليم النظري ألفيته مطابقا للموضوعنا هذا مطابقة الشن للطبق الا أن المقصود هنالك تمرين الناشئة على التفكر والتكلم وان الغرض هنا تمرينهم على التأمل والتحرير ولذا أرى مراجعة ماتقدم مندوحة لى عن الاعادة

مرتبـــــة التقليـــــد

وفيها نأخذ الناشئة بتمرينهم على تقليد مانعرضه عليهم من الحكايات والوصف والمراسلات وتنقسم تلك المرتبة الى ثلاث درجات وهى التقليد فى المادة والصورة معا ثم التقليد فى المادة مع تغيير الصورة ثم التقليد فى الصورة مع تغيير المادة(١)

(فالتقليد فى المادة والصورة معا) يكون باربع وسائط تدريجية

الاولى ـ أن يقرأ المعلم معهم حكاية أو وصفا لشيء من كتاب المطالعة مرارا عديدة حتى اذا ارتكز المعنى فى أذهانهم وانطبعت العبارات فى حافظتهم أمرهم بأن يكتبوا ماعرضه عليهم كما هو كل منهم حسب استعداده وقوته

الثانية ـ أن يقرأ معهم الحكاية مرتين بحيث لا يترك معنى ولا لفظا بدون شرح ثم يأمرهم بتحريرها كما هى

الثالثة ـ أن يقرأ معهم الحكاية مرة واحدة ثم يطالبهم بتحريرها

الرابعة ـ أن يسلك بهم نفس الطريق التى سلكها فى تلك الوسائط الثلاث ولكن مع تغيير القراءة بالتعبير الشفوى فبدلا عن أن يقرأ معهم الحكاية فى كتاب يلقيها عليهم بطريق المحادثة وينبغى للعلم أن لا يقتصر على الحكايات بل يكثر من المواضيع المختلفة كوصف الحيوانات والنباتات والاشياء الطبيعية والصناعية ولا يجوز له أن يجوز بهم درجة قبل اتقان الدرجة التى قبلها

(والتقليد فى المادة مع تغيير الصورة) بأن يقرأ معهم المطلوب أو يلقيه عليهم شفاهيا ثم يطالبهم بالتحرير عنه حافظين المعنى مغيرين العبارة والاسلوب والتغيير أنواع كثيرة

(١) المراد من المادة الموضوع أو المعنى ومن الصورة العبارة أو الاسلوب اهـ مؤلفه

كالتغيير النحوى وذلك من الوحدة الى المجموع وبالعكس أو من المؤنث الى المذكر وبالعكس أو من الماضى الى المستقبل وبالعكس وكالتغيير الادبى كمن المحاورة الى الحكاية المحضة ومن الشعر الى النثر ومن ذلك تغيير عبارة باخرى مرادفة لها (١) وتطويل أو اختصار المعروض عليهم

(والتقليد فى الصورة مع تغيير المادة) بأن يقرأ معهم قطعة من كتاب المطالعة مثلا وينبه التفاتهم الى عباراتها وأسلوبها وكيفية تركيب جملها ثم يعرض عليهم موضوعا مناسبا للمقام ليحرروا عنه جاعلين قالب عباراته مشابها لعبارات القطعة وأسلوبها مثال ذلك التراجم ووصف الظواهر الطبيعية والمواضع الجغرافية والحوادث اليومية الى آخره وينبغى للمعلم قبل أخذهم بتلك الطريقة أن يشاركهم فى تحرير موضوع أو موضوعين طلبا لهدايتهم الى كيفية العمل

مرتبـــــة الحـــــرية

وفيها تلقى زمام الامر الى الناشئة وتوليهم الحرية فى المادة والصورة وليس للمعلم الا أن يعرض عليهم الموضوع ويلاحظهم لدى التحرير وليعلم أن مثله مع الناشئة كمثل المهندس مع الفعلة لدى البناء يلقى لهم الاساس متينا ثم يلاحظهم لدى العمل وينبههم الى مقدار ما يستعملونه من المواد والى كيفية تركيبها والى صورة الوضع ولكن بحالة يظن لها الناشئة أنهم العاملون بذات أنفسهم وهكذا يقيم من أودهم مرة ويصلح من أغلاطهم أخرى الى أن يقدروا على القيام بذلك فى التحرير

وينبغى له أن ينبه من التفاتهم حينا بعد آخر الى قواعد علوم البلاغة والى بعض تاريخ أدب اللغة (٢)

ويلزم أن يكون الموضوع الذى يعرضه عليهم محسوسا أو معلوما لهم علما تاما فان المواضيع المبهمة أو التى لا قدرة لقواهم العقلية على ادراكها تدعوهم الى أن يخبطوا فيها خبط عشواء

---

(١) مثال ذلك قولك فى طلوع الشمس قد طلعت وبزغت وأشرقت ولاح ضوؤها وغير ذلك وكقولك فى شئ حسن المنظر هو أنيق وبهيج وبهى ونضير ورائع وزاهر ورائق وهكذا وان شئت التوسع فعليك بكتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى المطبوع فى بيروت سنه ١٨٨٥ ميلادية اه مؤلفه

(٢) وأعنى بتاريخ أدب اللغة ما ينبئ عن نشأة ونمو اللغة نثرها ونظمها مع تراجم من قاموا بحفظها ونشرها وتوسيع نطاقها وليت شعرى اذا صنفت كتب فى ذلك الموضوع تظهر لنا تدرج لغتنا العربية حسب توالى الازمنة وان لى ثقة فى نوال تلك الامنية بالمستقبل ان شاء الله اه مؤلفه

أوالى الكذب وكلاهما بعيد عن المقصود وأن يكون موافقا لخواطرهم باعثا فيهم الشغف والميل الى العمل وأن يكون سهلا فانه كلما سهل العمل زادت المنفعة مختصرا فان التطويل يوقعهم فى الملل الذى هو مصدر الخيبة (راجع الكلام على التمرين التحريرى)

ولتعلم أن الانشاء هو تأدية المعانى بألفاظ سهلة سلسلة التركيب منسجمة الاسلوب لازخرفة الكلام بالتسجيع والاغراب والتعمق فى التراكيب المجازية فان ذلك كله ليس من الانشاء فى شئ ومن أحاط علما بتاريخ أدب اللغة وسبر منشا آت العرب وقابلها بمنشا آت المولدين لوجد بينهما بونا بعيدا فان المولدين من الفرس وغيرهم لم يكن مطمح نظرهم الا الاغراب حتى صار ذلك فيما بينهم صناعة لسانية لاوجدانية دعاهم الى ذلك أمران

(الامر الاول) غرابة اللغة العربية عنهم ونقص وجدانهم وشعورهم النفسانى بمعانى ألفاظها وتراكيبها فان قلت كيف والفرس هم الذين خدموا لغة العرب فوضعوا القواميس لها ودأبوا على البحث والتنقيب فى أسرارها فصنفوا فى علوم البلاغة ماصنفوا وتفننوا فى تفسير القرآن الشريف والاحاديث النبوية أقول ذلك دليل على دعواى فانهم لما صاروا دخلاء فى العرب ووجدوا أن اللغة العربية لا تصدر منهم عن وجدان نفسانى كالعربى القاطن بالبادية أجهدوا أنفسهم بالتنقيب عن أسرارها وحكمها على أن السبب الذى دفعهم الى تدوين العلوم العربية هو حاجتهم الى معرفة الدين وطلب تقربهم الى وظائف الدولة والقيام فى خدمة الملوك بحكمة التبعية ولذا كان أغلب أصحاب الرسائل والجبايات وقتئذ هم العجم ونبه الحكيم ابن خلدون فى مقدمته الى سبب آخر فقال والسبب فى ذلك أن الملة فى أوائلها لم يكن فيها علم ولاصناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة وانما أحكام الشريعة التى هى أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها فى صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه وجرى الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين الى أن قال والحضر لذلك العهد هم العجم أومن فى معناهم من الموالى وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم فى الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لانهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس ثم قال وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرآسة فى الدولة العباسية ومادفعوا اليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا أهل الدولة وحاميتها وأولى سياستها مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء أبدا يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجر اليها ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والمولدين انتهى

(الامر الثاني) تقليد المولدين للاعراب في منشآتهم تقليدا غير صادق ظانين أن منشآت الاعراب نثرها ونظمها انما هي دائرة على محور المجاز والاستعارة ليس الا وعلى فرض ذلك لو فكرت مليا لالفيت أن العرب في أيامهم لم يكن لهم سوى مواضيع محدودة قلبوا فيها كلامهم كيف شاؤا كوصف أباعرهم وشياههم والتغزل بمعشوقاتهم والافتخار بقبائلهم وشجاعتهم وكرمهم والتنديد على أعدائهم ووصف الحروب المتصلة التي شغلت أفكارهم عن سواها ومن شأن ذلك كله أن يكسب الانسان حذق فكر واتساع مخيلة وحدة جاش وغير ذلك مما يطلق الالسنة باستعمال المبالغة في الوصف وبالتراكيب المجازية التخيلية وأما بعد ذلك وقد ضرب الاسلام فيهم بجرانه ودعاهم الى الاجتماع والتعارف وتوطدت فيما بينهم الحضارة والمدنية وقامت فيهم دولة موطدة الدعائم فقد وجدت اللغة لها عصرا سلسا لينا رائقا ذكيا قد أحاط علما بأمور بديعة وأحوال مفيدة تطلب ما يناسبها فكيف لنا الآن أن نقلدهم ونتبعهم اتباع الخيال لشخصه في أمورهم وأحوالهم التي اختص بها عصرهم ولم نلتفت الى ما يلائم عصرنا هذا فهل يحسن بشاعرنا الآن أن يقتفي أثر امرئ القيس في وصف الافراس وهو لا يعلم أسماء العدو ولا كيفياته بل ربما لم تساعده الاقدار يوما ما على تسنم صهوتها فيعرف كيف انعطافها وعدوها وبذلك نراه يصف ما لا يجده ويذكر ما لا يشعر به ان لم نقل ما لا يعلمه اللهم ان هي الأسماء وتراكيب تداولت على الالسنة فهي تتشدق بها دون أن ترد على الضمير أو تخطر بالبال أم كيف يتسنى له أن يأمر حادي العيس بالتعريج على حي المحبوبة أو على أطلالها ليشكو له وجده وغرامه وليس لنا الآن عيس ولا حاد ولا حي ولا طلل بل نحن في عصر عيسه هو القطار الذي يجوب بخاره الاقطار وحاديه هو سائقه وحيه المدن القائمة الدعائم وطلله المنازل المشيدة والابنية الشاهقة على أن لنا الآن مندوحة عن ذلك بمصلحة البريد فهي كافلة بتبليغ شكوى ما نجده من الوجد والغرام بثمن بخس فأولى لشاعرنا ومنشئنا الآن أن يقدح زناد الفكر في أحوالنا الحاضرة ويظهر من تخيلهما ما أظهره تخيل العرب بالنسبة الى ما عاصره من الاحوال ولو تأملت الى ذلك كله لوجدته سببا عظيما حال بين العلماء والعامة وأوقع التنافر فيما بينهم حيث ترى العامي وقد طرق سمعه كلمات العيس والحي والطلل مثلا لا يزداد الا نفورا مع أن حكمة الحكيم جل شأنه في ايداعنا النطق والقدرة على التكلم انما هي التعارف والتآلف واقامة آداب المعاملة والمعاشرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

تلـــــــميح

وينبغي للمعلم أن يفرض على الناشئة فى كل أسبوع موضوعا يحررون عنه وأن يأمرهم بكتابة تحريراتهم فى كراريس لها هامش من ٢ — ٣ أصابع لكتابة التصحيحات بحيث تكون تلك الكراريس نظيفة وبعد الاصلاح يأمرهم بنسخها فى كراريس أخرى تحفظ لعرضها على المفتشين والممتحنين فيما بعد وبذلك يحتاج التلميذ الى كراستين وعليه ترى العمل فى كثير من المدارس وترى فى مدارس أخرى أن التلميذ ليس بيده سوى كراسة واحدة يسود ويبيض فيها وذلك أنهم يتركون الصحيفة الاولى خالية عن الكتابة ثم يخصون الثانية والرابعة والسادسة والثامنة وهكذا لاجل التسويد ويخصون الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة وهكذا لاجل التبييض بحيث تكون مسودة الموضوع ومبيضته فى صحيفتين متقابلتين

وعليه أن يطالب التلامذة باحضار ما فرضه عليهم من المواضيع فى الوقت المعين كما يلزمه أن يرجعها اليهم بعد التصليح فى الزمن المحدود فانه مثال ونموذج لهم ويحسن به أن يترك بعض الاغلاط ويتغاضى عنها بالنسبة الى الناشئة المبتدئين وأن يتحدث مع المتقدمين فى اغلاطهم طلبا لاستكشافها بأنفسهم فانه لا أفيد من أن يصلح الانسان أغلاطه بنفسه كما لا يخفى

الفصـــــل الثالث فى التاريخ

التاريخ هو معرفة أحوال الامم وبلدانهم وعاداتهم وأحوالهم المادية والادبية وصنائعهم وأنسابهم الى غير ذلك وفائدته العبرة بأحوالهم الماضية والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن قال الله وهو أصدق القائلين « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ماثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » وقال عز شأنه « ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر » وفى صحيح مسلم عن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وقال حكيم الاسلام على ضمن وصيته لابنه الحسن رضى الله عنهما أى بنى انى وان لم أكن عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت فى أعمالهم وفكرت فى أخبارهم وسرت فى آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأنى بما انتهى الى من أمورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيله (أى خالصه وصافيه) وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله الى آخر وصيته كرم الله وجهه

وقال ابن الاثير مامعناه لعمري لقد رأيت من يزدري علم التاريخ ويحتقره لظنه أنه مجرد قصص واخبار ومجموع روايات وأسمار وماعرفوا ماانطوى عليه من الفوائد الادبية والدينية وقال غيره انه أجل العلوم قدرا وأجلاها في ظلمات الحيرة بدرا يكسب صاحبه النباهة حتى يفوق أمثاله وأشباهه فيحوز المراتب العلية ويفوز بالمطالب السنية اذ به تستنير الفكر والالباب وتعلم حوادث الازمنة والاحقاب وبمرآته ينكشف مادونه الاوّلون من العلوم والصنائع ويظهر ماخفي من أحوال القرون السالفة واخبار الامصار الجامعة ومافيها من الآثار والمنافع

وكان بعض الملوك يوصي ولده دائما بقوله يابني لاتغفل عن قراءة الكتب ولاسيما التواريخ القديمة فانك تطلع بها بكل سهولة على ما كسبه غيرك بكل تعب وقال سيسرو الروماني (١) التاريخ ينير العقل ويحيي القلب ويلجم الارادة ويدعو الى المقاصد الحسنة وقال انه شاهد الازمنة ونور الحق وحياة الذكر ومدبر الحياة ورسول القدم قال والذي يجهل ماجرى قبله من الامور يعد كالطفل وماذا تكون حياة الانسان اذا لم يحي معها ذكر الحوادث السالفة والاحقاب الغابرة فتذكر الامور القديمة واختيار الامثلة منها للقدوة يجعلان في الكتابة طلاوة وبهجة اه

ولعمري ان الامة متى جهلت نشأتها ونموها وأسباب هبوطها وصعودها لجديرة بالتأخر ضرورة أن الجهل بطبيعة الدولة وبما كانت عليه في الزمن الاول وبكيفية تدرجها السياسي والادبي داع الى الحيرة في تعهدها وضبطها واقامة دعائمها والى الخبط وعدم الثبات في سياستها والى غير ذلك مما يهبط بالامة الى الحضيض وهكذا القول اذا كان القائمون بضبط الدولة غير واثقين بنشأتها وبطبيعتها فانهم لا يحيرون أن يشيدوا أركانها ويوطدوا دعائمها ولو كانوا عقلاء حكماء ومامثلهم في اقامتها وتعهدها الا كمثل عالم منطيق يقيم بنيانا فتهدم أو يتعهد بستانا فاقدا اندرس وهو لايدري كيف يلقي الاساس ويزرع الحبة وان كان عالما بالاصول والفروع والمقدمات والنتائج اللهم الا أن يضبطوا الاحوال ضبطا وقتيا ويحفظوا الامور حفظا تتصرف فيه يد الحيرة والانقلاب والسبب في ذلك أن الحكيم جل شأنه أودع الانسان حياة قصيرة غير كافية لان تعتور عليها الاحوال الدولية على تقلباتها حتى ترتكز في الانسان ملكة التجارب وحرية الاختيار التي تطلب صدق الاختبار .

---

(١) هو ماركوس طوليوس سيسرو الروماني عاش من سنة ١٠٦ الى سنة ٤٣ قبل الميلاد كان مشهورا بصناعة النثر والتدوين والخطابة حتى صار أسلوب رسائله نموذجا لاهل عصره وكان لخطبه تأثير ووقع في القلوب وكان يستشهد في انشاآته بكثير من الحكم والامثال والوقائع الدهرية وله تآليف عديدة في الخطابة والفلسفة وأشهرها كتابه الذي سماه الجمهوريه ولم تزل كتبه ورسائله متداولة بين أيدي علماء الغرب الى الآن اه مختصرا من كتابنا في التاريخ العام

ولذا نرى أن الامة فى حاجة الى معرفة نشأتها ونموها وتدرجها وطبائعها وأحوالها السياسية والادبية حتى يقوم ذلك مقام التجربة والاختبار والكافل بجميع ذلك هو التاريخ فانه أعظم مرب للانسان حيث يشحذ الفكر بحكمة ما اشتمل عليه من الحوادث المختلفة والاعمال المتباينة والاسماء والاعداد والاسباب والنتائج ويوسع نطاق التخيل بما فيه من الاوصاف والنعوت ويضبط الارادة ويعين على سداد الرأى ويدعو الى التحلى بالفضائل والى التخلى عن الرذائل ويقوى الجاش والقلب قال أفلاطون (الجسارة تورث الجسارة) ويكسب الانسان فطنة بالعصر الحالى ويشخص له الماضى كأنه مرآة يرى فيها المستقبل ويبعث فيه حب الوطن الى غير ذلك ولو لم يكن سوى أنه مرب للانسانية لكفى

اذا تقرر ذلك تعلم أن المقصود من تدريس التاريخ للناشئة ليس مجرد سرد الحوادث والنوادر والمعارك والحروب وتعديد الاسماء وذكر الاعداد بل كا نقصد أن نطلعهم على ماجريات أسلافهم نحيي حياة الامة فى صدورهم ونلقى حب الوطن فى قلوبهم ونبعث من جاشهم ونوسع من نطاق تخيلهم وننبه من التفاتهم الى ما قام به أسلافهم من العلوم والصنائع والمعاملة والتجارة

ويكون ذلك ببعث التفاتهم الى الاسباب والنتائج والى فضائل الاعمال ورذيلها ووصف أخلاق الرجال حسنها وسيئها وتقبيح القبيح وتحسين الحسن والافتخار بشجاعة الابطال وجسارة الرجال وعدل العادلين وهمم الكاملين وأخذ آرائهم فى ذلك كله

ويستوى فى ذلك الذكور والاناث فينبغى أخذ البنات أيضا بوصف همم الابطال وعزائم الرجال فانهن كالذكور شغوفات طبعا بالاطلاع على ما يقوى من شجاعتهن ويزيد فى جاشهن ولكن يحسن أن نجعل مهمات أخذهن بالتاريخ فضائل النساء من الصدق والعفاف والامانة والرقة والحنان وآداب المنزل ويكون ذلك بتعويدهن على تلك الفضائل وعرض ما لأم ذلك من التاريخ عليهن ليكون لهن مثالا ونموذجا بخلاف أخذ الذكور بذلك فيكون بشرح الاسباب ونقائضها ضرورة أن الذكور مائلون بالطبع الى التسلط والغلبة والعناد وأما هن فلبنات العرائك بالفطرة سريعات التقليد والتصديق

أما المقدار اللازم من التاريخ لاخذ الناشئة به فى المدارس الابتدائية فهو تاريخ الوطن منذ نشأته الى وقتنا هذا ومجمل تاريخ بعض الامم المتقدمة أو الحديثة التى لها علاقات واتصالات دينية أو سياسية ومن ذلك تاريخ الانبياء والامم السالفة المذكورة فى الكتاب العزيز (وقد ذكرت عددا من قصصهم عند الكلام على العلم الدينى) ثم تاريخ نشأة الاسلام ونموه ودوله التى اعتورت عليه والتى لها ارتباط بالوطن

أما الممالك الاخرى الشهيرة فى هذا العالم الجديد فلا بأس بذكر لمحات من تواريخها التى يعيب على المتمتع بالحياة فى هذا العصر أن يجهلها ويحسن أن يكون ذلك فى دروس الجغرافيا

ولكيفية أخذ الناشئة بالتاريخ طرق كثيرة أشهرها أربعة وهى

الاولى — الطريقة التراجمية وهى أن تجعل تراجم الاشخاص كالملوك والولاة والعلماء والقواد مركزا يدور عليه التاريخ فيذكر الانسان ترجمة ملك مثلا مع ذكر أعماله والوقائع التى حدثت فى عهده

الثانية — الطريقة العصرية وهى أن يقسم التاريخ الى عصور مختلفة وتذكر حوادث كل عصر وماجرياته سواء التى وقعت بالوطن والتى حدثت فى وطن آخر

الثالثة — الطريقة السنوية وهى أن تذكر حوادث كل سنة على التوالى كما فعل ابن الاثير فى تاريخه

الرابعة — الطريقة التماثلية وهى أن تجمع الحوادث والاحوال المتماثلة والتى بينها تشابه ولو كانت مختلفة الزمن

والذى أراه موافقا لقوى الناشئة العقلية فى المدارس الابتدائية هى الطريقة التراجمية . وأما الطريقة العصرية فتستلزم سابق المعرفة بمقدمات ومعلومات كثيرة والطريقة السنوية وان كانت أضبط للوقائع والحوادث الا أنها موقعة فى الملل والطريقة التماثلية لايمكن اتخاذها واستعمالها الا فى المدارس العالية لوعورة مسلكها وصعوبته

ثم ان قوما من البيداجوجيين يستحسنون جعل درسى التاريخ والجغرافيا درسا واحدا لشدة ارتباطهما أقول حسن عندى ما استحسنوه فان معرفة الحادثة بدون الثقة بموضعها نقص فى الكمال الا أنك تعلم أن علم الجغرافيا يطلب المعرفة بامور ليس لها ارتباط بالتاريخ وان كان يجب أن نستعين بالجغرافيا لدى الدروس التاريخية ليحيط علم الناشئة بمواضع الحوادث وأن نستعين بالتاريخ لدى دروس الجغرافيا فهما علمان يتناوبان الاستعانة والسير معا

وانقسم أولو التربية والتعليم الى حزبين فحزب يرى وجوب بعث حب الحروب فى قلوب الناشئة ومدح المعارك والشجاعة دعاهم الى ذلك الاحوال الحاضرة وحزب يرى وجوب تقبيح الحروب للناشئة والاستهزاء والتهكم بها حيث يعد أهل ذلك الحزب الحرب نقصا فى كمال الهيئة الاجتماعية وخدشا للناموس الانسانية

هذا والصورة التى يتخذها المعلم فى تعليم التاريخ هى الخطابة المشوبة بالسؤال فيحكى للناشئة

الموضوع التاريخى بحالة ملائمة لقواهم العقلية مشخصا لهم الحالة كأنها أمام أعينهم بعبارات سهلة وتراكيب بسيطة مرة أو مرارا حتى ترسخ فى أذهانهم ثم يجزئ الموضوع الى أجزاء يقص عليهم الجزء الاول منها ثم يسألهم عنه واذا ارتج عليهم ساءلهم فى الموضوع تذكيرا لهم وهكذا حتى ينتهى الموضوع وله أن يأمرهم أحيانا بمطالعة ماقصه عليهم فى كتاب التاريخ ويكون ذلك أمامه وحينئذ يأمرهم بطى الكتاب ويطالبهم بحكاية الموضوع شفاهيا وله أن يستخدم ذلك موضاعا للتحرير عنه فى بعض الاحيان

ويحسن به أن يذكر لهم وقتا بعد آخر بعضا من الامثال والاقوال الحكمية التى صدرت عن كبار الرجال الذين لهم اليد البيضاء فى التاريخ كما يحسن أن يحلى جيد المواضيع التاريخية بقليل من النوادر الادبية والعقلية وأن ينتخب بعضا من الادوار والاشعار المؤذنة بالفخار والحماسة وحب الوطن ويدع الناشئة لان يحفظوها عن ظهر قلب ويأمرهم أحيانا بانشادها معا بصوت واحد كى يجذب بذلك قلوبهم ويميل بهم الى الفخار بأمتهم ووطنهم

وأرى أنه لاغنى عن انتخاب الايام الشهيرة فى التاريخ الوطنى أو الاسلامى ليحتفل بها فى الايام الموافقة لها من كل سنة وذلك طلبا للتذكار واعتناء بالتاريخ وافتخارا بالاعمال كيوم الهجرة وأيام الفتوحات الاسلامية لاسيما يوم فتح بلاد مصر على يد المسلمين ويوم حلول مصر فى يد العائلة المحمدية العلوية وغير ذلك ولادارة المعارف تعيين تلك الايام تعيينا رسميا

وكيفية الاحتفال بتلك الايام هو أن ينتخب المعلم أدوارا وأشعارا اما قديمة أو حديثة يكون موضوعها الفخر بالشجاعة والابطال وباتساع دائرة الدولة وغير ذلك مما يبعث حب الوطن فى القلوب حتى اذا حلت تلك الايام من كل سنة لايلقى عليهم درسا جديدا بل يحتفل معهم فى الدرس وينبههم الى أن ذلك اليوم هو يوم كذا الشهير ثم يأمرهم بانشاد ماتعلمونه من الاشعار والادوار الى أن ينتهى زمن الدرس ولايخفى أن فى ذلك تنبيها لافكارهم الى معنى الجامعة والوطن وتقوية لجاشهم وبعثا لائتلافهم على أن الاحتفال بأيام التذكار نوع مذاكرة واعادة لما تعلمونه من حيث هم يلعبون

وينبغى للمعلم أن يكون للناشئة لطيف الجانب شفوقا عليهم مظهرا سروره منهم ولكن بحالة لاتضيع لديها أبهته واعتباره وأن يكون شغوفا بما يقصه عليهم فلا يرد الى القلوب الا ماصدر عن القلب وخالص الفؤاد وأن يربى أفكارهم ويوسع من تخيلهم بمواضيع التاريخ حتى تتربى فيهم ملكة التجارب لتفيدهم فى مستقبلهم وأن يشخص لهم الاحوال التاريخية كأنها أمام أعينهم

ولذا يحسن أن يكون بكل مدرسة صور بعض المبانى الشهيرة والمدن التى لها أهمية فى التاريخ وبعض صور كبار الرجال وأبطالهم اذا أمكن ذلك

وأن يمرنهم على الصدق فى الاخبار وينبههم الى حقائق الاشياء ويحيدبهم عن الخرافات والخزعبلات والاوهام التاريخية وعن كل ماينافى نواميس العقل والطبيعة وأن يتحرى لهم الصدق فى الاخبار والوقائع ولذا ينبغى له أن يطلع على فلسفة التاريخ ليكون على بصيرة من علمه ونوضحا للمقام ألخص لك ماذكره ابن خلدون فى مقدمته قال ان فن التاريخ فن عزيز المطلب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم فى أخلاقهم والانبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا فهو محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن الزلات والمغالط وكثيرا ماوقع للمؤرخين الغلط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل قال وأمثلة ذلك كثيرة فى كتب العرب فانهم كتبوا أشياء لايحتملها العقل ولايسلم بها الذوق وقد تتبعوا الاباطيل والترهات حتى أوسعوا فيها المجال وجعلوها مع تمادى الزمان من المصدقات الى أن قال ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه كالتشيعات للآراء والمذاهب كان من جملة الاسباب المقتضية للكذب الثقة بالناقلين لان كثيرين منهم لايعرفون القصد بما عاينوا أوسمعوا فينقلون الخبر على الظن والتخمين ومنها توهم الصدق وهو يجىء فى الاكثر من جهة الثقة بالنقلة أيضا ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل مايداخلها من التلبيس والتصنع ومنها تقرب الناس فى الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب بالثناء واشاعة الذكر بحسن الاحوال فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة ومنها الجهل بطبائع الاحوال فى العمران فيدخلون الخرافات فى حيز الحقائق وأما الاخبار عن الوقائع فلابد فى صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر فى امكان وقوع ذلك الشئ اهـ

الفصل الرابع فى الجغرافيا

الجغرافية فن يبحث فيه عن وصف الارض وينقسم الى ثلاثة أقسام عامة وهى

الجغرافية الرياضية أو الفلكية وتبحث عن شكل الارض وحجمها وحركاتها وعن تراكيب الكرات وتعيين مواقع الاماكن على سطحها ورسم السطوح على الخرائط

والجغرافية الطبيعية وتبحث عن حالة الارض الطبيعية وأوصافها وعلاقتها بالنظام الشمسي وعن قسميها الماء واليابسة وعن ماهية الهواء الكروي والحركات وعن أشكال القارات والبحار وارتفاعات الجبال وسلاسلها وظواهر الصحاري والسهول والخطوط المختلفة من أعلى قمم الجبال الى أقصى أعماق البحر وعن بنية الارض الجيولوجية وعن متحصلاتها الطبيعية من نبات وحيوان وان كانت تقتصر في ذلك على النواميس العمومية

والجغرافية السياسية وتبحث عن بلدان الارض وأممها من حيث تقسيمها السياسي وعن الجنس البشري من حيث هيئته الاجتماعية ونظامه

والمقصود من أخذ الناشئة في المدارس الابتدائية بالمبادئ الجغرافية على تنوع أقسامها أمران

الاوّل ـ أن يكون لهم بعض المام بظواهر الارض التي هي مهد للانسان ومنزل له حيث انه كائن بها ويرى له ارتباطا بينه وبين أشيائها وافتقارا الى استخدام بركاتها في شؤنه الحاجية والكمالية التي لاجلها قام انسان هذا العصر بتوسيع نطاق المعاملة بين الاماكن الواسعة والبلاد الشاسعة وبنشر التعارف بين الشعوب والامم فها هي القطارات تجوب الاقطار مع العجلة وتلك السفن تتردد في الانهار والبحار وتيك جملة الاخبار من البريد والتلغراف والجرائد التي لا تزال دائمة الحركة تأتينا بحوادث البسيطة وأخبار الخليقة فكأن طرفة بن العبد عناها بقوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد(١)

الثاني ـ تثقيف عقولهم وتوسيع نطاق تخيلهم وايقاظ تبصرهم فان وصف البلاد والاماكن البعيدة عن النظر ونعت أممها وتشخيص أحوالها المعاشية والادبية تبعث من تنبه الانسان وتدعو فكره الى العمل كما أن ترقب البلاد المشاهدة للانسان كالوطن وضواحيه يوقظ الحواس ويحركها الى استعمال وظائفها ويدعو الى الشغف بالفلاحة والتجارة والصناعة ويزيد في الاحساسات الدينية ويؤكد الاعتقادات القلبية

وبذلك تعلم أن الغرض العام من أخذ الناشئة بالجغرافية هو تربية الترقب فيهم لاشياء الوطن الطبيعية أوّلا حتى تكون لهم مثالا لجغرافية البلاد الاخرى وأما أخذهم بالتعاريف وباسماء

---

(١) التزويد اعطاء الزاد للسفر والبتات كساء المسافر وأداته يقول ستطلعك الايام على ما تجهله * وسينقل اليك الاخبار من لم تعطه زادا وأداة للسفر ولم تعين له وقتا لنقل الاخبار اليك اهـ مؤلفه

الاقسام والجهات والاماكن والبلاد مع الاعراض عن ترقب مدلولاتها ومشاهدتها وملاحظتها فلا يأتي بالمقصود ولا تستفيد الناشئة منه اللهم الا كما يستفيد الحمار مما يحمله من الاسفار قال عز شأنه «وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون»

وأهم محور يدور عليه تدريس الجغرافية في المدارس الابتدائية هو الوطن لانه محسوس ومشاهد للناشئة ثم نجوز بهم من أفقه الى آفاق البلاد الاخرى شيأ فشيأ وأخص بها البلاد التي لها بالوطن علاقة سياسية أو دينية أو تجارية ثم الالماع بباقي البلاد ليكون لهم المام بالبسيطة

ولاخذهم بعلم الجغرافية خمس طرق

الاولى — طريقة الاخذ من العام الى الخاص وان شئت قلت من الكل الى الجزء وذلك بأن نبدأ بالكلام على جسم الارض من حيث كونها كوكبا من الكواكب الجوية ثم على تقسيمها الى قسميها الماء واليابسة ثم على تقسيم كل منهما الى أقسامه وهكذا نسير من الاقسام العظيمة الى أجزائها الصغيرة ولكن لا يمكن اتباع هذه الطريقة الا في المدارس العالية أو في الفصول المتقدمة من المدارس الابتدائية بعد التوطئة لذلك بتعليم جغرافية الوطن ضرورة أن الناشئة المبتدئين لقصور عقولهم لا يدركون هذا السير من العام الى الخاص

الثانية — طريقة الاخذ من الخاص الى العام أو من الجزء الى الكل بان نبدأ بقطعة من الارض ثم الاقرب فالاقرب ويكون ذلك بحالتين اما أن نبدأ بالاقسام البسيطة التي لم تكمل فيها الحضارة والمدنية الى الاقسام المتمدنه أو نبدأ بالوطن الى ما وراءه وهكذا الى أن ننتهي باقسام الارض وهذه الطريقة أمثل بالناشئة وأوفق لخواطرهم حيث تجوز بهم من القريب الى البعيد ومن البسيط الى المركب ومن المعلوم الى المجهول

الثالثة — الطريقة الصناعية وذلك أن نعرض عليهم خريطة أي بلاد يراد معرفتها ونطالبهم بادئ بدء بنسخها ورسم خريطة مثلها وبعد ذلك نأخذهم بالتدريس عليها ولا ريب أن اتباع هذه الطريقة يدعو الى انطباع أسماء البلاد ومواقعها في أذهان الناشئة انطباعا ثابتا الا أن تكليفهم برسم الخرائط من أول الامر داع الى تشتت أفكارهم وباعث للملل

الرابعة — الطريقة المشتركة وذلك بان نشرك درس الجغرافية بتعليم التاريخ الانساني والتاريخ الطبيعي من علم الحيوانات والنباتات والاحجار والمعادن لما بين تلك العلوم من شديد الارتباط ولكن هذه الطريقة زيادة على ما يترتب عليها من تشويش أفكار الناشئة تسلب عن علم الجغرافية ذوقه الخاص به الا أنه يجب أن ننبههم الى شيء من تاريخ البلاد المتكلم عليها والى حيواناتها ونباتاتها وأحجارها ومعادنها المختصة بها

الخامسة - الطريقة الجامعة وهى أن نجمع الاجزاء المتماثلة ونسردها معا كالجزائر والخلجان والرؤس والانهار وما أشبه ذلك ولكن يجل قدر التدريس أن تتخذ هذه الطريقة دستورا له لكونها آلية صرفة لا تدعو الفكر الى العمل ولكنها أمثل بالاعادة والمذاكرة ليس الا

وعلى المعلم أن يتخذ الطريقة الثانية أساسا لتدريسه فى المدارس الابتدائية ويستخدم ما وافق من الطرق الباقية متى سنحت الفرصة بدون أن يخرج عن الموضوع الاساسى

هذا وحيث تقدم لنا عند الكلام على التعليم النظرى أن علماء التربية قد أجمعوا على أن يستخدموه توطئة ومقدمة للعلوم التى سيتلقاها الناشئة بالمدرسة نرى أن نخص السنة الاولى من دخولهم بأخذ مقدمات الجغرافيا كمقدمات العلوم الاخرى وأن يكون ابتداء تعلمهم الجغرافيا الحقيقية من السنة الثانية مبتدئين بجغرافية الوطن مختتمين بذكر البلاد الاخرى ولذا أمكن لنا أن نتكلم على كيفية تعليمهم جغرافية وطنهم وجغرافية غيره فنقول

جغرافية الوطن

لما كان المقصود من تدريس علم البلاد هو تربية الترقب فى الناشئة وايقاظ حواسهم وتنبيهها الى ما أحاط بهم نعلم أن الاقتصار فى تدريس جغرافية الوطن على مجرد التعليم العقلى أو الحكاية والوصف والنظر الى الخرائط وذكر الاسفار لا يبلغ بالناشئة الى الغاية المطلوبة بل يجب توجيه التفاتهم الى أجزاء الارض وجهاتها والى الظواهر الطبيعية التى اشتمل عليها أفقهم جاعلين بناء المدرسة مركزا نبتدئ منه الى المدينة أو القرية ثم الى الضواحى وهكذا ولذا ينبغى لادارة المعارف أن تمنح المعلمين الفرصة أحيانا ليخرجوا مع الناشئة يتفسحون بالمدينة وضواحيها واذن يجب على المعلم أن يبعث من التفاتهم الى تطبيق التعاريف الجغرافية على ما يشاهدونه بحيث لا يدع شيأ الا ويعرضهم عليه بحالة لا تتشتت لديها أفكارهم أو ينبعث لها مللهم فيعرضهم على الاكمات والاودية والجبال والسهول والاحراش والحقول والبرارى والمياه الجارية أو الواقفة وينبههم الى الطرقات والمسالك العامة والى الانهار ومتفرعاتها والى بعض الحيوانات والنباتات والاحجار والمحصولات والصنائع ويفاوضهم الحديث فى خواصها ومنافعها ومتى عرض لهم فى الطريق أبنية عظيمة أو تماثيل قديمة تستحق المشاهدة نبه من التفاتهم اليها بدون أن يخرج عن الموضوع الجغرافى

وكذلك توجيه نظرهم الى المناظر الطبيعية والظواهر الفلكية كالافق والجهات الاربع والشمس ومناظرها عند الشروق والغروب والقمر وتغيراته زيادة ونقصانا والفصول السنوية

واختلاف مناظر الارض حسب اختلافها وطبائع الهواء والرياح وهكذا بحيث يكون ذلك كله واسطة فى ايجاد التعاريف من المعرفات و فى استخراج المجهول من المعلوم والمعقول من المحسوس

قال أحد علماء البيداجوجيا عجباً لكم أيها المعلمون تلقون على الناشئة تعاريف الاشياء وحدودها وليس لهم أدنى علم بمدلولاتها أفلا يضيع بذلك شغف الناشئة بالتعلم كيف تفاوضونهم الحديث باسم جبل كذا وتجشمونهم حفظ مقدار ارتفاعه الذى يبلغ آلافاً من الاقدام وهم لم يروا أكمة أو تلا ولم يعرفوا الذروة أو المنحدر فيقيسوا الغائب على الحاضر كيف تكلمون معهم على الانهار والبحار والبحيرات والمرافئ وهم ربما لم يترقبوا غديرا أو جدولا أو عينا أو منبعا فأولى لكم أن تدخلوا البيوت من أبوابها فتعرضون عليهم الشئ ثم تتبعونه باسمه وتعريفه اه

أقول والحد الضابط لنا فى ذلك أن نعرض الناشئة على كل ما أمكن عرضهم عليه من الاشياء الجغرافية الوطنية أما مالا يمكن مشاهدتهم اياه فينبغى اجهاد النفس فى تشخيصه لهم واظهاره من عالم الغيب الى عالم المشاهدة والعيان وذلك بواسطة الكرات الصناعية والخرائط والصور والرسم على تختة الطباشير ولا تعزب عن المعلم الماهر حيلة فى تقريب البعيد وتشخيص الغريب

جغرافية ماعدا الوطن

حيث صارت الناشئة بواسطة تعلمهم وطنهم على علم باشياء الجغرافية وموادها وجب على المعلم أن يتبع فى وصف البلاد الغريبة الاسلوب الذى عهدوه فى وصف بلادهم كأنه يقابل بين الوطن والبلاد الاخرى ولا يقتصر على الجغرافية السياسية من تقسيم البلاد الى ممالك وولايات وامارات وهكذا بل يذكر لهم أيضا موقعها الطبيعى واقليمها ويصف لهم حيواناتها ونباتاتها وأحجارها ومعادنها المشهورة بها وعدد سكانها ووصف خلقتهم وسيماهم الجسمية وبعضا من أحوال معايشهم كالمساكن والمآكل والملابس والعوائد والاخلاق والدين واللغة والتاريخ وينبغى له أن ينبه التفاتهم الى خواص البلاد التى لا توجد بغيرها كالابل والافراس العربية والاسود الافريقية والافيال الهندية ومثل ذلك من النباتات والمعادن فان معرفة البلاد بخواصها الطبيعية أفيد من معرفتها بواسطة الحدود والتقسيم السياسى فربما قامت حرب تغير لها الحدود والاقسام ويحسن به أن يستعين على طبع مواقع البلاد فى أذهان الناشئة بان يأخذهم برسم الخرائط وعلى تذكر خواص البلاد بعرض صورها كصور

الحيوانات والادوات والمباني والتماثيل الشهيرة لاسيما البلاد المقدسة وأبنيتها كمكة والكعبة والمدينة والمسجد النبوي والقدس وبيت المقدس فالانسان يستفيد من النظر أكثر من الحكاية والوصف

ويلزم أن يمنحهم الفرصة لان يعيدوا ويكرروا ما تعلموه حتى يثبت في أذهانهم ومن ذلك اعادة الدرس الاخير في الدرس الجديد واعادة كل قسم عظيم بعد انتهائه واستخدام المواد الجغرافية مواضيع للتحرير (راجع الكلام عن التمرين)

أما الادوات اللازمة لتعليم الجغرافيا في المدارس الابتدائية فهي الكرة الصناعية مستوية السطح أو بارزته وخريطة حائطية للوطن بتمامه وخريطتان له أيضا أحدهما للوجه البحري والاخرى للوجه القبلي وخريطة لافريقيا وأخرى لشبه جزيرة العرب وبعض خرائط أو رسوم لباقي القارات

وينبغي أن تكون تلك الخرائط جيدة المادة متقنة الصنع مميزة الاقسام بالالوان المختلفة واضحة المواقع والاماكن بحيث يسهل على الناشئ وجودها بقليل البحث ولذا لا يلزم وضع كل أسماء الاماكن والبلاد والقرى اللهم الا ما كان منها مهما للتعلم ويجب أن تكون مرقومة بالاحرف العربية لاسيما الخرائط الوطنية فان اتخاذ ما كان منها مرقوما بالاحرف الافرنجية في مدارسنا الابتدائية بمعزل عن الصواب بل هو الخطأ بعينه فان فيه تثبيطا لهممم وبعثا للتشتت والملل وابعادا للقريب وتجهيلا للمعلوم ولا يسير بأبنائنا الا كما يسير السرطان الى وراء ولا يبلغ بهم الا الى خيبة الامل

تذكرة

ومهما أمكن لمعلم الجغرافيا أن يوسع من نطاق علمه بطريق النظر والترقب للاشياء الطبيعية الوطنية فليفعل حيث ان ذلك أولى له من الانكباب على الكتب يجمع من هنا وهناك فيصير رقيق غيره وأسير آرائه فالفرق عظيم بين أن يشخص ما شاهده أو أن يصف ما سمعه (فما راء كمن سمعا) ولذا أرغب من معلمي الجغرافيا أن يكونوا على بينة من معاطف وطنهم ولست أعني أن يجمعوا ما جمعه غيرهم بل أن يقذفوا بانفسهم في بلادهم يقطعون مراحله ويشاهدون مسالكه ويتغلغلون منعطفاته ولست أريد أن يرحلوا على جياد الخيل أو يتبطنوا العربات فقط بل ها هي أرجلهم فليرحلوا بها في البلاد وليتسنموا بها ذروة الجبال وليتبطنوا الاودية يصعدون النجد وينحدرون الى الغور حتى يصير علمهم عملا وسمعهم نظرا وليس ذلك على من أشرب في قلبه حب الوطن والعلم بعزيز

ويحسن بهم أن يطلعوا على ما كتبه جغرافيو العرب الذين قد استوى لديهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر فكان الواحد منهم يرحل الايام بل الأعوام يحل موضعا ويرحل عن آخر طلبا لشفاء غليله وقضاء لشغفه باستكشاف ما يحرك سروره ويزيد من نطاق فكره لا تثبط من همته وشدة صعوبة الاسفار ولا تثني من عنان عزيمته الاخطار

وليتصفح المعلمون مؤلفات أسلافهم وليتمثلوا بهم وليسيروا على منهجهم أليس بعيب أن نلازم المنازل نتوسد الدعة ونلتحف بالكسل وننتظر حتى تأتينا كتب الافرنج لنتعلم منها بلادنا التي هي مسقط رؤسنا ومهد آبائنا وأسلافنا والله الهادي الى أقوم طريق

الفصل الخامس في الطبيعيات

هي حكمة الحكيم جل شأنه أن جعل الانسان في وسط يرى نفسه فيه محاطا باشياء الطبيعة وظواهرها وموضعا لقبول تأثيراتها فيه كما يجد من نفسه حاجة الى الالتجاء اليها والى أشيائها تحصيلا لاحتياجاته وقضاء لبواعثه حيث ان الطبيعة مطمح الوحيد لعمل الفكر والمهيجة للبواعث والاطماع والداعية الى تحريك شغف الانسان وتعجبه والباعثة لسروره وحزنه

وحيث كانت كذلك فلا غرو أن نبعث من التفات الناشئة اليها والى أشيائها وظواهرها وتأثيراتها وأن ننبه بها حواسهم ونحرك وظيفة الترقب والاستكشاف فيهم ونلقي في قلوبهم الشغف والسرور بها وبأشيائها ونثقف من عقولهم بنواميسها العجيبة التي طالما نطق لسان حالها دالا على عظم قدرة الصانع الحكيم جل شأنه قال وهو أصدق القائلين «ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون» وقال عز شأنه «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» وقال «وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون» وقال سبحانه «قل انظروا ماذا في السموات والارض»

ولاخذ الناشئة بالطبيعة وأشيائها مقصودان مادّي وصوري

فالمقصود المادّي هو أن ننبه الناشئة الى ظواهر الطبيعة ونسبتها الى الانسان وتأثيراتها في حياته ومعاشه والى أشيائها الاصلية التي تقضي من حاجة الانسان كالحيوانات والنباتات والمعادن والاحجار أو الصناعية التي شابه بها الانسان الطبيعة وكنواميس نمو جسم الانسان حتى يهتدوا الى تعهد أبدانهم والتحفظ عليها

والمقصود الصورى هو أن نثقف من عقولهم ونتبه من حواسهم ونقوى من تصورهم بترقبهم الاشياء الطبيعية وجمع المشتركات فى جنس واحد وانتاج التعاريف بواسطة المضاهاة بين الاشياء وترقب خواصها ومعرفة نفعها وضررها كما نلقى فى خواطرهم السرور والفرح بالطبيعة ونربى فيهم الاحساس بالحسن

ومن ثم نعلم أن تدريس الطبيعيات ليس الا عرض محاسن الطبيعة على الناشئة حتى تحيى بها نفوسهم قال أحد علماء البيداجوجيا أيها المعلم ها هى أشياء الطبيعة بمرآى منك ومسمع فاهد تلامذتك اليها ونبههم الى محاسنها اعرض عليهم فرسا ودعهم لان يترقبوا جمال صورته وتناسب أعضائه وحسن تركيبه دعهم لان يتعجبوا لصفاء لون السوسان ومحاسن الورد ولطف قوام الظباء وغير ذلك فانهم لا محالة يجدون ما يحرك من عجبهم ويبعث من سرورهم ويزيد فى علمهم ويدعو الى عملهم ويلطف من طباعهم ويلقى فى قلوبهم الشفقة بالحيوانات والشغف بالكائنات اه

وينقسم الكلام على تعليم الطبيعيات بالمكاتب الاهلية والمدارس الابتدائية الى قسمين

الاول – أشياء الطبيعة والمقصود بها الممالك الثلاث وهى مملكة الحيوانات ومملكة النباتات ومملكة المعادن والاحجار

الثانى – تعاليم الطبيعة والمقصود بها علماء الطبيعة والكيمياء ولا تؤخذ الناشئة من ذينك القسمين الا بما يمكنهم معرفته وادراكه ولنتكلم على كل منهما فنقول

أشياء الطبيعة

وتؤخذ الناشئة بها اذا كانوا بالمرتبة الوسطى من مراتبهم المدرسية ولا بد أن يكون لهم قبلئذ بعض المام بالمقدمات التى يقوم بتدريسها التعليم النظرى منذ دخولهم المدرسة كما تقدم لنا الكلام عليه

وحيث ان الناشئة لا قدرة لهم على ادراك عامة الممالك الثلاث وجب أن نختار من كل ما يلائم لعقولهم ويسهل ادراكه عليهم واليك تنبيهات ترشدك الى طريق اختيار ذلك

أولا – ابدأ الناشئة بأشياء الوطن واختم بالاشياء البعيدة عنه اتباعا لقاعدتى الاخذ من القريب الى البعيد ومن المحسوس الى المعقول ضرورة أن الناشئة يتمرنون بذلك على الترقب العملى ويهتدون به الى ادراك ما غاب عنهم بقياسهم الغائب على الحاضر

ثانيا ـ لاحظ الاشـياء التى تفوق بمزاياها على غيرها واجهد نفسك فى تنبيه الناشـئة الى الاشياء النافعة والضارة

ثالثا ـ اجعل ما تختاره من الاشـياء أقساما على حدتها كل قسم يدرس فى فصـل مدرسى واست أعنى بذلك أن تدرس كل مملكة على حدتها بل خذ من الجميع ما يسنح لك ويسهل ادراكه على الناشئة ويحسن بك أن تتبع فى ذلك الفصول السنوية بالنسبة الى النباتات والحيوانات فتأخذهم بالنباتات أوان زهرتها والحيوانات أوان نموها وهكذا

رابعا ـ إبدأهم بالاشـياء على انفرادها واهدهم الى كيفية حصرها فى المجموع ونسبتها الى جنسها العام

خامسا ـ لا تختر أشـياء كثيرة فقليل تجيـد تعليمه خير من كثير بخلافه على أن الوقت المدرسى لقصره لا يسمح بذلك واعلم أن المعلم تظهر لك مهارته اذا قال شيأ وصمت عن آخر

هذا ويجب عرض الاشياء نفسها على نظر الناشئة فاذا لم يمكن عرض ذاتها فعرض صورها فان التعليم بدون النظر لا يفيد الاسفسطة ولا يحصل الاعناء ولذا ينبغى للعلم أن يخرج مع تلامذته للتفسح فى المزارع ومساكن الحيوانات ومناجع الاجحار ضرورة أن عرض ذلك على نظرهم بالمدرسة لا يفيدهم سوى العلم بصورته وأما اذا شاهدوا النباتات فى مزارعها فانهم لا محالة يعلمون وسطها العائشة فيه ويترقبون أقرباءها وأعداءها المحيطة بها ويعلمون كيف منظرها بين نظرائها وفى أى بقعة من الارض تنبت ومقدار تأثير البقـاع المختلفة على نموها ومثلها الاحجار فينظرون كيف اجتمـاعها مع غيرها وكذلك الحيوانات فيشاهدونها كيف تعيش وتسكن سواء هى والحشرات

على أن الناشـئة فى خروجهم لمشاهدة ذلك يهتدون الى تعرف أشياء أخرى ولكن ينبغى للمعلم أن يصرف نظرهم عنها مالم يكن لها ارتباط بالمطـلوب علمه والضابط لذلك أن لا يوجه التفاتهم الا الى الاشـياء التى أخذهم بها فى الدرس المدرسى بحيث تكون الغـاية من خروجهم ليس الا تطبيق ما علموه على ما يشاهدونه ولذا نرى أن يكون وقت التفسح معدودا من زمن المدرسة بحيث يجب على كل تلميذ أن يخرج مع المعلم لهذا الغرض

ولا ينبغى الاقتصار على نظر الناشـئة للاشياء وترقبهم اياها بل يحسن بالمعلم أن يطالبهم بوصفها شفاهيا وتحريريا فان الاشـياء الطبيعية لمن أنسب المواضيع لهذا الغرض وعليه أن ينبههم الى كيفية وصفها حسب النموذج الآتى

الحيوانات

١ قوامها وكبرها وبشرتها ٢ أعضاؤها الجسمية ظاهرها وباطنها ٣ حالة معيشتها وصفاتها الخصوصية ٤ نفعها أو ضررها ٥ نسبتها الى جنسها العام ٦ نظائرها المشتركة معها

النباتات

١ عظمها وارتفاعها ٢ أجزاؤها الخارجة والداخلة ٣ حالة معيشتها كوضع نباتها وأوان زهرتها ٤ نفعها أو ضررها ٥ نسبتها الى فصيلتها ٦ نظائرها المشتركة معها

الاحجار والمعادن

١ العلامات الخصوصية كاللون والقساوة والثقل والانقسام والتحليل والقابلية للخلط
٢ محل وجودها ٣ كيفية اجتماعها مع غيرها ٤ نفعها أو ضررها ٥ نسبتها الى جنسها العام ٦ نظائرها المشتركة معها

أما الصورة التى يتخذها المعلم فى تدريس ذلك فهى صورة السؤال والجواب بان يعرض عليهم الشئ ويتركهم لان يبحثوا عن علاماته الخصوصية بواسطة أسئلة يعرضها عليهم وهكذا يأخذهم بالتدريج حتى يهتدوا بأنفسهم الى المطلوب ويتمرنوا على العمل والقيام بالنفس فى التنقيب والبحث وبذلك تحيى فيهم روح العلم والمعرفة (راجع فصل صورة التعليم والكلام على الانتاج التدريجى)

ويلزم اعادة ما تعلموه وذلك اما باعادة عرض الاشياء عليهم أو بعرض ماشا كلها أو بجعلها موضوعا للتحرير (راجع فصل التمرين) واذا كان بكتاب المطالعة بعض قطع تتضمن وصف بعض من أشياء الممالك الثلاث فيحسن بالمعلم أن يأمرهم بمطالعتها تحت ملاحظته

تعاليم الطبيعة

والمقصود بها كما تقدم هو نواميس علمى الطبيعة والكيمياء ويكون أخذ الناشئة بها اذا بلغوا المرتبة العالية أعنى فى السنة الاخيرة

والغرض من تعليم الناشئة نواميس ذينك العلمين هو تنبيه ترقبهم الى الظواهر الطبيعية المهمة والى قواعدها وتأثيراتها وأسبابها والى كيفية استخدام نواميسها فى الاحوال المعاشية العملية ولذا وجب أن نختار منها ما يوافق عقول الناشئة ويسهل عليهم ادراكه واليك تنبيهين يبينان لك مهيع الاختيار

الاول ـ اخترمن هـذين العلمين مايقوى من تصورهم ويبعث من شـغفهم وسرورهم بنواميس الطبيعة وأشـيائها واحذر من أن تعرض عليهم كثـيرا فتتشتت بذلك أفكارهم ويقعوا فى الضجر والملل

الثانى ـ لاحظ الاشـياء والنواميس التى لها أهمية ومنفعة فى المعايش العملية كنواميس آلة الرفع (العتلة) وآلة الشق (الاسفين) والكلاليب والمجادل والعجلات وكيفية تركيب الافران والمصابيح الغازية والمراوح (آلات تجديد الهواء) وكيفية تركيب الهواء الجوى وتطهيره ليكونوا على علم بذلك عنـد وقوع الاوبـئة والامراض المعـدية وكذلك تركيب ماء الشرب ونواميس الحرارة والصوت والنور وظواهر السماء والارض فى النهار والليل الى غير ذلك

ويلزم أن يكون تدريس ذلك كله معززا بالنظر والمشاهدة وعمل التجارب حتى يكونوا واثقين بما يتعلمونه وحيث ان ذلك ربما يحتـاج الى آلات كثيرة لايمكن الحصول عليها فى المدارس الابتـدائـية نرى أنه يحسـن بالمعلم أن يحتـال فى تشخيص المطلوب تعليمه ووضعه فى قالب المشاهدة والعيان فيريهم نواميس الندى على الشبابيك صباحا ويعلمهم كيفية نشأة الغمام والسحاب والمطر بواسـطة مايعلق من البخار على غطاء اناء يغلى فيه الماء ونواميس آلة الرفع بواسطة قضيب من الحديد وهكذا

أما الآلات التى يمكن الحصول عليها لاختبار النواميس فينبغى أن تعرض على الناشـئة قبل التحضير والتجربة ليترقبوها ثم ينبـه المعلم من التفاتهم الى كيفية الاختبار والى الاسـباب والمسببات على تتابعها وتواليها بحيث يسـائلهم فى ذلك ويأخذ آراءهم كأنهـم عاملون معه وينبغى أن يتبع فى كل شىء يعرضه عليهم قاعدة ماهذا وكيف هو ولمـاذا هو

هذا وينبغى للمعلم أن يستحضر المطلوب تعليمه قبل الدرس حتى يكون على ثقة ويقين مما يعرضه على الناشئة وعليه أن يشغل نفسه أغلب أحواله بترقب ظواهر الطبيعة وآثارها . قال أحد علماء البيداجوجيا ما معناه

أيها المعلم ترقب موقع بلدك بل وطنك وتفقد تراكيب أرضه وانظر هل هى باقية على طبيعتها أو قد تغيرت بواسطة الحضارة والعمران وترقب نباتاته فى مزارعها ومعيشة حيواناته واجمع لك من كل ذلك مجاميع مهما أمكن واختر لك عددا من الحيوانات الثديية والطيور وصبرها لتكون لديك ذخيرة لمعارفك وارصد الظواهر الطبيعية واختلافها حسب اختلاف الفصول السنوية كالمطر واجتماع السحاب وتفرقه والرعد والبرق والريح والزوابع وطقس الهواء

وظواهر الشمس والقمر والنجوم حسب الفصول السنوية وضع خريطة لها فى كل فصل سنوى واختبر الانهار والمنابع بواسطة الترمومتر وضغط الهواء بواسطة البارومتر وقيد كل ماسبرته واختبرته فى كراسة ترجع اليها عند الحاجة وبالجملة فابحث بنفسك واختبر بعقلك ولا تكن أسير غيرك اه

الفصل السادس فى الحساب

الحكمة فى أخذ الناشئة بالنواميس الحسابية والقواعد العددية أمران

الاول ــ حاجتهم الى الحساب فى أحوالهم المعاشية المستقبلة حيث لاغنى للمرء عنه فى جميع حالاته حتى ان الصانع البسيط يجد من نفسه حاجة اليه فى اجراء المقتضيات التى تعتور عليه ماديا وأدبيا ويشعر بالضجر والملل وباحتقار النفس اذا عجز عنه ولذا قيل ان الحساب لا يستغنى عنه الملوك ولا العلماء ولا السوقة

الثانى ــ تعرفهم بأحوال الحياة والماجريات المعاشية واتساع نطاق أفكارهم بمواضيع المسائل الحسابية كالبيع والشراء والقرض والصكوك والمقاييس والمكاييل والموازين على أن الحساب يختص من بين العلوم بمزايا كثيرة تزيد من القوى العقلية وتدربها على تأدية وظائفها حيث انه يحد الادراك ويضبط القوة المخيلة التى يصعب على كثير من الناس حفظ زمامها ويمرن الفكر بجمع الشواسع الى مركز واحد ويدعو الانسان الى التسلط والغلبة على الارادة التى طالما هبطت بكثير الى الحضيض ويولى الرأى سدادا عند ايقاع الاحكام القاطعة وانتاج النتائج الحقة ويمرن اللسان على الصدق فى العبارة عن مختلج الضمير ولذا سماه بعضهم بعلم منطق المدارس الابتدائية

قال ابن خلدون فى مقدمته ومن أحسن التعليم الابتداء بالقواعد الحسابية لانها معارف متضحة وبراهين منتظمة فينشأ عنها فى الغالب عقل مضىء درب على الصواب وقد يقال من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره يغلب عليه الصدق لما فى الحساب من صحة المبانى ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا اه

المقدار الذى تؤخذ به الناشئة بالمكاتب الاهلية هى القواعد الاربع واستخدامها فى الاعداد الصحيحة والكسور الاعتيادية والاعشارية وقاعدة النسبة العددية ومقاييس الاطوال والمساحات والمكاييل والموازين والنقود وأعنى بذلك مايكون مستعملا بالديار المصرية واليك تنبيهات ترشدك الى طريق أخذ الناشئة بالقواعد الحسابيه وهى

الاول — يلزم أن نأخذ الناشئة من البسيط الى المركب ومن السهل الى الصعب ومن المعلوم الى المجهول ومن المحسوس الى المعقول كما نبدأهم بالامثال ونرشدهم الى كيفية انتاج القواعد منها ونمرنهم على استعمالها واستخدامها فى الاحوال العملية حتى لا تكون القاعدة كناموس تلهج بها ألسنتهم بدون شعور بمضمونها ولذا ينبغى للمعلم أن يلاحظ أن أولى المراتب هى أخذهم بكيفية انتاج القواعد من الامثال وأن ثانيتها صدق معرفتهم اياها وأن ثالثتها استعمالها واستخدامها فليجعل هذه الثلاث مراتب نصب عينيه فى جميع أحواله وعامة زمانه

الثانى — ينبغى تقسيم المطلوب تعليمه من القواعد الحسابية مدة المدرسة الى أقسام يتميز كل قسم منها بخواصه عن الآخر ويلزم القعود بالناشئة لدى كل قسم حتى يجيدوا معرفته بواسطة التمرين والتدريب ويقدروا على استخدامه فى الاحوال المعاشية العملية فلا نرقى بهم الى مرتبة حتى نكون على بينة من ادراكهم سابقتها ولذا يحسن أن نلاحظ الضعفاء منهم الى أن يجاروا النبهاء فى ميدانهم بحيث لا نبطئ أو نعجل فان البطء يبعث من مللهم والعجلة لا تصل بهم الى الغاية المطلوبة على ما فيها من دواعى التشتت والحيرة وكلاهما بعيد عن المقصود

وعلى المعلم أن يأخذهم باعادة القديم فى الحديث وربطهما معا ربطا عقليا كما تقدم لنا الكلام عليه فى فصل التمرين

والصورة التى يتخذها المعلم فى التعليم هى صورة السؤال والجواب بحيث يتركهم لان يعبروا عما يشاهدونه وذلك طلبا للعمل أفكارهم وقيامهم بالنفس وتمرينهم على التعبير والالقاء

الثالث — أخذ الناشئة بالاعداد ونواميسها لابد وأن يكون صادرا عن الحس والمشاهدة بان نبدأهم بالاعداد المميزة ضرورة أن الناشئة فى أوائل أمرهم لا قدرة لهم على ادراك الاعداد بدون مميزاتها

ومعلوم مدارس الغرب يستخدمون لذلك أدوات محسوسة للناشئة ولهم فيه تفنن عظيم فمنهم من يتخذ لذلك قطعا خشبية متينة تشبه أعواد الكبريت طولا وسمكا ومن يتخذ كرات حجرية أو أزرارا بيضاء ومن يستخدم خطوطا يرسمها على التختة أو نقطا ومنهم من يتخذ الناشئة أنفسهم مثالا يميز بهم الاعداد

وهناك آلة جديرة بالاستعمال وهى مركبة من ثلاثة أضلاع خشبية أقيم ضلعان منها بالتوازى على طرفى ثالثها وقد تعرض بين المتوازيين أسلاك معدنية قد انتظمت فيها كرات خشبية مختلفة الالوان تستخدم للتعداد جمعا وتفريقا

والذى أراه أن لا نقتصر على أداة مخصوصة لذلك فانا لو اقتصرنا على الازرار مثلا ربما ظنت الناشئة أن مميزات الاعداد قاطبة لا تخرج عن الازرار كما لا يخفى ولذا حسن أن نعرض عليهم مميزات مختلفة طورا بعد آخر حتى يعلموا أن مميزات العدد أشياء كثيرة يتخذها المرء اختيارا

ومتى أدركوا معنى العدد تسنى للمعلم أن يأخذهم بالارقام العددية سواء مميزها أو مبهمها

ومع أننا نعلم أن الحساب هو صنعة الفكر وأن الارقام مقيدات لما عسى أن يشرد عند التفكر نرى أنه يجب تمرين الناشئة على الحساب العقلى بدون رقم وكتابة قال أحد البيداجوجيين وأكرم به من قائل يلزم أن نعلم الناشئ كيف يحسب متفكرا ويتفكر حاسبا اهـ

الرابع ـ المسائل الحسابية المعروضة على الناشئة لحلها يلزم أن يكون موضوعها الاحوال المعاشية العملية كالمقاييس والمساحات والمكاييل والموازين والنقود والاثمان والربح والخسارة والقرض والفائدة كما يلزم أن يكون ذلك كله مطابقا لحقيقة الامر فلا نفرض ثمنا يزيد أو ينقص عن المتعارف بين أبناء الوطن وذلك طلبا لان يكون لهم المام بأحوال المعاش الوطنى

وينبغى أن تكون مسائل الحل موافقة لقوى الناشئة العقلية كيلا نحملهم ما لا طاقة لهم عليه

وأرى وجوب انتخاب مسائل عديدة للقواعد الحسابية وطبعها فى كراسة تكون بايدى كل تلميذ وما على المعلم حينئذ الا أن يحيل الناشئة على أحدها وأن يشرح لهم مضمونها فان فى ذلك مندوحة عن ضياع الوقت النفيس اذا أملى عليهم المسائل وقتا بعد آخر على أن وجود كراسة مثل هذه بأيدى الناشئة يحرك من عرائكهم الى الشغف بحل مسائلها فى أوقات الفضاء أو فى المنزل

الخامس ـ درس الحساب يعتبر درسا للغة أيضا حيث ان للحساب وقواعده عبارات اصطلاحية وأساليب مخصوصة ولذا ينبغى تمرين الناشئة على كيفية القاء العبارات المختصرة المؤدية للمعانى والمطابقة للموضوع حسب الاسلوب المعروف شفاهيا كان أو تحريريا واذن يحسن بالمعلم أن يتركهم لان يتكلموا كثيرا مع مساعدته اياهم واصلاحه لعباراتهم

وتظهر لنا مهارة المعلم من اختياره العبارات المختصرة عن الاعمال الحسابية قال بستالوتسى البيداجوجى الشهير اذا أحييت الليالى فى اختيار العبارات المختصرة فهنئ نفسك ولا تندم على احيائك اياها اهـ

وينبغى تمرين الناشئة عند حل المسائل تحريريا على حسن عرض الارقام والاعمال عرضا قانونيا بحيث تظهر المقدمات والنتائج بمجرد النظر كما هو معروف بدون تعريف

الفصل السابع فى الهندسة

لقد أجمع علماء البيداجوجيا قاطبة على ادخال علم الهندسة بالمدارس الاهلية الابتدائية لما لها من المنافع العائدة على الاحوال المعاشية متبعين فى ذلك ما أشار اليه بستالوتسى من الاقتصار على القواعد والنواميس التى تهم الفلاحة والصناعة ونعم ما أجمعوا عليه فنحن نعلم أن المحترفين بالصنائع فى حاجة مزيدة الى معرفة القواعد الهندسية التى تفيدهم حذقا فى العمل وتفننا فى الصناعة فترى أن البناء فى حاجة الى تقدير حجم حائط مثلا ليعلم مقدار ما يلزمها من أدوات البناء وأن النجار مضطر الى تقدير حجم قطعة من الخشب ليعلم كيف يصرفها فى أعماله وأن الصفاح وصانع البراميل لا غنى لهما عن معرفة مقدار الاوعية والآنية كبرا وصغرا كى تشمل كمية معلومة من السوائل ونجد الخائط مضطرا الى تقدير قطعة من القماش ليعلم كيف يتصرف فيها ومثلهم الحداد والقفال والخراط والزجاج والمبيض وغيرهم من الصناع الذين يحترفون بحرف الاخشاب والاحجار والمعادن فكل أولئك لا غنى له عن معرفته من أصول الهندسة ما يخص صناعته ويكسبه ذوقا فى العمل لانك تعلم أن جهل الصناع بذلك يلجئهم الى التجربة والاختبار ويجعلهم أسرى الصدفة التى تجدهم بسببها قد أضاعوا الزمن والجهد والمواد والدرهم

ولعمرى ان جهل صانعينا بتلك القواعد لهو السبب الوحيد فى عدم التفنن والاختراع فى صنائعهم فانهم لا يصنعون سوى ما عهدوه بالامس لدى معلميهم لا يزيدون فيه تفننا ولا اتقانا ويا ليتهم حفظوا تفنن سالفيهم الاولى تشهد لهم مصنوعاتهم التى هى بين ظهرانينا ولكنهم فرطوا فجهلوا وكفى بالجهل تقهقرا وانحطاطا

وليس الصانع بمفرده محتاجا الى ذلك بل يشركه فى الاحتياج اليه أولوا الفلاحة فلا غنى لهم عن معرفة مساحة أراضيهم أو تجزئتها ومعرفة مقدار أكمة لردم مستنقعة وما أشبه ذلك من الاحتياجات الضرورية والمقتضيات المعاشية العملية

اذا تقرر ذلك تعلم أن المقصود من أخذ الناشئة بنواميس الهندسة بالمدارس الابتدائية انما هو تنبيههم الى خواص الاشكال والاجسام وتمرينهم على استعمالها فى الاحوال المعاشية الصناعية زيادة على نفعها فى بعض العلوم التى تتوقف عليها كالجغرافيا وصناعة الرسم وعلم المعادن والاحجار

وهنالك مقصود ثان وهو توسيع نطاق تصورهم وضبط تخيلهم فان من أخذ نفسه بنواميس الهندسة قوى تصوره وزاد فكره ثقة بالحقائق قال ابن خلدون فى مقدمته واعلم أن الهندسة

تفيد صاحبها اضاءة فى عقله واستقامة فى فكره لان براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع وقد زعموا أنه كان مكتوبا على باب أفلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخلن منزلنا وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذى يغسل منه الاقذار وينقيه من الاوضار والادران وانما ذلك لما أشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه انتهى

ويجب أن نختار المقدار اللازم لاخذ الناشئة به من القواعد الهندسية ناظرين فى ذلك الى المسائل العملية لا العلمية المحضة ولو أمعنا النظر لالفيناه لا يخرج عن ست مواد وهى

١ السطوح والخطوط والنقط وللمعلم الخيار فى أن يبتدئ بأحدها ٢ رسم الخطوط وقياسها ٣ انشاء الزوايا بأقسامها ومعرفة خواصها ورسمها وقياسها ٤ انشاء المثلثات والمربعات وكثيرى الاضلاع وخواصها مع قياس السطوح ٥ الدائرة وخواصها وقياسها ٦ انشاء الاجسام كالمخروط والمنشور والهرم والكرة مع معرفة خواص كل وقياس مسطحه وحجمه .

ولكيفية الاخذ بالقواعد الهندسية خمس طرق

الاولى — طريقة التجربة وهى أن يعرض المعلم على الناشئة الاشكال والاجسام أو يرسمها لهم على التختة ويأخذهم بتعليمهم نواميسها بواسطة القياس فيقيس لهم الخطوط والزوايا والاضلاع وغير ذلك وهذه الطريقة جيدة فى بابها اذ بالتجربة تقوى ثقة الناشئة بالمعلومات الا أنه لا يمكن اتباعها الا فى الخطوط والسطوح

الثانية — طريقة الانتاج وهى أن ينتج المعلم شيأ جديدا مما قد علموه سابقا فيأخذهم بالبحث فى المعلوم لهم ويستنبط منه ما يراد تعليمه بحيث لا تلحظ الناشئة بادئ بدء أنه شئ جديد ولا تخفى جودة هذه الطريقة فانها تدعو الى عمل الفكر وان أبى عنها بعض العلماء قائلين انها وان دعت الى عمل الفكر فلا تدعو الى حريته والى العمل بالنفس ضرورة أن الناشئة بذلك يكونون أسرى المعلمين فى أعمالهم وتصوراتهم

الثالثة — طريقة البرهان وهى أن يعرض المعلم عليهم المطلوب ويقيم لهم البرهان عليه وهذه الطريقة وان كانت مستعملة فى أغلب المدارس لبساطتها فلا تحرك من أفكار الناشئة ولا تبعث فيهم الشغف بالبحث اللهم الا اذا أشرك المعلم الناشئة معه فى اقامة البرهان بواسطة سؤاله اياهم عن كل عمل يعرضه عليهم

الرابعة — طريقة البحث وهى أن يعرض المعلم عليهم الشكل مثلا بدون أن يخبرهم بمراده

ويعمل أعماله ويشركهم معه فى التأمل بسؤالهم وأخذ آرائهم الى أن ينتج القاعدة المطلوبة له وهذه الطريقة وان كانت محركة لشغف الناشئة باستخراج النتائج فهى وعرة المسالك بالنسبة اليهم ولا يقدر على اتباعها الا المهرة المعلمين

الخامسة — طريقة التوليد وهى أن يرسم المعلم شكلا معلوما للناشئة ويولد منه الاشكال المرادة له ويستخدم قواعد الشكل الاول فى انتاج نواميس الاشكال الاخرى وهذه الطريقة موافقة لعقول الناشئة ولخواطرهم الأ أنها ربما أدعت الى التصنع

ثم ان الحد الضابط لما فى هذا الموضوع هو أن لا يعمل المعلم عملا بدون أخذ آراء الناشئة فيه

تنبيـــــــــه

ويلزم أن يكون تدريس الهندسة معززا بالحس والمشاهدة ولذا ينبغى أن يكون بالمدرسة آلات للقياس ونموذجات للاجسام الهندسية سواء كانت مادتها خشبية أو صفيحية (١) كى تعرض على أنظار الناشئة وقت التدريس لقياسها وتطبيق النواميس عليها وهذا لا يكون مندوحة عن لزوم رسمها على التختة كما لا يخفى

وينبغى أيضا أن نشغل الناشئة بصنع الاشكال والاجسام من الورق المقوى طلبا لتمرينهم على العمل فان الانسان بعمله يحصل على فوائد لا يأتى بها مجرد النظر والعيان

الفصل الثامن فى الرسم

ليس المقصود من أخذ الناشئة بالرسم فى المدارس الابتدائية أن نهيئهم لان يكونوا رسامين فيما بعد بل الغاية الوحيدة منه أن نربى قواهم العقلية ونستخرج من استعداداتهم الكامنة فيهم فان من فوائد الرسم أنه يزيد فى نطاق التخيل ويربى الذوق والشعور بمحاسن الاجسام والاشكال ويدعو الى التمعن فى أشياء الطبيعة ويبعث الشغف بالنظام والنظافة ويمرن اليد على سرعة الحركة والمهارة فى العمل ويقوى التصور والتذكر قال بعضهم ان رسم ساعة يزيد فى التصور أكثر من مجرد النظر عشر ساعات وقال بستالوتسى النظر صناعة يجب تعليمها وأنعم به من قائل حيث ان البعض لا ذوق له فى ادراك الاشياء التى يبصرها لان نظره مجرد عن التأمل فى النسب الكلية والجزئية وبمعزل عن التمييز بين دقائق الحسن والقبح

---

(١) يرى بعضهم ان الصفيحية أولى لامكان ملئها بالرمال ومعرفة مقدار حجمها اه مؤلفه .

وابتداء أخذ الناشئة بالرسم يكون فى السنة الثانية من دخولهم لكل أسبوع درسان لا تزيد مدة الدرس منهما عن نصف ساعة وأما فى السنتين الاخيرتين فتكون مدة الدرس ساعة تامة واليك مجمل المواد التى ينبغى أخذ الناشئة بها فى تلك السنين

(السنة الثانية) وفيها ينبغى أن نمرن أيديهم على سرعة الحركة ومهارة العمل ونربى قوة ادراكهم وتخيلهم وذلك برسم الخطوط المستقيمة والاشكال التى تتركب منها

ولمدارس الغرب طريقة يستعملونها لذلك وهى أن يكون بيد كل ناشئ قطعة ورق مرسوم عليها جدول أشبه بالشبكة يصنع معينة معينة بحيث تكون الخطوط خفيفة التأثير وبلون أزرق باهت فيرسم المعلم للناشئة شكلا من الاشكال على تختة الطباشير وهم يقلدونه على ذلك الجدول يبتدئون ويختتمون بنقط تقاطع خطوطه وهذه الطريقة مستعملة كثيرا فى مدارسهم وان لم يستحسنها قوم من العلماء قائلين ان الرسم على الجدول ليس من الصناعة فى شئ بل هو أقرب الى التصنع على أنه لا يبعث فى الناشئة شغفا بالعمل ولا سرورا بالقيام بالنفس ويرون أن الاولى أن يرسم المعلم الشكل على التختة ويوجه التفاتهم الى النقط التى يبتدئ ويختتم بها والى اتجاهات الخطوط وهم يقلدونه فى كراريس بيضاء غير مقلمة

(السنة الثالثة) وفيها يلزم أن نمرنهم على ادراك الاشكال السطحية نظريا وعمليا وذلك برسم الاشكال المستقيمة الخطوط التى تتأسس على مسدس الاضلاع أو مثمنها أو اثنى عشرها ومثلها الاشكال المقوسة الحدود والجامعة بين التقويس والاستقامة ويكون رسم الناشئة لذلك فى كراريس بيضاء غير مقلمة ولا منقطة مقلدين ما يرسمه لهم المعلم على التختة أو ما يعرضه عليهم من النموذجات المرسومة على الخرائط ولكن الاولى عدم الاقتصار على عرض تلك النموذجات بل يحسن بالمعلم أن يرسم بنفسه سواء عرض عليهم النموذج الاصلى أم لا

(السنة الرابعة) وفيها ينبغى تمرين نظرهم على ادراك الاشكال المجسمة وخواصها ونسبها ونواميس النور والظل وذلك بان يعرض المعلم على الناشئة جسما من الاجسام كالادوات المعاشية والآنية المنزلية وغيرها ويلزم أن يكون بعد النموذج عن التلميذ بمقدار ثمانين سنتيمترا الى متر واحد وأن يكون كبر النموذج مناسبا لبعده وأن يعتنى بتوصيل النور اليه حتى يحدث الظل كما لا يعزب عن معلمى الرسم

واليك تنبيهات تتضمن قواعد مادية وعملية مناسبة للمقام وذلك

أولا — ينبغى أن يكون المعلم بنفسه جيد الرسم حتى تكون أعماله مثالا للناشئة فيما يأخذهم به فلقد قيل ان التلميذ نسخة استاذه

ثانيا — يلزم أخذ الناشئة جميعا بعمل واحد فى آن واحد فلا يجوز تخصيص أحدهم بعمل لا يشتغل به الآخر اللهم الا النبهاء منهم فيحسن مطالبتهم باعمال مخصوصة يشغلون بها أنفسهم فى الاوقات الخالية أو فى المنزل

ثالثا — يلزم أن يكون كل عمل يعرض عليهم توطئة ومقدمة لما يعقبه من الاعمال آخذين من الاسهل فالسهل فالصعب فالاصعب

رابعا — ينبغى للعلم أن لا يكتفى من الناشئة بمجرد نظرهم الى الاشكال والاجسام بل يجب أن يفاوضهم الحديث فى شأنها فيبين لهم مواضع النقط المهمة واتجاهات الخطوط وتناسب الاجزاء ومن ذلك أن يتركهم لان يصفوها بانفسهم طلبا التقوية ادراكهم وبالجملة فينبغى له أن لا يأمرهم برسم شكل حتى يتضح لديهم أتم اتضاح وذلك دفعا لما عسى أن يكون عملهم ميخانيكيا آليا

خامسا — يحسن بالمعلم أن يدعهم لان يقيسوا الاشكال والنموذجات بأنفسهم بواسطة الاقيسة المصغرة كى يتمرنوا على التصغير والتكبير

سادسا — الاشكال والنموذجات التى قد عرن عليها الناشئة وقويت صورتها فى قواهم الحافظة يحسن أن نأمرهم برسمها ثانية على الغائب طلبا لتوسيع نطاق تخيلهم وبعثا لوظيفتى التفنن والاختراع فيهم

سابعا — ينبغى أن تكون رسوم الناشئة مشابهة للنموذجات الاصلية ونظيفة فان اجهادهم أنفسهم لمشابهة النموذج الاصلى يمرنهم على الصدق فى التقليد وعلى ادراك الحقائق وأما النظافة فلانها من أهم أسس التربية والتعليم

ثامنا — يجب على المعلم أن يحفظ من نظام الناشئة مدة الدرس حتى لا يحدث ما عسى أن يشوش من أفكارهم كما لا يخفى

هذا وقد أدخلوا فى العصر الحاضر بالمدارس الابتدائية الرسم بالالوان المختلفة ادخالا للسرور على الناشئة وتمرينا لاذواقهم على حسن عرض الالوان وخلطها ولكن لا يكون ذلك الا فى الاشكال والصور المهمة واذن يجب أن لا نمكن الناشئة من الالوان ذوات المواد السمية

والادوات اللازمة لدرس الرسم هى مسطرة لا يزيد طولها عن ثلاثين سنتيمترا تشتمل على أجزاء المتر مصغرة وبرجل يمكن خلع أحد ضلعيه لوضع أقلام الرصاص ومثل ذلك ممسحة من المادة الالاستيكية لمسح المادة الرصاصية وهى معلومة لدينا

ويلزم أن تكون مادة الرصاص المستعملة فى الرسم غير قاسية ولا هشة فان قاسيها يخدش ويؤثر فى الورق وهشها بعزل عن النظافة

الفصل التاسع فى الرياضة البدنية (الجمناستيك)

أنت خبير بأن مغزى المدارس ليس تربية القوى العقلية فقط بل والقوى الجسمية أيضا بحكمة ما لهما من الارتباط الذى لا انفصام لعروته وما بينهما من العلاقات والنسب الحيوية فترى الجسم يقتسم النفس أحوالها من السرور والحزن كما تقتسمه هى أحواله من القوة والضعف على أنها تتأثر بأحواله وانفعالاته أكثر من تأثيرها فيه فقليلا ما ترى من ضعفاء الجسم قوة نفس ومضاء عقل ودوام عمل وقد أرسلت الرومانيون الاقدمون مثلهم فى ذلك فقالوا

Mens sana in corpore sano.

ومعناه النفس السالمة فى البدن الصحيح كما تنبه اليه اليونانيون فتعهدوا أجسامهم تعهدا أكسبهم صحة أبدان وقوة عقل ونشاط حركة وخفة روح ومهارة عمل حتى صاروا نموذجا للامم الحاضرة التى ارتفع شأنها فى عصرنا هذا فتعهدوا أجسام أبنائهم بالرياضة البدنية وأدخلوها ضمن المدارس سافلها وعاليها وأقاموا لها محافل مخصوصة للشبان والرجال

وقد نعلم أن الاحوال المدنية قد ألجأت جما غفيرا من الناس الى ملازمة الجلوس وعدم الحركة أغلب نهارهم فنراهم فى أعمالهم لا يمرنون عضلاتهم ألبتة أو يقتصرون على تمرين بعض منها دون الآخر حسبما تدعو اليه أعمالهم ووظائفهم كأولى السياسة والادارة والكتبة والعلماء وتلامذة المدارس فكل أولئك ساكن الى الدعة وعدم الحركة وقد قررت الاطباء أن عمل العضلات يدعو الى دوران الدم وسيره فى سائر الاعضاء فتتخلص الرئة والاجهزة الباطنية ومركز مجموع الاعصاب من كثرة الدم التى ربما أوقفتها عن تأدية وظائفها أو أبطأت منها وأن عدم سير الدم ودورانه فى الاعصاب والاجهزة يوقع فى الامراض كالبواسير ويضعف أجهزة التحليل أو يقف بها عند حد وبذلك يجد الانسان من نفسه ميلا الى الضعف والكسل وعدم ارادة الحركة ويتطرق ذلك الى عدم القدرة عليها فيما بعد وتستولى عليه السوداء ويصير عديم الصبر قلق الخاطر كثير الهواجس والتخيل ويلحظ الدنيا بعين ملؤها سخط وكراهة الى غير ذلك من الامراض الجسمية والعقلية التى تكدر من صفو المعيشة وتجعل الحياة مرة

قالوا والذين يعملون عضلاتهم كالصناع والرحالة وأولى الاعمال الجسمية يحصلون فى النوم على الاوكسجين أكثر من الذين لا يعملونها وذلك أن الحكيم جل شأنه قد أعد النوم لادخار مادة

من الاوكسيجين لنصرفها فى النهار بحركة الزفير فمن حصل منها على قدر عظيم كالعملة والصناع نشط جسمه وقوى على العمل والعكس بالعكس

قال الحسن بن عبد الله فى كتابه آثار الاول فى ترتيب الدول وأما نفع الرياضة بالجملة فظاهر معلوم لما جعله الله فى الابدان من الاخلاط المتغايرة المتغالبة التى موادها من الاغذية المختلفة وجعل لكل خلط مقرا يأوى اليه فضلاته وهيأ له من المنافذ والمجارى ليخرج من الجسد ما لا حاجة به اليه وكان السكون موجبا لتقرير الاخلاط حيث حلت من الجسد ودوامها مع الزيادة والنمو فيوجب ذلك اما تعفنها أو استحالتها الى ما يؤدى لخروجه عن الاعتدال وإما غلبة أحد الاخلاط على غيرها وتأثيرها واضطراب حال الجسد وخروجه عن حالة الصحة وكانت الحركة توجب التحليل والتنفيذ وتعين الطبيعة على أفعالها وتحفظ الصحة على دوامها فاقتضت الحكمة استعمال الحركة الرياضية اه

ومن تأمل فى صحائف التاريخ وجد أن أغلب الامم القديمة كانت تتخذ ألعابا رياضية كالرمى والمبارزة والمصارعة والمسابقة على الخيل واللعب بالكرة والصولجان الى غير ذلك

ذكر أسامة بن زيد أن شيوخا من أسلم حدثوه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم وهم يرمون ببطحان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا يا بنى اسماعيل فقد كان أبوكم راميا وأنا مع ابن الادرع فتعدى القوم فقالوا يا رسول الله من كنت معه فقد نضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم فانتضلوا ذلك اليوم ثم رجعوا بالسواء ليس لاحد على أحد منهم فضل

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لن تخوروا لن تخور قواكم ما نزوتم ونزعتم وكتب الى الامصار بتعليم الاولاد العوم والفروسية وقال الرشيد يوما ليزيد بن مزيد فى لعب الصوالجة كن مع عيسى بن جعفر فابى فغضب الرشيد وقال تأنف أن تكون معه فقال قد حلفت أن لا أكون على أمير المؤمنين فى جد ولا هزل

ويحكى أنه كان لاحد ملوك العرب ولد أصيب بالذبول والضعف حتى انتهك ولم يقدر على الحراك وصار قلق الخاطر شديد الارق لا يألف أحدا يحوم حوله وسبب ذلك ملازمته من صغره الدعة والسكون وعدم الحركة ولما عجزت الاطباء عن علاجه بلغ أباه خبر طبيب من أطباء العرب فاشخصه اليه ووعده بمكافأة عظيمة ولما شخص هذا الطبيب مرض الصبى وعلم حقيقة أمره وعد الملك بالحضور ثانى يوم مع دواء نافع لمرض ابنه فحضر فى اليوم الثانى ومعه كرة وصولجان وقال للصبى هاك هذا الصولجان وتلك الكرة فقد دهنتهما لك بنقوع بعض العقاقير النافعة لدائك

فتروض أياما قلائل بتحريك يديك داخل رحبة الديوان ثم اذهب الى الخلاء مقدار ساعة كل يوم واضرب بيديك الكرة بالصولجان فعمل الصبي بتلك الوصية وما مضت عليه أيام قلائل حتى شعر بعلامات الشفاء وعادت اليه لذة الطعام والمنام واكتسى بحلل الصحة والعافية ولما شاهد الملك أن الطبيب قد بذل نصحه فى العلاج أراد أن يكافئه كما وعده فقال له الطبيب اعلم أيها الملك أنى لم أستعمل فى علاج ولدك أدوية ولا عقاقير وانما الفضل للرياضة التى أذهبت البطالة والكسل فليكن عليها فى ديوانك العمل اه

أقول وكما أن الرياضة البدنية تمنح الانسان قوة وتبعث فيه قدرة على تحمل التأثيرات الجوية حتى يكون بعيدا عن الامراض تكسبه كذلك رشاقة قد وحسن قوام وجمال أعضاء وسرعة حركة وتحفظ من ارادته وتضبط من تخيله وتوليه نفوذا وسلطانا على الجسم وميلا الى العمل والدوام عليه وسرورا بقبول الآثار الظاهرية وارتياحا الى مصادمتها ولذا تعلم أن المقصود المدرسى من أخذ الناشئة بالرياضة البدنية أمران

الاوّل — تقوية الجسم ومساعدة الطبيعة فى نموه

الثانى — تمرين الناشئة على حفظ قوام أجسامهم فى الحركة والسكون وتدريب أعضائهم على النشاط والمهارة وخفة الحركة

أما مواد الرياضة البدنية التى تؤخذ بها الناشئة فثلاث وهى التمرينات النظامية والتمرينات الآلية والالعاب التمرينية واليك توضيح كل منها فأقول

(التمرينات النظامية) وأعنى بها التى يعملها الناشئة جميعا فى آن واحد كانتظامهم طابورا أو دائرة وكحركاتهم فى السير الى الامام والرجوع الى خلف وكرفع أيديهم أو خفضها معا وكجلوسهم القرفصاء ثم وقوفهم الى غير ذلك من الاعمال التى تصدر عنهم جميعا فى آن واحد وكما أنهم بذلك يروضون أجسامهم يتعوّدون على النظام والآداب ويتنبهون الى معنى الجامعة والتعارف والائتلاف بحكمة اجتماعهم على أمر واحد محرك لسرورهم

وعلى المعلم أن يصحبهم الى مراسح التمرينات صانعين طابورا كل صف ينتظم من اثنين وكذلك عند خروجهم من المرسح وعليه أن يغير من مواد التمرينات المتعاقبة كأن يضع بين كل تمرينين متشابهين تمرينا مخالفا لهما دفعا لما عسى أن تسأم منه أنفسهم وأن لا يصل بهم الى حد تتعب لديه أجسامهم ويحسن أن يعلمهم أدوارا وأشعارا ينشدونها لدى التمرينات النظامية فان ذلك ينعش من خواطرهم ويبعث من حماسهم بحيث تكون ألفاظها عامية سهلة التركيب كأنها

صادرة عن فؤادهم وخواطرهم ويكون موضوعها حب الوطن والشجاعة والفخار بالامة وشرف النفس والائتلاف وما أشبه ذلك

وينبغي للمعلم عند تركهم تمرينا واستعمالهم آخر أن تكون أوامره ونواهيه مختصرة جدا بحيث لا تزيد عن كلمة أو كلمتين كاشارات ضباط العساكر وذلك منعا للغط والغوغاء كما لا يخفى

(التمرينات الآلية) وأقصد بها التي تحتاج الى آلات وأدوات كآلات النط ورفع الجسم ودورانه وغير ذلك ويلزم أن تكون تلك الآلات بحالة تمكن كثيرا من الناشئة لان يتمرنوا عليها معا أو واحد بعد آخر مع السرعة

وعلى المعلم أن ينتخب التمرينات الموافقة لقوى الناشئة الجسمية كيلا يحملهم ما لا طاقة لهم عليه ولذا يلزم أن تكون بسيطة وبمعزل عن الالعاب البهلوانية الصناعية وأن تكون مختلفة التعاقب وعليه أن لا يقتصر على مجرد تقليدهم لما يصنعه أمامهم من التمرينات بل ينبغي له أن يرشدهم الى كيفية التقليد وأن يلاحظهم لدى العمل كيلا يحدث لاحدهم ضرر ويجوز له أن يقيم لدى كل ملعب أحد التلامذة النبهاء المتمرنين

(الالعاب التمرينية) وهي ألعاب تنتخب لتمرين أجسام الناشئة بينما تبعث فيهم السرور كالالعاب بالكرة الجلدية التي لها خاصية الارتفاع والانخفاض بمجرد رميها وكألعاب الجري والمصارعة والرمي الى غرض معين وكألعاب المحاربة وغير ذلك

ولا يعزب عن البصير أنه لا واسطة لاراحة قواهم العقلية من تعب الدروس أعظم من تلك الالعاب ضرورة أنهم مندفعون بالطبع الى كثرة الحركة والميل الى ما يحرك تخيلهم وتصورهم قال أحد الوزراء الالمانيين ان الالعاب تحفظ في الناشئة حالة الطفولة بينما العلوم العقلية تميل بهم الى أوصاف الرجولة وقال أحد علماء الجمناستيك ان ميدان الالعاب مرآة للناشئة يرون بها صور الاحوال الدنيوية المستقبلة لهم فانه يجمع بين الجد والهزل والفرح والحزن والربح والخسران ويمرن الناشئة على اعتبار الحقوق واحترام القوانين ويحيي فيهم الاحساس بالشرف عند الغلبة والمغلوبية ويحفظ من تعدى ارادتهم ويلجم من أميالهم ويقوي من عقولهم كأجسامهم ويلطف من طباعهم ويعرفهم قدر الشباب ويبعث فيهم روح الجامعة والائتلاف اهـ

تنبيهات عامة

الاول - درس الرياضة البدنية يعتبر درسا من الدروس المدرسية بحيث لا ينفصل عنها ويحسن تقرير درسين لها في كل أسبوع وكل درس منهما يمتد ساعة زمنية نصفها الاول

للتمرينات النظامية ونصفها الاخير للتمرينات الآلية بالنسبة الى الناشئة منذ السنة الثانية فصاعدا وللالعاب التمرينية بالنسبة الى الناشئة من السنة الاولى الى الثانية من دخولهم ومن ذلك ينتج أن الناشئة المتقدمين يشاركون المبتدئين فى التمرينات النظامية ويفترقون عنهم فى التمرينات الآلية بينما المبتدئون يلعبون وللمتقدمين أن يشاركوهم فى الالعاب أوقات الفسحة

الثانى — ينبغى أن يكون بكل مدرسة ساحة لاقامة الاعمال الرياضية تكون بعيدة عن ظواهر الجو فى الفصول السنوية على اختلافها خالصة الهواء واذا لم يوجد بها ساحة ففى محل آخر وعلى المعلم حينئذ أن يجهد نفسه فى اختيار التمرينات والالعاب الموافقة لذلك المحل

الثالث — على المعلم أن لا يخفض من قدر ضعفائهم أو يحرك من عجب نبهائهم وأقويائهم بل يكون لهم كالأب العطوف يظهر ارتياحه لجميعهم فيقيم من أودهذا ويحفظ من غرور ذاك وأن يجاهد ضد الكسالى والمهملين الذين يسكنون الى الدعة والراحة

الرابع — المعلم مطالب بحفظ نظام الناشئة وبآدابهم وقت التمرين وعليه أن يعلم أن الغرض من درسه هو أن يربى فى الناشئة القوة على العمل والشجاعة والحماسة مع السماحة والادب وحسن السلوك وأن يبعد من جبنهم ودعتهم وكسلهم وأن يبعث فيهم الشعور بالشرف والاحساس بالحق حتى يخرجوا رجالا ذوى همم صادقة وعزائم ماضية تفرح بهم الامة ويتباهى بهم الوطن وماذلك على من أوتى التبصر بعزيز

تذييـــــل

ويجدر بنا أن نأتى فى هذا المقام بالكلام على لعب الاطفال لمناسبة الموضوع فنقول ان للعب وأدواته دخلا عظيما وأهمية كبرى فى التربية والتعليم ضرورة أن الالعاب هى المدرسة الاولى بانتظامها ينتظم حالهم وتتربى عقولهم ولذا وجب على الآباء أن يتعهدوا أبناءهم باللعب ولا يتركوهم الى الصدفة وحيث ان الناشئة مطبوعون على اللعب وكثرة الحركة وشغل الفكر نعلم أن الناشئ الذى لا يميل الى اللعب لابد وأن يكون هنالك عائق قد عاقه عن الاندفاع الى ماطبع عليه وذلك العائق اما جسمى أو نفسى فاذا كان جسميا وجب تلافيه بواسطة الاطباء واذا كان نفسيا كأن تكون القوى العقلية كسولة عن العمل اوضعيفة وجب مزيد الاعتناء والاهتمام بمعالجته

وليست أدوات اللعب بسواء بالنسبة الى الناشئة ولذا لزم أن نختار لهم منها مايربى أفكارهم ويزيد فى تصوراتهم ويضبط من قوى تخيلهم ويولى أجسامهم القوة والنشاط ويبعث فيهم

الشغف بالعمل والدوام عليه ويربي فيهم ذوق التفنن والاختراع ولامم الغرب المتمدنة تفنن عجيب في ذلك فتجد أنهم قد شابهوا أدوات كل صناعة من الصنائع المعاشية العملية والعلمية بادوات صغيرة يلقونها بايدى أبنائهم فيتعلمونها من حيث هم يلعبون وبذلك تتسع أفكارهم وتتنور بصائرهم ويميلون الى العمل والتفنن ويهتدون الى قدر الصنائع والاحوال المعاشية حق قدرها حتى اذا وجدت الآباء أن لاحد أبنائهم شغفا بشيء أو استعدادا في علم أو صناعة أهلوه لها وخصوه بها أو بما يشابهها فمن تلك الادوات صندوق يشتمل على قطع خشبية منعزل بعضها عن بعض قابلة لان يصنع منها أجسام مختلفة كالقاعات والابواب والمنازل والمساجد والجسور والابراج الى غير ذلك ويستخدمون تلك الأداة في التمرن على صناعة البناء ومثل ذلك صندوق يشتمل على أدوات النجارة لتصنع بها الاطفال أشكالا مختلفة من الاخشاب الرقيقة حسب ما يدعوهم اليه تخيلهم ومثله صندوق يشتمل على ألوان مختلفة لاستخدامها في الرسم والتصوير وغير ذلك ويخصون البنات بالادوات التى تعودهم على حسن القيام باعباء التربية ونظام المنزل كادوات المفروشات وأدوات المطابخ وكالاشخاص (الصنابير) الى غير ذلك من الادوات التى تشخص للابناء الاحوال الدنيوية المستقبلة ولا تعزب عن البصير حكمة ذلك

ويجب منع الناشئة عن أدوات اللعب التى من شأنها أن تهيج الغضب والحقد أو تبعث من الاطماع والشهوات أو تدعوا الى ارتكاب الخداع والخيانة والعناد أو التى يتسبب عنها ضرر جسمى وينبغي أن تكون الادوات بسيطة وداعية الى العمل بالنفس وأن تكون قابلة للتغيير طلبا للعمل فكر الناشئة ضرورة أنهم مندفعون بالطبع الى تغيير ما تمسه أيديهم وأن تكون غير كاملة حتى تقدر الناشئة على اتمامها فان التخيل يذبل بواسطة الادوات الكاملة المشخصة للحقائق بحكمة ان الناشئة لهم تخيل عجيب يدعوهم الى العمل ومشابهة الحقائق فتراهم يفرضون المستحيل ويشخصون من الاشياء البسيطة أشياء يظنونها حقيقة كأن يفرضوا العصا بندقية أو فرسا وقطعة الخشب سيفا وكل زاوية دكانا وكأن يصنعوا من الاقمشة الملونة عرائس وتجدهم يعيرون الجمادات شعورهم واحساسهم فيتكلمون معها ويمازحونها ويأمرونها وينهونها الى غير ذلك (راجع صحيفة ١٩ جزء أول)

ويحسن ترقب الناشئة لتعرف طباعهم وأحوالهم فنولى البلغمى من الالعاب ما يحيى من خاطره ويحرك من شعوره وللدموى ما يمنع من طيشه كالالعاب الداعية الى الجلوس وللسوداوى ما ينهض من جاشه والاولى اشراكه في اللعب مع غيره من الاطفال وللصفراوى ما يلطف من أخلاقه ويدعوه الى اتخاذ الحشمة والوقار والجد (راجع صحيفة ٤٥ جزء أول)

وليعلم أن اعطاء الناشئة أدوات كثيرة مختلفة لا يفيدهم سوى تشتت أفكارهم ومللهم وتحريك اطماعهم زيادة على ما فى ذلك من التبذير . قال أحد علماء التربيـة لا تجعلوا أبناءكم كأبناء الملوك المحاطين بكثير من أدوات اللعب فتفسد أخلاقهم وينبزغ شرههم وطمعهم اه

ثم ان لعب الاطفال بعضهم مع بعض داعية اليه الطبيعة لانه يربى فيهم الفضائل ويمرنهم على آداب التعارف والائتلاف ولذلك يؤسف على البنات أو الغلمان الوحيدين فى العائلة الذين ليس لهم أشقاء كما لا يخفى على البصير

الفصل العاشر فى الاعمال اليدوية

وينقسم الكلام عليها الى قسمين الاول أعمال البنات اليدوية والثانى أعمال الغلمان اليدوية ولاحيطك علما بكليهما فاقول

أعمال البنات اليدوية

والمقصود من أخذهن بها فى المدارس هو تمرين أيديهن على الاعمال المنزلية كالتطريز والخياطة وقص الملابس وتصليحها والغزل والجدل وما أشبه ذلك مع تربية ذوقهن وشعورهن بمحاسن الاشياء وبالنظام والترتيب وحسن العرض والتركيب حتى يقمن بتأدية الوظائف المنزلية التى لا غنى للعائلات عنها

وقد رأت عامة الممالك المتمدنة حمل مؤنة ذلك عن الآباء ففتحن الفرصـة لتعلم تلك الاعمال بالمدارس الاولية ونعم ما رأت ومنحت فانت خبير بانه ليس لكل عائلة قدرة أو فرصة لاخذ الابناء بتلك الاعمال على أن الآباء اولى الثروة وان قدروا على ذلك فربما أهملوه بالكليـة اتكالا على ثروتهم أو اكتفوا بالقدر النزر الداعية اليه الاحوال البسيطة وأما الآباء المعدمون فلا حيلة لهم اذا لم يأخذوا أبناءهم بمثل تلك الاعمال والفريقان كما تعلم فى حاجة مزيدة اليها ومن وقف على عوائد الامم وأحوال سكان البسيطة وجد أن المتوحشين منهم والذين لم يبلغوا الهم شأوا من الحضارة فى حاجة الى تلك الصناعة فترى أهالى الهند الامريكى الذين ليس لهم عائلات منتظمة أو منازل يأوون اليها يخيطون ملابسهم بكل دقة ويتفننون فى تزيينها بالخيوط الملونة ذات المنظر الجميل ومثلهم ساكنو أواسط افريقيا وجنوبها كأمة الهوتانتوت فانهم وان اتخذوا جلود الحيوانات ملابس لهم فهم يجيدون صنعها وتزيينها وهكذا القول فى صنائعهم الاخرى كجدل الخوص ونظم الخرز والودع وتزيين الادوات المنزلية وغيرها

ومن تتبع العائلات المصرية لا يبخس السيدات أشياءهن من الخياطة والتطريز ولكن يرى ذلك مقتصرا على بعض العائلات فى المدن العظيمة وأما السيدات فى العائلات العامة فليس لهن تفنن فى تلك الصناعة ولا ذوق فى أعمالها وهن وان قمن بالبسيط منها فلا يأتين بالحاجة المطلوبة لانهن مقلدات لا يصنعن سوى ما عهدنه بالامس من امهاتهن وما ذلك الا لقعودهن عن طلب التقدم وكسل اولى شأنهن عن أخذهن بالتعليم

وأما نساء الامم الغربية فلهن فى الاعمال اليدوية يد طولى وحذق يقضي بالعجب وتفنن يدهش الالباب وهن لا يزدن عن نساء المشرق بشيء فليس لهن عقلان أو تصوران بل جهدن وتعلمن فحصلن على عقول كسبية أكسبت أفكارهن الحذق وأيديهن المهارة وأما عقول نسائنا وان طبعت على المضاء والذكاء والحذق الا أنها فقدت التمرين والتدريب فصدأت والعقل كالسيف يصدأ ويتأكل اذا لم تعمله

فتأكل السيف الصقيل بطول مكث فى الجراب

اعمال الغلمان اليدوية

لقد حاولت الامم الغربية منذ زمن مديد أن يشغلوا الغلمان فى المدارس الابتدائية بالاعمال اليدوية توطئة ومقدمة لما سيقومون به من الصنائع والحرف فى مستقبلهم فنجح منها ما لك وجدت المسعى وأخرى حال بينها وبين أمنيتها صعوبات مدنية ولكنها لم تترك للامل عنانه ولم تتخذ القنوط واليأس ديدنا فقامت فيها جمعيات خاصة وعامة أسست للابناء مدارس يتعلمون بها الاعمال اليدوية ومقدمات الصنائع والحرف فجنت الامة من ذلك أشهى الثمرات وبلغت أمنيتها من تقدم الصنائع

وقد تشعبت آراء البيداجوجيين فى تعيين المقصود من أخذ الغلمان بتلك الاعمال الى ثلاثة مذاهب

فاهل المذهب الاول يرون ان المقصود هو تعليم الغلمان الاعمال الصناعية كى يتخذوا لهم صناعة يعيشون تحت ظلها مسرورى الخاطر ومطمئنى النفوس وبذلك يقل مقدار الفقر فى الامة وتستأصل شأفة الكسالى والعالة والاشرار والجانين فان سبب إقدامهم غالبا على أعمال الشر انما هو عدم قدرتهم على العمل والكسب

وأهل المذهب الثانى يرون ان الغرض هو تربية صناع وعملة تتقدم بهم الصناعة وترتفع أوجها وذلك بتمرين الغلمان وتدريب أيديهم وبعث الذوق الصناعى فيهم

وأهل المذهب الثالث يرون ان المقصود من أخذ الغلمان بالاعمال اليدوية انما هو الرياضة البدنية حتى ينمو الجسم والعقل معا ويرون أفضلية ذلك على الجناستيك بحكمة أن الاعمال الجناستيكية مقتصرة على تمرين الجسم فقط وأما الاعمال اليدوية فكما تمرن الجسم تدرب الحواس الخمس على تأديةوظائفها وتقوى من شعورها

وقد نبه كثير من فلاسفة البيداجوجيا على لزوم أخذ الغلمان وشغلهم بالاعمال الصناعية فقال كومينيوس الالمانى (ولد سنة ١٥٩٢ م) يلزم تعهد الغلمان بالاعمال اليدوية وتدريبهم على الاحوال المعاشية مساعدة لما جبلوا عليه فانهم يميلون طبعا الى مشابهة الصناع فى أعمالهم فتراهم يصنعون من الرمال والطين والاحجار بيوتا وغيرها فلا جرم أن نستخدم ما يميلون اليه فى أعمال تعود على مستقبلهم بالنفع

وقال الفيلسوف (لوك) الانجليزى (ولد سنة ١٦٣٢ م) ينبغى أخذ الغلمان أحيانا باعمال البساتين وكيفية زرع الازهار وتعهدها وباعمال الصنائع التى تمس اليها الحاجة المعاشية فان ذلك يقوى من أجسامهم ويريضها ويحدث اعتدالا بين الاعمال الجسمية والعقلية من حيث هم ينتفعون

وقال (روسو) الفرنساوى (ولد سنة ١٧١٢ م) فى كتابه الذى سماه اميل ينبغى شغل الابناء بالاعمال الصناعية كى يشغفوا بها ويقدروا حقوقها فيما بعد فان الصنائع والحرف ملحوظة بين طبقات الناس بعين الاحتقار

وقد أسس (فرانكه) الالمانى (ولد سنة ١٦٦٣ م) مدارس بمدينة هالله بالمانيا وأخذ الابناء ببعض الصنائع وقصد بذلك تربية الابناء واعدادهم لان يعيشوا من طريق محمودة وحالة ذات شرف فكانت الابناء يتعلمون فى الفصول السافلة الغزل والجدل وفى الفصول العالية صنع أشكال من الورق المقوى وخرط الخشب وتحديد الزجاج

وقد أراد بستالوتسى (ولد سنة ١٧٤٦ م) أن يدخل فى مدارس سويسرا بعضا من الاعمال الصناعية والزراعية ولكن المقادير حالت بينه وبين بلوغ أمله الا أن معاصره المسمى فللنبرج قد نجح فى ذلك وكان حاذقا باعمال الزراعة فأسس مدارس لها وقصد بعمله هذا أن يزيد من ثروة الاغنياء ويحسن من عيش الفقراء حتى يفرح الكل ويسر بالحياة وقد جمع اليه كثيرا من المعلمين طلبا لنشر تعليماته ومباديه ومنهم (فيرلى) الشهير الذى سميت باسمه مدارس الزراعة بسويسرا الى الآن

وقد أسست مدارس من هذا القبيل بقرب مدينة هامبورغ بألمانيا سنة ١٨٣٣ م وفى فرنسا ببلدة مترى بقرب مدينة طورسنة ١٨٤٠ م وفى بلجيكا فى رويسيليده سنة ١٨٤٩ م وكذلك فى بلاد الانجليز

وفى جميع تلك المدارس تتعلم الابناء الخياطة والاسكافة وصنع المفروشات وعمل أعواد الكبريت وغزل الصوف والنجارة والخراطة وخبز العيش والبناء والتصوير البنائى وأعمال الزراعة وتعهد البساتين والطبع على الحجر وبالاحرف السلكية وتجليد الكتب وغير ذلك

الا أن هذه المدارس خصوصية لا علاقة لها بالمدارس الابتدائية الحكومية ولقد تنبه بعض الحكومات الى ذلك فجمعت بينهما والذى حرك من عزائمك الممالك اليه هو البيداجوجى الشهير المسمى أوسينيوس من مدينة هلزنجفورس عاصمة بلاد فنلاند بمملكة الروسيا حينما أرادت الحكومة اصلاح شأن المدارس سنة ١٨٦٠ م تقريبا فأدخل هذا الفاضل الاعمال اليدوية الصناعية فى المدارس الابتدائية وفى مدارس المعلمين

وقد أسست ببلاد السويد مدارس للصنائع لها ارتباط بالمدارس الابتدائية تتعلم فيها الابناء التصوير البنائى وأعمال الخشب الدقى والورق المقوى والحدادة والقفالة وذلك بمدينة جوتنبورج وقد أسس ابرهامزون بمدينة نئس بالسويد اكاديمية للمعلمين بيداجوجية الاسلوب وأخرى لمعلمى المدارس الابتدائية خاصة يتخرجون فيها خمسة أسابيع من كل سنة وهى مدة المسامحة كى يتسنى لهم أن يأخذوا الابناء بصنائعها وقد بلغ عدد تلك المدارس ببلاد السويد سنة ١٨٨١ م ماينوف عن ٤٥٦ مدرسة

وقد اتخذ الدكتور (اراسموس شواب) فى أوستوريا بستان المدرسة محلا للصناعة كما شغل الابناء فيه بتعهد الازهار والنباتات وقد سار على أسلوبه كثير من المدارس فى أوستوريا وفرنسا والسويد وغيرها

هذا ولم أقصد بذكر ذلك سوى تنبيه الافكار وتحريك عزائم الحكومة وأبناء الوطن الى الاهتمام وبذل الجهد فى تقديم الصنائع والحرف والى التمثل بالعالم الغربى المتمتع بالحياة والقائم باعباء الحضارة والمدنية راجيا أن لا أعدم لدعائى مجيبا والله ولى الهداية والتوفيق

الترجمـــة الثـانية

(فى فن التربيـــة)

حيث سبق لنا الكلام فى الجزء الاول على التربية فعلمنا حقيقتها ووسائطها والمقصود منها على وجه عام ثم اتبعناه بالكلام على التعليم عامة وخاصة فاحطنا خبرا بطرقه ووسائطه ووسائله العلمية والعملية فلا غرو أن نبحث الآن عن نسبتهما الى بعضهما وعن نواميس التربية المدرسية ولذا استدعى المقام رسم بابين أولهما فى نسبة التعليم الى التربية والثانى فى التربية والتهذيب وها أنا بصدد الكلام على كل منهما فأقول

البـاب الاول

(فى نسـبة التعليم الى التربيـــة)

التعليم وأنت خبير به هو أخذ الناشـئة بنواميس الفنون وهدايتهم الى استخدام فوائدها فى الاحوال المعاشية حاجيها وكماليها ماديها وأدبيها وأما التربية فهى أخذهم بما يثقف من عقولهم حسبما شرحناه فى علم النفس وتعويدهم على ما يحسن من أحوالهم الطبيعية والادبية ويصلح من عاداتهم ومشاربهم ويعدهم لنفع أنفسهم وأبناء جنسهم

والغاية المطلوبة من كليهما واحدة وهى الكمال فى نوع الانسان وبذلك تعلم أن افتراقهما فى أفراد الامة يعد نقصا فى كمالهم وباعثا لانحطاط جامعتهم فهم الافراد لا تقوم الامة الا بهم كالبيت لا يقوم الا بالدعائم وهذا هو السبب فى جعل المدارس من حقوق الحكومة حتى بذلك تذكو عقول الابناء وتحسن أخلاقهم وطباعهم .

وحيث كان المقصود منهما واحدا وهو الكمال تعلم أن الغاية من التعليم المدرسى هى تربية القوى العقلية وتثقيفها بنواميس العلوم لا مجرد الاخذ بالقواعد العلميـة فان مجرد المعرفة بدون أن تنضبط لديها القوى العقلية لا يصل بالانسان الى الكمال بل ربما وصل به الى سوء المنقلب ونزع به الى شر غاية

قال بعض البيداجوجيين ليس المقصود من المدرسة تربية علماء بل فضلاء وقال غيره ينبغى للمعلم أن لا يعلم الناشئ لكونه جاهلا بل يكمله لكونه ناقصا اه .

ولما كان كمال الانسان منحصرا فى اثنين وهما كمال الباطن وكمال الظاهر وكان الثانى معلولا للاول ضرورة أن الجسم محل لتأثيرات النفس حركة وسكونا تعلم أن تربية القوى العقلية كالتصور والتذكر والتخيل والتنبه تؤثر فى الاحوال النفسانية والاحساسات والشعور أيضا وأن تربية الاحوال النفسانية تؤثر فى الاحوال الظاهرية كحسن المعاشرة وأدب المجالسة وحسن السلوك وغير ذلك الا أن تأثير الاحوال النفسانية فى الاحوال الظاهرية يحتاج الى مساعدة خارجية وهى التعويد والتمرين حتى تصير الحركات الطالبة لها الآداب والتعارف الانسانى اضطرارية بعد أن تكون اختيارية فمن الواجب على المدرسة اذن أن تتعهد الناشئة بذلك كله طلبا لبعث الكمال فيهم فاما تربية القوى العقلية والاحوال النفسانية فيقوم بها التعليم وأما تربية الاحوال الظاهرية فيؤديها النظام المدرسى ويؤثر فيها

ولو تصفحت طرق التعليم التى ذكرناها تحت عنوان كل فن من الفنون المتقدمة لالفيتها دائرة على محور وحيد وهو تربية القوى العقلية والاحوال النفسانية حسب نواميس علم النفس التى أتينا على شرحها فى الجزء الاول كتقوية التصور وبعث التنبه وضبط التخيل وتربية التفكر وبعث الاحساس بالحسن والشغف بالحقيقة وضبط الارادة وغير ذلك وأما تأثير النظام المدرسى فى التربيه فيجدر بى الآن أن أعقد له فصلا تتميما للمقام فأقول

فصـــــل

(فى تأثير النظام المدرسى فى التربيـــة)

المدرسة لابد لها من قانون يتبعه المعلمون وتنقاد اليه المتعلمون وينقسم الكلام على ذلك الى عشرة أصول عملية

(الاصل الاول) يلزم أن تفتح وتقفل المدرسة يوميا فى الميعاد المحدود لها من قبل الادارة كما يجب فتح الفصول قبل مباشرة التدريس بمقدار ربع ساعة وعلى التلامذة أن يحضروا الى المدرسة أثناء ذلك الوقت فاذا بادر أحدهم انتظر حتى تفتح الفصول واذا تأخر عن الميعاد وقد باشر اخوانه الدروس فعلى الناظر أن يأمره بالوقوف جانب الحائط بدون حركة خارج الفصل وذلك عقابا له ودفعا لشغل أفكار الباقين فيما اذا دخل عليهم أثناء الدرس وعلى المعلم أن يحضر فى الوقت المعين له فانه المثال الاعظم للناشئة ولا يبتدئ بالتدريس الا بعد مضى خمس دقائق من دخوله يشغلها بكتابة أسماء الغائبين

وكما تفتح المدرسة فى وقتها المعين تقفل كذلك وقفلها قبل الميعاد مخدش بوجه الامانة الوطنية وقفلها بعده لا يفيد بشئ فان المعلم اذا صرف حصته كما ينبغى لا يلزمه أن يزيد فى الزمن كما لا يخفى

وبذلك كله تمرن الناشئة على النظام والترتيب وينبعث فيهم الشعور بالانقياد الى القوانين الوطنية فيما بعد ويتدربون على ترتيب أوقاتهم بقية حياتهم

(الاصل الثانى) يجب على التلامذة أن يتخذوا الادب والحشمة لدى حضورهم وانصرافهم فلا يجوز لاحدهم أن يحضر المدرسة هاجما ولا ينصرف عنها هاربا وعلى النظار والمعلمين أن يتعهدوهم بذلك لاسيما وقت انصرافهم فيلزم أن يخرجوا صفوفا كل صف ينتظم من اثنين ويلزمون بعدم العبث والصياح والجرى والوجبة وبذلك يتعودون على الحشمة فى المجالس ويتدربون على أدب المعاشرة

(الاصل الثالث) المدرسة تعتبر منبعا للنظافة فيجب أن تكون فصولها وساحاتها وممراتها نظيفة خالية عن بقايا الاوراق المستعملة وآثار المأكولات والغبار وغزل العنكبوت فان ذلك على مافيه من قبح المنظر ومخالفته للذوق الحسن يبعث فى الناشئة الخشونة والتوحش وينبغى تنظيف الشبابيك والمقاعد والتخت يوميا ولا أقصد بذلك مجرد الكنس فان الكنس ليس الا تغيير مواضع الغبار بل يلزم مسح ذلك كله بالخرق المبلولة

ويجبر التلامذة على أن يحضروا المدرسة نظاف الوجوه والايدى والملابس وان كانت بسيطة ويؤمرون بترقيع خروقها واعادة ما انتقض من نسجها كما يلزمون بتنظيف نعالهم قبل الدخول بالفصول وبذلك يتعودون على تعهد أجسامهم ونظافة ملابسهم ومساكنهم

(الاصل الرابع) يجب أن تكون الادوات المدرسية آخذة نظاما وترتيبا بان توضع فى مواضعها المعدة لها فان تفرق الادوات أيدى سبأ موقع فى تشتت الفكر وضلال التخيل وبان تكون الادوات متينة المادة نظيفة الصورة خالية عما يعيبها فلا يجوز ابقاء تخت الكتابة المتكسرة أو المنقورة كما يلزم تعليقها باحكام حتى لا تروح هنا وتغدو هنالك وكذلك الخارطات فلا يجوز تعليقها مائلة يمنة أو يسرة

وينبغى ترتيب دولاب الفصل المحفوظة به الادوات وكراريس الناشئة بحيث يسهل وجود المطلوب منها سريعا ومثل ذلك أدوات التعليم المملوكة للناشئة كالكتب والاوراق والالواح فيلزمون بحفظها وترتيبها أما الكتب فيجب أن تكون مجزعة أو مجلدة كما يلزمون بوضعها فى محافظ متينة ليسهل عليهم حملها[1] وأما الاوراق وأعنى بها الموجودة بأدراجهم

---

(١) ناشئة أغلب مدارس ألمانيا يستعملون لذلك محافظ من الجلد السميك كهيئة شنطة صغيرة يحملونها على أظهرهم كالعساكر بواسطة سيرين من الجلد ووجدت بمدينة كوبنهاج عاصمة مملكة الدانمرك أن الابناء يضعون الكتب بين لوحين من الخشب الاملس ويربطونهما بسير من الجلد ويحملون ذلك بأيديهم اهـ مؤلفه

فيلزم أن تكون آخذة نظاما وترتيبا بحيث يكون كل قسم مخصوص منها منعزلا عن الآخر كي يسهل عليهم وجودها لاول وهلة وأما الالواح سواء الصفيحية أو الاردوازية فيجب أن تكون نظيفة خالية عن الخلل فى المادة والصورة وينبغى أن يكون لكل لوح قطعة من الاسفنج أوغيره تعلق فيه بواسطة خيط متين وعلى النظار والمعلمين تعهد ذلك النظام أغلب الاوقات فان ذلك كله يضبط من تخيلهم ويحفظ أفكارهم عن التشتت ويعوّدهم على النظافة والنظام وملاحظة أدواتهم والتحفظ على محاوكاتهم

(الاصل الخامس) ينبغى أن تخص كل ناشئ بموضع يجلس فيه ويوجه نفسه اليه اذا دخل الفصل وينظر فى تغيير المواضع بعد الامتحانات الى الاجتهاد والعمل والمعرفة والسلوك وهذا له تأثير عظيم فى التربية فانه يبعث من اجتهاد المجتهدين ويوليهم شعورا بالشرف وتقدم الذات ويحث المهملين على تلافى اهمالهم ويخفض من قدر كسلهم ويريهم سوء تكبرهم أو عجبهم ولكن ذلك لا يأتى بالمقصود الا اذا كان تغيير المواضع صادرا عن العدل كما لا يخفى

ويحسن اجلاس أولى الطيش منهم بين أولى الرزانة والسكون وذلك دفعا لاتساع الخرق فيما اذا اجتمعوا معا كما لا تجلس المهملين منهم فى الآخر فان ذلك أهنأ وأمرأ لهم لبعدهم عن الترقب وكما يجب تخصيص كل ناشئ بموضع يلزم أن يكون للمعلم موضع مخصوص أيضا بحيث يسهل على الناشئة جميعا أن ينظروه ويسهل عليه أن يترقبهم بدون مجاوزة موضعه

ومما ينبغى التنبه اليه أن تخص كل تلميذ بقسم من تلامذة الفصل ليشتغلوا ويتذاكروا معا وبذلك تتمرن الناشئة على الاتحاد والائتلاف ويزيد اجتهادهم طلبا للتسابق والتناهز

(الاصل السادس) يجب أن تجلس الناشئة وقت التدريس بكل حشمة ووقار وذلك بان يكون أعلى جسمهم مستقيما وأرجلهم متوازية واضعين أيديهم على المكتبة التى أمامهم وذلك دفعا للعبهم بأصابعهم أو الهراش مع جيرانهم كما يلزم أن تكون أعينهم معقودة بالمعلم مع الرزانة والسكون والتيقظ واذا أراد أحدهم أن يسأل أو يجيب عن سؤال رفع أصبعه السبابة من يده اليمنى اشارة للمعلم ولا ينطق ببنت شفة الا بعد أن يأذن له المعلم وحينئذ ينتصب قائما مع الادب والحشمة سائلا أو مجيبا وكذلك يرفع يده اذا أراد قضاء باعث طبيعى وحينئذ لا يأذن المعلم لاثنين بالخروج فى آن واحد والاولى تعويد الناشئة على قضاء البواعث أوقات الفسحة

وعلى المعلم أن يلحظ الجميع بعينه فلا يقتصر على محادثة بعض دون آخر كما يلزم أن يكون رزينا ساكنا مطمئنا لا يعبث ولا يصيح قال بعضهم اسكن أيها المعلم يسكن من حولك ولقد نرى بعضا

من المعلمين قد اتخذوا العبث بالجسم عادة والصياح وكثرة اللغو والسب والشتم وحب الانتقام ديدنا بحيث لا يلاحظون صدور ذلك عنهم لاستحكام التعود واذن لا عجب اذا ساءت أخلاق التلامذة فانهم أميل الى تقليد سيئاته منهم الى اتباع حسناته على أن من كثر عبثه وصياحه كثر غضبه ومن كثر غضبه ساء فعله ومن ساء فعله ساء تعليمه وبئست الحالة سوء التعليم

(الاصل السابع) يلزم أن تكون التلامذة أثناء الدرس فى غاية التيقظ والتنبه وسرعة الحركة حتى يمكنهم جميعا اجراء عمل واحد بغاية النشاط والسرعة كأن يقفوا و يجلسوا معا فى آن واحد بمجرد الاشارة وكأن يتناولوا معا جميعهم أو قسم منهم أو أحدهم واذا أمرهم المعلم بفتح صحيفة يعينها لهم من كتاب يكون بأيديهم لزمهم أن لا يكثروا من الوجبة والغوغاء الناشئة عن سوء تقليب الصحائف

وعلى المعلمين تعهد الناشئة بهذا النظام وتمرينهم عليه خصوصا الذين قد قرب عهدهم بالدخول فى المدرسة فان ذلك كله يدعوهم الى النشاط فى جميع أعمالهم ويبعث فيهم نفوذا وسلطانا على أجسامهم وغلبة على دواعى الكسل ويكون مندوحة للمعلم عن كثرة القيل والقال وأمر هذا ونهى ذاك وهكذا

(الاصل الثامن) يلزم تقسيم الزمن اليومى بين العمل والراحة فان الناشئة لما طبعوا عليه من الميل الى الحركة واللعب لا يقدرون أن يعيروا التفاتهم الى المواضيع العلمية زمنا طويلا ولذا يجب أن يبارحوا الفصول ويتجهوا الى الحوش أو المرسح العمومى ويكون ذلك مدة خمس دقائق الى عشر دقائق بين كل درسين وربع ساعة بعد كل درسين (راجع الكلام على جدول الدروس) ويلزم أن يخرجوا من الفصل صانعين صفوفا كل صف ينتظم من اثنين وكذلك عند عودتهم الى الفصل ثانية ويجب ملاحظتهم أثناء الفسحة مع تمرينهم على الالعاب التى تدعو الى حركة أجسامهم وتبعث فيهم السرور والحبور وتزيدهم نشاطا وانتعاشا كما يجب أن نلاحظ الذين يريدون منهم قضاء البواعث الطبيعية

وعند غياب الناشئة عن الفصل يلزم فتح الشبابيك طلبا لتغيير الهواء كما لا يعزب عنك

وزيادة على ما تقدم يحسن أن لا نأخذ الناشئة الصغار أثناء الدرس بموضوع واحد زمنا طويلا بل ينبغى تغيير المواضيع كل عشر دقائق كمن الاعمال الفكرية الى الاعمال الآلية ومن الاعمال الطالبة للجلوس الى أعمال أخرى تدعو الى الوقوف ومن الانصات الى التكلم وبالعكس فان ذلك كله يبقى فيهم النشاط ويحفظ من تشتت أفكارهم ويبعث فيهم انتعاشا ويحرك من شغفهم وسرورهم بالتعلم زيادة على ما فيه من دواعى الصحة

(الاصل التاسع) يحسن اعطاء نبهاء التلامذة وظائف يقومون بأعبائها كأن نعهد الى أحدهم ملاحظة نظام الفصل عند غياب المعلم وآخر نوليه أمر تنظيف تختة الكتابة بعد انتهاء الدرس والاستحضار على الطباشير والاسفنج وآخر نخصه باحضار أدوات التعليم وآلاته وارجاعها فى مواضعها بعد استعمالها وآخر بفتح شبابيك الفصل وقت الفسحة ومن ذلك تخصيص بعض النبهاء منهم بضعفائهم ليساعدوهم فى المطالعة والكتابة والحساب والحفظ عن ظهر قلب وغير ذلك الا أنه لا ينبغى شغل هؤلاء النبهاء بكثير من أعمال المساعدة دفعا لما عسى أن يضر بصالح أشغالهم

و يجب أن لا نعطى احدى تلك الوظائف الا للمتأدبين منهم خلاف الذين يميلون الى التسلط والغلبة والقهر ومتى لاحظ المعلم من أحدهم ميلا الى تلك الخصال الذميمة عزله جزاء له

والاولى أن لا تزيد مدة تلك الوظائف بيد أحدهم عن أسبوع وذلك دفعا لتسلطهم وطلبا لتمرين أغلبهم . ولا يعزب عنك ما لهذه الطريقة من عظيم الفائدة فانهم بها يتعلمون معنى الجمعية و يتمرنون على حب المساعدة والتعاون والامانة فى الخدمة والقيام باعباء ما يطالبون به ويزيد من احساسهم بتقدم الذات لشعورهم بأهميتهم

(الاصل العاشر) يحسن الاحتفال بالامتحانات السنوية فان له تأثيرا عظيما فى التربية والتعليم كما هو معروف بدون تعريف

هذا و يجب ملاحظة الناشئة فى جميع أعمالهم وأحوالهم وتمرينهم على الآداب تمرينا عمليا ولذلك يحسن أن نخص الاسبوع الاول من دخول الناشئة فى المدرسة بأخذهم وتمرينهم على الانقياد والطاعة للنظام المدرسى

ولتعلم أن تلك الاصول المتقدمة تعتبر أسسا ودعائم للتربية والتعليم فمتى اقيمت الدعائم قام البناء ومتى أهملت اندك وتداعى فالبناء بأسه والشجرة بأصلها

الباب الثانى

(فى التربية المدرسية وفيه أربعة فصول)

الفصل الاول فى المعلم بصفته مربيا

المربى هو انسان يحاول أن ينقل صورته ونظام أحواله الى غيره وهو من المسترشدين بمنزلة الطابع من الطين والعود من الظل فلا تحسن الصورة والطابع ردىء ولا يستقيم الظل والعود أعوج

وبذلك تعلم أن المربى لايؤثر بقوله بل بكونه ولا بأمره بل بفعله ومثل الذى يعظ و يفعل كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك يطيب غيره وهو طيب ومثل الذى يعظ ولا يفعل كالقمر يضىء ولايدفئ فربما سطع القمر والليلة صقعاء أوهو مثل الذى يتكلم بلغة غيره يلهج لسانه بألفاظها ولكنها لم تصادف منه احساسا نفسيا أووجدانا قلبيا أوهو كالدفتر يفيد غيره وهو خال عن العلم والمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع والابرة تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق

ما هى الا ذبالة نصبت * تضىء للناس وهى تحترق

قال أصدق القائلين «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» وقال عز شأنه «كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» وقال فى قصة شعيب «وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه»

وقد أنبأنا العيان أن كثيرا من الآباء البسطاء الذين لم تحنكهم التجارب ولم يأخذوا أنفسهم بالعلوم ربما أكسبوا أبناءهم تربية جيدة وسلوكا حسنا وأخلاقا فاضلة وأن كثيرا من الآباء المتمدنين الذين تخرجوا بالعلوم والفنون ربما أكسبوا أبناءهم رداءة السلوك وسوء التربية وما سبب ذلك الا أن الآباء فى الحالين مثال للابناء فهم فى الحالة الاولى باتباعهم لآداب الدين ونواميس الشرع الشريف صاروا خير مثال لابنائهم وأما الآباء فى الحالة الثانية فلما كان كونهم مخالفا لقولهم صاروا لابنائهم شر مثال وان كثرت أوامرهم ونواهيهم

قال بعض الحكماء اذا كان الرجل طاهر الأثواب كثير الآداب حسن المذهب تأدب بأدبه وصلح بصلاحه جميع أهله وولده وقيل

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويفسدهم رب الفساد اذا فسد

فيعظم فى الدنيا لفضل صلاحه * و يحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

ولذا وجب على المعلم أن يكون كونه مطابقا لقوله فليكن كما يجب أن تكون تلامذته وليفعل ما يلزم أن يفعلوه وليترك ما يلزم أن يتركوه فان عمله بالمأمور به وتركه المنهى عنه يبعثان فى الناشئة الثقة بامكان الحصول و يسهل عليهم التقليد

و يحسن به اذا رأى عيبا فى الناشئة أن يرجع الى نفسه فيترقبها فى الفعل والترك والسلوك فاذا وجد العيب من نفسه فليبدأ باصلاحها قبل اصلاح الناشئة وليعلم أن الناشئة بمنزلة خيال لكونه فصلاحهم بصلاحه وفسادهم بفساده و بقدر ما يظهر لهم من كونه يكون تقليدهم فاذا عظم قويت رغبتهم فيه وانقيادهم لاوامره والعكس بالعكس

وعلى المعلم الحكيم أن يكون جامعا بين ثلاث خصال وهي ميل قلبي وارادة صارمة وحكمة بالغة

فاما الميل القلبي فاقصد به أن يكون المعلم مائلا بجانبه الى الناشئة محبا لهم شفوقا عليهم شغوفا بتكميلهم كالوالد لولده اقتداء بمعلم الانام عليه الصلاة والسلام حيث قال انما أنا لكم مثل الوالد لولده

ويتبع الميل القلبي لطف الجانب وبشاشة الوجه ولين القول والاحسان اليهم وفي ذلك فوائد جمة فان اللطف لمن أهدى الطرق الى معرفة أخلاقهم ومكامنهم وبه يزداد ميلهم الى المعلمين وتقوى ثقتهم بهم قال تعالى «واخفض جناحك للمؤمنين» وقال بعضهم البشاشة مفتاح القلوب

وكما يجود تعلم الناشئة لدى لطفاء الجانب تجود تربيتهم لميلهم الى الفضائل والآداب التي يكتسبونها بالعمل فكما يعبق عطر الازهار تعبق أخلاق الرجال ومتى فقد الميل القلبي خاب الامل وضل المسعى فان المعلم العبوس الوجه والقاسي القلب لا يحير أن يكسب الناشئة علما ولا أدبا بحكمة نفورهم عنه وعدم ميلهم الى جانبه ويتطرق ذلك الى أخلاقهم فتسوء وتخبث كما يضرب الكسل فيهم بجرانه والكسل مفتاح الشرور ورأس الرذائل قال أصدق القائلين «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» وقال «لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن»

وأما الارادة الصارمة فاعني بها أن يكون المعلم ثابت الجاش حازم الرأي نافذ الحكم قوي الارادة لا يريد هذا تارة وذاك أخرى فان من تقلبت ارادته وخفقت كجناح الطائر قل أن يؤثر في ارادة غيره ولذا ينبغي له أن لا يأمر الناشئة بأمر يتساهل عن تنفيذه أو يقول قولا يرده

القول كاللبن المحلوب ليس له * رد وكيف يرد الحالب اللبنا

أو ينذرهم بعقاب لا يقيمه أو يتغاضى عن كثير من الاغلاط والمخالفات أو يأمرهم اليوم بأمر ينهاهم عنه غدا وبالعكس

وليعلم أن للناشئة شعورا دقيقا بارادة المعلم فمتى صرمت أسلموه أزمتهم وأعنتهم ومتى تقلبت شردوا عنه ونبذوا طاعته وراءهم ظهريا ولم يكترثوا بأمره أو نهيه

وأما الحكمة البالغة فاقصد بها أن يكون المعلم حكيما متبصرا يضع الامور في مواضعها عارفا كيف يأخذ الناشئة حتى يبلغ بهم الى المقصود المادي والادبي عالما بوسائط التربية والتأديب فلا يعاقب قبل تهديد ولا يهدد قبل انذار ولا ينذر قبل تذكير قال بعضهم العتاب قبل العقاب فليكن ايقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك اه

وعلى المعلم أن يكون منهم بمنزلة الملوك من رعيتهم قال معاوية يوما انى لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ولو أن بينى و بين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له وكيف ذلك قال كنت اذا مدوها أرخيتها وان أرخوها مددتها اهـ

ولذا يحسن به أن يتعرف كل ناشىء ليعلم طباعه وأخلاقه واستعداداته الجسمية والعقلية كى يعامله بحسبها فلا يعامل الكل باللطف كما لا يسوق الجميع بعصى الخشونة فان منهم من تصلحه القساوة بينما الآخر يصلحه المعروف ومن ينفعه الاحسان بينما يسوء الآخر ومن يؤثر فيه النظر بينما الآخر يحتاج الى العصا كما قيل

البعض يضرب بالعصا * والبعض تكفيه الاشاره

ومنهم من يسوقه المهماز بينما الآخر يلزمه اللجام وهكذا

ولما كانت تلك الحكمة من الامور الصعبة التى تكاد تكون وجدانية الحصول فيحسن بالمعلمين أن يجتهدوا فى بلوغها بواسطة تعلم علم النفس وعلم الاخلاق وترقب الاطفال وتطبيق ما علموه على ما ترقبوه حتى يؤتوها « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »

هذا و ينبغى للمعلم أن يكون مقبول الظاهر نظيف الثياب وان كانت بسيطة مطمئن السير لا يهرول بجسمه أو يعبث بيديه متخذا الحشمة والوقار فى الغدو والرواح خاليا عما يحرك من عجب الناشئة أو تهكمهم ومع ذلك فالعبرة بباطنه وروحه وكفى بها وسيلة الى المقصود (راجع فصل المعلم السابق)

الفصل الثانى فى الناشئ

حيث سبق لنا الكلام فى الجزء الاول على مراتب النشأة الجسمية والعقلية للناشئ فعرفنا كيف ينمو جسما وعقلا لا جرم أن نأتى بالكلام الآن على طبائع كل من الغلمان والبنات واستعدادات كل من الجنسين حتى يتسنى للمربى أخذهما بنواميس التربية والتعليم فنقول .

كما أنه ترق الغلمان والبنات جسما يختلفون عقلا وطبعا و يتبين لنا ذلك منذ بلوغهما المرتبة الاولى ونعلمه من اختيار الجنسين لادوات الالعاب وفى هذه المرتبة يمكن أخذهما بتربية واحدة مع بعض ملاحظة لطباع كل منهما وأما هما فى المرتبتين الثانية والثالثة فيظهر لنا اختلاف طباعهما جليا بحيث يحتاج كل منهما الى تربية مخصوصة

وذلك أن الحكيم جل شأنه جعل نمو الغلمان بطيئا ولكنه متين و يتبع ذلك بطء نمو التصور والعقل وقوة الادراك وترقب النفس والحكم عليها ومن خصائصهم أنهم طبعوا على القيام

بالنفس وقوة الشهوات وحدة التأمل الذى بواسطته يقبلون ويدفعون بتأثيراتهم فى الخارج وعلى الرزانة وعدم الفزع والقوة على العمل

بخلاف البنات فنموهن سريع ولكنه غير متين فنرى احساسهن يغلب تصورهن ونجدهم قويات التذكر دقيقات الادراك كثيرات الاطماع ضعيفات الشهوات لايحزن أن يثقن بأنفسهن يغلب عليهن الفزع والخوف كما يملن الى التغيير والانقلاب والى التفنن فى الحيل والمكر ولكنهن صادقات الطاعة سريعات الانقياد والتسليم والافداء للغير مطبوعات على السكون والصبر والنشاط والحركة والتفنن فى دقائق الاعمال الظاهرية وفى حسن عرض الاشياء بينما الغلمان يبحثون عن حقائق الاشياء ويملن الى الاعجاب بالنفس بينما هم يميلون الى التكبر واشدة احساسهن يسهل تحريكهن وسياستهن أسرع من الغلمان نعلم ذلك من انقياد البنات للمؤدب والقائمين عنان الطاعة والتسليم له وان كان ذلك لايصدر عن حبهن للتربية بل عن ميلهن الى المربى بخلاف الغلمان فانهم يخفون نواياهم واحساساتهم القلبية عن المؤدب وربما كانوا له أعداء ألداء ولكن من يعرف كيف يلقى فى قلوبهم اعتباره ألقوا اليه مقاليدهم ورقابهم وهنالك فارق اعتيادى صار بحكمة العادة طبيعيا وهو أن الغلمان لهم التأثير فى الظاهر والجهاد فى المعيشة والقيام بالمعارف والعلوم العالية والصنائع وأما هن نخلقن للمنزل والتأثير فى العائلة ولقد أحسن من قال ان دنيا المرأة المنزل ومنزل الرجل الدنيا

اذا تقرر ذلك تعلم أن من الواجب على المربى ملاحظة خصائص كل من الجنسين لاسيما جنس الاناث فلا يعاملهن بالقساوة ضرورة أنهن لرقة احساسهن يأبين الا لطف المعاملة وأحسن واسطة لاخذهن بالتربية هى تحريك الباعث الشرفى فيهن لانهن شديدات الغيرة على الشرف والعرض ولكن حذار من ارسال لجامهن والافراط فى الملاطفة والرقة دفعا لما عسى أن يتفاقم من عجبهن ولايحسن أخذهن بالعقاب الجسمى لانهن خلقن طبعا شديدات الحرص على أجسامهن كما لايخفى

وأهم مايجب أخذهن به أمران مادى وأدبى فالمادى حسن ادارة المنزل والاقتصاد وتربية تفننهن فى الاعمال اليدوية وذوقهن فى حسن عرض الاشياء وكيفية تعهد الابناء صحة وضامر وأما الادبى فهو بعث الفضائل فيهن وتعويدهن على الصبر والاعتقاد ورقة القلب وعلى العفة والامانة وغير ذلك من الخصال الفاضلة

هذا وكما أن طبائع الغلمان تختلف عن طبائع الاناث نرى أيضا أن أفراد كل من الجنسين مختلفو الطباع والاخلاق والاستعدادات فكما تفترق الناس وجوها يختلفون طباعا ولذا ينبغى للمربى

أن يترقب طباع كل ناشئ ذكرا كان أو أنثى حتى يمكن له أخذه بالتربية وتهذيب النفس حسب طباعه وحيث ان مدارسنا العصرية مقتصرة على تربية الغلمان أحببت أن أفاوض السادة المعلمين الحديث في اختلاف طباعهم واستعداداتهم فأقول

اختلاف الطباع

لو سبرنا الناشئة بمسبار الترقب لالفينا أمرهم لا يخلو عن ستة أحوال

الحال الاول أن يكون الناشئ حاد الذكاء سهل الانقياد شغوفا بالتحصيل وهذا لا يطلب سوى هديه الى طريق التحصيل والتهذيب الا أنه لا ينبغي ارسال لجامه كيلا ينتج قبل أوانه فتضعف قواه فيما بعد

الحال الثاني أن يكون حاد الذكاء ولكنه بطيء وهذا لا يلزمه سوى استعمال المهماز وحثه على صرف الجهد

الحال الثالث أن يكون حاد الذكاء شغوفا بالتحصيل ولكنه عنيد صعب المراس ومن يكن هذا حاله يكره عادة لدى المعلمين وان كان أمثاله يخرجون في الغالب رجالا يعوّل عليهم ولذا ينبغي للمعلم أن يأخذه بتلطيف طباعه وتهذيب أخلاقه

الحال الرابع أن يكون سهل الانقياد شغوفا بالتحصيل ولكنه كاسد الفكر وبطيء الفهم وهذا يحتاج الى رقة المعاملة والتنهيض تارة والمساعدة أخرى كيلا يضعف جاشه أو ينبعث يأسه فيقعد الدهر ملوما محسورا فربما وصل الى الغاية المطلوبة

الحال الخامس أن يكون كاسد الفكر بطيء الفهم كسولا عن العمل وهذا يمكن تقويمه مع الصبر وتوالي الزمن

الحال السادس أن يكون مع كسادة فكره وبلادة فهمه خبيث الطبع شرير النفس ومثل هذا لا ينبغي اليأس منه بادئ بدء بل يحسن أخذه بالاصلاح والتقويم والتهذيب الى أن تضيع فيه الحيل

اختلاف الاستعداد

لا خلاف في أن القوى العقلية ليست سواء في أفراد النوع الانساني فهذا تزيد فيه قوة التخيل وذاك قوة التصور وذلك قوة التذكر وهكذا وبحسب ذلك الاختلاف يكون الاستعداد فمن قويت فيه قوة عاقلة من تلك القوى مال بطبعه الى ما يلائمها تعلم ذلك من ميل كل انسان الى عمل مخصوص فمنهم من يميل الى علم العدد ومن يشغف بالتاريخ ومن يرتاح الى التشريع

ومن يميل الى الفلسفة وهكذا القول فى الصنائع فهذا له استعداد فى أعمال التجارة وذاك فى أعمال الحدادة الى غير ذلك

قالت البيداجوجيون ان الاستعداد العقلى قسمان أصلى وفرعى وكلاهما ينبنى على التخيل الذى هو نوعان تخيل نظرى وتخيل تحضيرى ومن ذلك ينتج أربع حالات

الاولى الاستعداد الاصلى الناشئ عن التخيل النظرى وصاحبه له ميل الى الترقب والبحث سواء فى المعقولات والمحسوسات

الثانية الاستعداد الاصلى الصادر عن التخيل التحضيرى وصاحبه يميل الى التفنن والاختراع

الثالثة الاستعداد الفرعى الناشئ عن التخيل النظرى ولصاحبه ميل الى التقسيم والتحليل كالرياضيين

الرابعة الاستعداد الفرعى الصادر عن التخيل التحضيرى ولصاحبه ميل الى ايقاع الحكم كأولى الفلسفة والقوانين

وان شئت قلت ان أصول الاستعدادات أربعة الاستعداد الترقبى والاستعداد الاختراعى والاستعداد الانقسامى والاستعداد الحكمى ويتفرع عن تلك الاصول فروع تختلف باختلاف أنواع المواضيع العلمية أو الصناعية

وربما اجتمع كثير من أنواع الاستعداد فى فرد واحد وقد ذهب بعضهم الى عدم اختصاص أحد بالاستعداد دون الآخر وأن أفراد الانسان مطبوعون على الاستعداد لجميع المعقولات والمحسوسات وخصصوا للاميال المنبعثة عن الاستعداد مواضع فى الرأس كمواضع القوى العقلية الا أنه لم يتم استكشافهم هذا ويخالفهم فى ذلك الرأى أغلب الفلاسفة والعلماء قائلين ان العيان يكذبه أقول ولا ملام علىّ اذا أيدت ذلك الرأى من عدم اختصاص أحد بالاستعداد دون الآخر وذلك ان الانسان الذى كملت فيه طبائع الانسانية لاشك يكون مستعدا لكل عمل يمكن حصوله وأما الذى نقصت فيه طبائع الانسانية فلابد وأن يكون هنالك مانع قد عاق قواه العقلية عن الكمال وذلك المانع اما الوراثة أو الظواهر الجوية أو الاحوال المعاشية أو سوء التربية فلا يقال ان فلانا اللغوى الذى لا يقدر أن يدرك نواميس العدد وقواعد الحساب ليس له استعداد لعلم العدد بل الاستعداد كامن فيه وانما صادم قوة تخيله داء أعجزه عن ادراك النسب العددية وبذلك يتبين أن وظيفة الاستعداد كامنة فى أفراد الانسان وانما تحول دونها حوائل تمنع من استخدامها فيما وضعت لاجله

وعلى كل من الرأيين يحسن بالمعلمين أن يترقبوا الناشئة ليكونوا على بينة من استعداداتهم وقوى عقلهم ومتى رأوا أن لاحدهم ميلا شديدا الى فن من الفنون فكأنهم يقرونه عليه ويبعثون من نشاطه نحوه يطالبونه بالفنون الأخرى فربما كان عدم استعداده لفن آخر ناشئا عن عدم الارادة أو عدم التعويد (راجع صحيفة ٦٠ جزء أول)

ولترقب استعدادات الناشئة أهمية كبرى لدى أمم المغرب المتمدنة فترى الآباء والمعلمين يترقبون الابناء عامة نشأتهم فاذا رأوا في أحدهم استعدادا لفن أو صناعة أو عمل من الاعمال المعاشية خصوه بها ولعمر الحق ان ذلك لهو التبصر بعينه كما أن تخصيص الناشئ بشئ لا استعداد له فيه لهو الضلال بعينه

قال (دانته) الايطالي ضمن أشعاره مامعناه (١) ان طبائع الناس مثل بذور النبات تجود زراعتها اذا صادفت أرضها الحقيقية ولو تبصر الناس الى ذلك لجادت فيهم الانسانية ولكنهم في غفلة عن هذا الناموس الطبيعي فتراهم يخصون للدير من خلق للسلاح ويلقون مقاليد الملك لمن خلق للوعظ اهـ

أقول وهذا هو الداء العضال المنبعثة جرائمه بين أبناء المشرق حيث ان الآباء لدينا لا يعيرون التفاتهم الى ذلك الناموس فيتركون الابناء تتصرف فيهم يد الصدفة والمقادير على أننا كثيرا ما نرى أن الآباء المتبصرين اذا رأوا في أبنائهم استعداد الصناعة من الصنائع المعاشية يمنعونهم عنها احتقارا واستنكافا من الحرفة وما سبب ذلك الا الجهل بوظائف الامة كما لا يعزب عن البصير

تبصرة

والابناء الفاقدون الذين لا تخلو منهم أمة من الامم أو شعب من الشعوب نوعان

النوع الاول اليتامى الفقراء الذين فقدوا آباءهم أو الابناء الذين ثبتت جناية آبائهم أو سوء تصرفهم أو الذين جنوا جناية قبل أوان الرشد وليس لآبائهم قدرة على تربيتهم فليس من العدل أن تتركهم الامة بدون ملاحظتهم والاعتناء بتربيتهم ولو تتبع القضاة أصول شريري الناس وأولي الجناية منهم لالفوا أغلبهم لا يخرج عما ذكرناه

(١) هو دانته أليغيري ولد سنة ١٢٦٥ ومات سنة ١٣٢١ ميلادية وهو من أشهر شعراء ايطاليا ويعد أول مخترع للاسلوب الشعري الايطالي وسمي ديوانه كوميديا دي فينا ومعناه الرواية الالهية اهـ ملخصا من كتابنا في التاريخ العام

النوع الثاني الابناء الذين فقدوا بعضا من الاجهزة الجسمية أو من القوى العقلية كفاقدي البصر وأولى الخرس والمتقاعدين وكالابناء البهلاء الذين تظنهم العامة أولياء أو مبروكين فكل أولئك محتاج الى تربية عامة حتى لا يكون عالة على الناس وخدشا في وجه الامة ونحن معاشر المسلمين قد أودع الله فينا الشفقة والرحمة فاولى لنا أن نحشر أولئك الابناء في صعيد واحد فنربيهم تربية تعود عليهم وعلى أمتهم بالخير العميم هاهى الممالك الغربية لم تأل جهدا في ذلك فأسست لمثل أولئك الابناء مدارس خصوصية يعيشون بها ويتربون ويتعلمون حتى اذا بلغوا مبلغهم من الرشد والعلم خرجوا فاحترفوا وعاشوا عيشة راضية مرضية يثنون على الامة كما تنتفع الامة بهم

الفصل الثالث في طرق التربية والتهذيب

الغرض من أخذ الناشئة بالتربية هو تعويدهم على اجراء مقتضيات الحياة المطلوبة قبل أن يعينوا أحوالها بانفسهم ولا يتم ذلك الا بتربية قواهم العقلية والادبية كضبط التخيل وتقويم الارادة حتى يكون لها السلطان الاعظم على البواعث والاميال والاطماع ولما كانت الناشئة في نشأتهم الجسمية والعقلية يجوزون ثلاث مراتب كما تقدم لنا شرحه في الجزء الاول حسن بنا أن نقسم الكلام على التربية هنا الى ثلاث مراتب وهى مرتبة الاضطرار ومرتبة الاختيار ومرتبة الحرية ولا قف بك على كل منها فأقول

مرتبة الاضطرار

وهى أولى المراتب التى بها يجد الناشئ من نفسه اضطرارا الى التسليم لسلطان الطبيعة الجسمية والانقياد الى البواعث والاطماع بحيث لا يقدر أن يضبط من ارادته أو يقيم من أودها ومن ثم وجب أن يعد بسلطة خارجية ونفوذ ظاهرى يرد من جماح بواعثه وأمياله ويهبط من ثورتها ويضعف من قوتها الى أن يكون للارادة النفوذ والغلبة على الجسم وتصير مخدومة بعد أن كانت خادمة

قال صاحب أدب الدنيا والدين ان النفس مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسلة لا يستغنى محمودها عن التأديب ولا يكتفى بالمرضى منها عن التهذيب لان لمحمودها أضدادا مقابلة يسعدها هوى مطاع وشهوة غالبة فان من أغفل تربيتها تفويضا الى العقل أو توكلا على أن تنقاد الى الاحسن بالطبع أعدمه التفويض درك المجتهدين وأعقبه التوكل ندم الخائبين فصار من الادب عاطلا وفى صورة الجهل داخلا لان الادب مكتسب بالتجربة أو مستحسن

بالعادة ولكل قوم مواضعة وذلك لا ينال بتوقيف العقل ولا بالانقياد الى الطبع حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة وبالدربة والمعاطاة ثم يكون العقل عليه قيما وزكى الطبع اليه مسلما اه

ولا سبيل الى تقويم الارادة سوى أخذ الابناء باربع وسائط وهى المثال والتعويد والصيانة والاوامر والنواهى

فاما المثال فاقصد به أن يكون المربى فى أحواله مثالا للناشئة كما تقدم لنا الكلام عليه غير مرة ويعتبر ذلك من أهم الوسائط للتربية فانه متى كان سلوك المربى بالنقيض من أقواله قل أن تنفع التربية أو ينجع الامر والنهى أو يثمر العقاب والثواب وأنت تعلم أن الانسان من طبعه ارادة حمل الناس على التخلق بأخلاقه والتطبع بطباعه لا سيما المربون فكما يكونون تكون الناشئة

وأما التعويد فهو من أعظم الوسائط لاخذ الناشئة به فى هذه المرتبة فان من تعود على شئ سهل عليه استعماله فيما بعد حيث يجد من نفسه احساسا ارتياحيا ينزع به الى تجديده فينشأ الميل الى ما تعود عليه وتصير بذلك العادة طبعا ومن ثم قيل ان العادة طبيعة ثانية

وأوفق زمن لاخذ الناشئة بالتعويد هو زمن حداثتهم لانهم فى نشأتهم الاولى كالعجينة قابلة لاية صورة قال على رضى الله عنه قلب الحدث كالارض الخالية متى ألقى فيها شئ قبلته وقال بعضهم

ان الغصون متى قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

وقال آخر

وينفع الادب الاحداث فى صغر * وليس ينفع عند الشيبة الادب

وقال صاحب أدب الدنيا والدين وأما التأديب اللازم للاب فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشأ عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمباديها فى الصغر لان نشوء الصغير على الشئ يجعله متطبعا به ومن أغفل فى الصغر كان تأديبه فى الكبر عسيرا اه

وقال الغزالى فى احيائه ان أوائل الامور هى التى ينبغى أن تراعى فان الصبى بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين اه

وأهم ما تبحث عنه التربية للتعويد عليه خمسة أمور وهى

أولا — تعويد الناشئ بادئ بدء على نظافة الجسم والملبس فان نظافة الظاهر كما تدعو للصحة تؤثر فى أحوال الباطن حيث بها يتربى الناشئ على الشغف بالنظام والاعتدال فى الامور

ثانيا — تعويده على تقوية جسمه ورياضة بدنه بان نعوده فى بعض النهار على المشى والحركة والرياضة وعلى الخشونة فى المطعم والملبس كما نمنع أحيانا عن الفرش الوطيئة حتى تتصلب

أعضاؤه فتكون أبعد عن الامراض وأقدر على احتمال الاعمال الجسمية والعقلية ضرورة أن قوة الجسم تكسب النفس انتعاشا والارادة قوة ونفوذا

ثالثا — تعويده على حسن عرض الجسم وضبطه فى الحركات والسكنات كأن نعوده على اعتدال الأعلى الجسم فى السير والجلوس وعلى حسن القيام والوقوف بأن يكون بعيدا عن التحامل والضعف وعلى التجلد والصبر لدى الالم وعلى عدم البكاء وكثرة الضحك والشكوى وعلى التيقظ فى جميع أحواله بحيث يكون منظره دالا على التنبه وحضور القلب وسرعة الشعور وحدة الوجدان

رابعا — تعويده على الادب الشخصى فى الفعل والقول بان نعوده على الاعتدال فى المأكل والمشرب وأن نمنعه عن شره الطعام وأن نأمره بالاكل مما يليه وأن لا يبادر الى الطعام قبل غيره أو يحدق النظر اليه أو الى من يأكل وأن لا يسرع فى الاكل بل يجيد المضغ وأن لا يلطخ يده أو ثوبه وكأن نعوده على الصدق فى القول ونمنعه عن كثرة اللغو وعن اليمين صادقا أو كاذبا وعن فحش الكلام كاللعن والسب وما أشبه ذلك

خامسا — تعويده على أدب المعاشرة بان نأخذه بتحسين معاملته لاشقائه ورفقائه وبلين جانبه والاحسان اليهم وبان نعوده على حسن السلوك والحشمة فى المجالس كتعظيم الكبير والقيام لمن فوقه وتوسيع المكان له وطلاقة الوجه للحاضرين وحسن الاستماع والتيقظ لهم وبان نعوده على أن لا يبصق أو يتثاءب أو يتجشأ بحضرة غيره ولا يستدبره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يسند رأسه بساعده ولا يحرك جسمه أو رجليه ولا يضع يده فى جيوبه ومثل ذلك

ولقد نعلم أن ذلك كله حركات اختيارية وأنه ربما صارت بكثرة التعويد والتمرين حركات اضطرارية أشبه بها كما تقدم لنا شرحه عند الكلام على الحركة فى صحيفة ٩ جزء أول

وأما الصيانة فهى أن نصون الناشئ عن التخلق بالاخلاق القبيحة والتشبث بالاعمال الرديئة التى تضر بجسمه وبنفسه والصيانة لها ارتباط شديد بالتعويد ضرورة أن التعويد على شئ هو نفس الصيانة عن ضده الا أنها أحوج الى صرف الهمة والاعتناء. قال بعض الحكماء اقدعوا نفوس أبنائكم فانها طلعة وحادثوها بالحكمة فانها سريعة الدثور فانكم اذا لم تزعوها تنزع بهم الى شر غاية (١) فينبغى للآباء أن يضعوا أبناءهم موضع الترقب والملاحظة أغلب أزمانهم

---

(١) يقول اقدعوا نفوسهم يعنى ادفعوها مأخوذ من قدعت أنف الناقة اذا دفعته وقوله فانها طلعة يعنى متطلعة الى الاشياء وقوله وحادثوها بالحكمة يعنى كما يحادث أحدنا السيف بالصقال وقوله فانها سريعة الدثور يريد الصدأ الذى يعرض للسيف اهـ مؤلفه

ليصونوهم عن أعمال الشر وخلق السوء ويمنعوهم عن جلساء السوء ويتخيروا لهم الرفقاء المؤدبين الذين تلوح عليهم شارة الخير وعلامات الفضائل كما يحسن بهم أن يترقبوهم ليعلموا أين يضعون أيديهم وأين يلعبون وأين يغيبون وأن لا يتركوا الابناء وحيدين زمنا طويلا وأن يأمروهم بعدم المكث طويلا فى محل الخلاء

والصيانة فى المدرسة أهم منها فى العائلة ضرورة أن كثرة مخالطة الابناء ومعاشرتهم بعضهم لبعض ربما منحتهم الفرص للتشبث بالغضب والعراك وغيرهما من الاعمال الخبيثة ولذا ينبغى للنظار والمعلمين ترقب الناشئة وملاحظتهم فى كل مكان وأوان على قدر الامكان

وأما الاوامر والنواهى فيلزم

أولا — أن تكون موافقة لقوى الناشئة مطابقة للاحوال على اختلافها غير متناقضة فلا نأمر الناشئ أو ننهيه عن أمر غير موافق لحالته ولا نفرط فى الامر والنهى ولا نطلب ما لا يمكن ولا نحرم اليوم ما جوزناه أمس ولا نكثر من الاوامر والنواهى فان كثرتها اغراء على عدم اتباعها ولا يظن أنها تكسب الناشئة الطاعة وتمرنهم على الامتثال بل بالعكس فالحكيم من يضع كلا منهما فى موضعه وأوانه

وعلى الآباء أن لا يلغوا ما تأمر به الامهات أو ينهين عنه فانه متى وجد الناشئ ملجأ له خابت تربيته وتشتتت ارادته كما لا يخفى

ثانيا — أن تكون الاوامر والنواهى مختصرة العبارة واضحتها معززة بالحماسة لا يشوبها غضب أو يعتريها طراوة ولين ومن أمعن الفكر رأى أن الآباء مطبوعون على استعمال ذلك بخلاف الامهات والسبب فى ذلك ثلاثة أمور

أولها — ان الآباء يميلون باصواتهم الى الحماسة بدون أن يشوبها غضب وأما الامهات فلما طبعن عليه من الشفقة وعدم الحماسة يملن باصواتهن اما الى الغضب أو الى اللين

ثانيها — ان الآباء يختصرون عبارة الامر والنهى فهم كالملوك فى أوامرهم وقواد الجيوش فى تعاليمهم وأما الامهات فلضعف جأشهن يحسبن أن الابناء لا يطيعونهن فيطلن عبارة الامر والنهى ويؤكدنها بكثير من الالفاظ والنعوت والعلل والحجج والبراهين ومعلوم أن كثرة الكلام لدى الامر والنهى تمنح الناشئ فرصة للتفكر فى اقامة حجة أو اختراع عذر يتخلص به

ثالثها — ان الآباء لا يرجعون عن أقوالهم أمرا ونهيا وأما الامهات فلشدة حنانهن يرجعن عن أقوالهن رأفة بأبنائهن وادخالا للسرور عليهم وبذا ترى الامهات يتحملن أثقال التربية

وصعوباتها أكثر من الآباء فجزاهن الله خيرا جزيلا عن أبنائهن وألهمنا البر بهن والشكر على احسانهن

والامهات أقدر على تربية البنات دون الغلمان كما أن الآباء أعرف بطرق تربية الغلمان دون البنات والسبب فى ذلك أن الامهات قد كن بالامس بنات يختلج فى صدورهن ما كن عليه وقت الحداثة ومثلهن الآباء بالنسبة الى الغلمان

ولا يجوز فى هذه المرتبة تعزيز الاوامر والنواهى بذكر الاسباب والمسببات فان ذلك اغراء للناشئة على الجدال واقامة البراهين فرارا من الوقوع فى اللوم أو العقاب بل يجب طلب الطاعة منهم والامتثال للامر والنهى بدون معرفة الحكمة كى يتمرنوا ويتعودوا على الانقياد والتسليم

و يلزم فى هذه المرتبة أن يكون العقاب موافقا القوى الناشئة مطابقا لحالة الذنب ويقصد منه بعث الخشية والخوف فيهم ولا تنبغى المبادرة بالعقاب بل يؤخذ الناشئ أولا بالنظر الزجرى ثم بالتحذير فالانذار وهكذا الى درجة العقاب وحينئذ يجب ايقاع العقاب بدون تأخير حتى يعلم الناشئ أنه نتيجة العصيان وعدم الطاعة

مرتبـــــــة الاختيار

وفيها تقوى ارادة الناشئ بحكمة ما حصل عليه من التجارب والتأمل فى الاسباب والنتائج فيرى أن اضطراره الى طاعة البواعث النفسية والجسمية قد صار اختياريا وأنه يمكنه مصادمة ما تدعو اليه أمياله فيقف بالارادة لدى الحكم بالاقدام أو الاحجام حتى يتأمل فى خير الامرين ولكنه لم يزل بعد عديم التبصر والتأمل حيث يجد نفسه غرضا بين سلطة ظاهرية ونفوذ باطنى يتجاذبانه ولذا كان محتاجا الى مساعدته وتقويم ارادته وتوسيع نطاق تأمله الى أن يصير حر الارادة صارم العزم نافذ الحكم

والواسطة لاخذ الابناء بذلك فى هذه المرتبة هى القاء نصائح عامة يندرج تحتها أحوال كثيرة ووقائع مختلفة لكى يمكنهم أن يمتحنوا أنفسهم اذا عرض عليهم أمر مخصوص فيعرضونه على التعاليم والنصائح العامة ليعلموا اهل هو مندرج تحتها أم لا ومن ثم يكون للناشئ فى هذه المرتبة نوع قيام بالنفس ولارادته نوع حرية

أما وسائل التأديب فى هـذه المرتبة فثنتان أولاهما الاحساس بالشرف بمعنى أن يحرك من شعور الناشئ بشرفه حتى لا يقدم على ما عسى أن يمس به وثانيتهما التذكير فالتحذير فالانذار فالتهديد ثم العقاب بحيث تحفظ مراتب كل منها فنضعها فى موضعها اللائق بها

ولتعلم أن الافراط فى الوعظ والنصيحة لا يفيد سوى الوقوع فى الملل ولا يثمر بشىء سوى الغضب والسخط فقد دلنا العيان على أن المربين والمعلمين الذين لا هم لهم سوى الافراط فى الوعظ وكثرة النصائح وضرب الامثال لا قدرة لهم غالبا على التربية ولذلك أسباب ثلاثة

أولها انبعاث الملل فى خيار الناشئة من كثرة الوعظ وفرح شرارهم بغضب المعلمين وبضياع الوقت فى القيل والقال

ثانيها ان كثرة الوعظ بمنزلة منظار معظم لذنوبهم ومساويهم وبذلك يخبث ذوقهم ويعتاد على تعظيم الحقير وتحقير العظيم من الامور

ثالثها ان كثرة الوعظ تنبه الناشئة عادة الى أخلاق رديئة يسهل عليهم تخلقهم بها كلما كثر سماعهم لها كالعصيان وكفران النعم وسوء الظن والمكر والخداع وغير ذلك كما لا يعزب علمه عن المتبصر الحكيم

مرتبـــــة الحرية

وفيها تزيد ارادة الناشئ حرية ونطاق تأمله اتساعا واختياره تبصرا ويقوى شعوره بالاخلاق فاضلها وخسيسها وبالتمييز بين الحسن والقبيح والمقبول والغير المقبول بحكمة ما اعتور عليه من الاحوال والوقائع التجريبية الا أنه لا يزال فى حاجة الى تقويم ارادته وهديها الى سبيل الخير فانها وان كانت حرة فى ميدان اختيارها وسيع جامع لمهايع كثيرة وسبل مختلفة يصل بعضها للخير وبعضها للشر على أن الارادة لا تزال أيضا غرضا للنفس فتغالطها فى اختيارها وتريها الحسن قبيحا والقبيح حسنا لاسيما اذا فقد الناشئ كثرة الاختبار والتجارب التى هى عين للارادة تبصر بها

ومن ثم وجب أخذ الناشئة فى هـذه المرتبة بتقويم ارادتهم وتحسين أميالهم وتوسيع نطاق تبصرهم وتعويدهم على التخلق بالفضائل والتخلى عن الرذائل وتربية أذواقهم وشعورهم بمعنى الخير والفضيلة كيلا يختلج فى صدورهم الا مكارم الاخلاق وفضائل الاعمال

ومما يساعد على أخذ الناشئة بالفضائل وتنوير الارادة هو درسا الدين والتاريخ ضرورة أن الدين يقوى من ارادة الانسان ويعده لان ينفذ ارادة الحكيم جل شأنه وأن التاريخ يكسب الانسان تبصرا بالامور وعلما باخلاق الناس وسيرهم كما تقدم لنا الكلام عليه غير مرة

وينبغى للمربى أن يظهر للناشئة مظهر الحماسة والصرامة فانهم فى هذه المرتبة أقدر على العناد وابداء الحجج والبراهين الغير حقة والوسيلة التى يتخذها هى النصائح والتعاليم العامة كما فى المرتبة

الثانية الأنها يلزم أن تكون فى صورة طلب ورجاء ويحسن أن يناوضهم الحديث فى الاسباب والمسببات طلبا التقوية اختيارهم وصرامة اراداتهم انما ينبغى أن يكون ذكر الاسباب صادرا عن تبصر وتأمل فليس كل سبب يحسن ذكره

هذا ومهمات الفضائل التى ينبغى أن نأخذ بها الناشئة فى مراتبهم المتقدمة سواء بالعائلة أو بالمدرسة ثمانية أخلاق وهى مخافة الله والطاعة وسلامة الذمة والالفة والصدق والحياء والحشمة والتعاون وها أنا أشرح لك طريق أخذهم بتلك الفضائل فأقول

مخـــــافة الله

وهى الشعور بالقرب المعزز بالخشية من الذات العلية يبعثنا ذلك الشعور الى فعل المأمور به وترك المنهى عنه فى الاجتماع والعزلة والى التسلى والرضاء عند وقوع البلاء بينما الانسان لاساعد له سواه جل شأنه وباشتراط القرب تعلم الفرق بين الخوف من الله والخوف من غيره فأن خوف الانسان من غيره يستدعى بعدا لاقربا وأما مخافة الله فتستدعى قربا يجده الانسان من نفسه شاء أم أبى ولذلك قال أبو القاسم القشيرى من خاف شيأ هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وكما يختلف حب الناس له سبحانه فان منهم من يحبه للاحسان والنعيم ومن يحبه لكونه مظهر الجمال والكمال (١) كذلك يختلف خوفهم منه جل شأنه فنهم من يخافه هربا من العقاب والعذاب وطلبا للاجر والثواب وذلك حاصل بأصل الايمان وعليه عامة الخلق قال عز شأنه «وخافون ان كنتم مؤمنين» ومنهم من يخافه لذاته ولجلاله ويراد من الخوف هنا الخشية وعليه العارفون بالله قال وهو أصدق القائلين «انما يخشى الله من عباده العلماء» أى العارفون بذاته وبجلاله . وقال عليه الصلاة والسلام أنا أخوفكم الى الله

وتوضيحا لذينك المقامين قد ضرب الغزالى فى إحيائه مثلا فقال ومثاله أن الصبى اذا كان فى بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لايخاف وربما مدّ اليد الى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبى الى أبيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال فى الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه فى الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد لانه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لايخاف الامن سبب مخوف فى نفسه فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه واذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثانى الخوف من ذاته اهـ

---

(١) راجع الكلام على الانسان ونسبته الى الله جزء أول والكلام على الاعتقاد الدينى فى هذا الجزء اهـ مؤلفه

وأهم بحثنا هنا هو أى مقام نصل بالناشئة اليه أبعث مخافة الله فيهم لعقابه أم لذاته وجلاله أقول والاولى أخذهم بذينك المقامين بدون تفريط ولا افراط مع تحريك شعورهم بجلاله وعظمته سبحانه وبانه مظهر الخير والكمال حتى يهابوا ذاته العلية ويأتمروا بامره وينتهوا بنهيه حبا فيه لا خوفا من عقابه ولا طلبا لثوابه فان الخير كله فيما أمر الله والشر كله فيما نهى عنه

ولاخذهم بذلك وسائط

الاولى أن نبعث فى قلوبهم محبة الاوامر والنواهى الالهية واحترامها وتقديسها

الثانية أن نتعهدهم بالاعمال الدينية كالصلاة والصيام

الثالثة أن نلقى فى قلوبهم محبة الجامعة الدينية بالسعى الى المساجد يوم الجمعة والى الاحتفالات الدينية

الرابعة أن نذكرهم بما يجدونه من أنفسهم فى الصحة والمرض وفى البلاء والهناء

الخامسة أن نحثهم على البر بالوالدين وطاعتهما والاحسان اليهما

السادسة أن نبعث التفاتهم الى محاسن الطبيعة التى أبدعها مبدع الكائنات والى تواريخ الامم المتقدمة والى ماجرياتهم وما أصابهم

السابعة أن نكون مثالا للناشئة فى جميع ذلك فانهم أحوج الى مشاهدة ما نأمرهم به منهم الى سماع الوعظ والنصح كما لا يخفى

الطاعة

وهى أساس كل الفضائل والمحور الوحيد الذى تدور عليه دائرة التربية ولو أمعنت الفكر لالفيت أن سبب الطاعة والانقياد الى الغير لا يخرج عن ثلاثة أمور

الاول الخوف من صرامة ارادة المطاع الثانى محبة المطاع والتقرب اليه الثالث احترام قانون سام

ولذا ينبغى للمربى أو المعلم أن يكون صارم الارادة نافذ الحكم طلبا لبعث الخشية منه فى الناشئة وأن يكون لطيف الجانب حليما صبورا عادلا كى ينبعث فيهم الميل اليه والانقياد له وأن يكون محافظا على اتباع نظام المدرسة وقانونها وعلى تنفيذه مع تعهد الناشئة باتباعه واحترامه

وهناك واسطة عظمى لبعث خلق الطاعة فى الناشئة وهى أن يكون المربى أرفع درجة وأسمى مقاما منهم ولست أعنى بذلك الرفعة المادية بل الادبية حتى يكونوا على ثقة بكماله وعلى يقين

بان مايريده ويأمره هو الاحسن والاحكم به وبذلك يسلمون اليه أعنتهم وينقادون اليه انقياد الفرس المروض لصاحبه

ومتى كان الناشئ مطبوعا على الطاعة والتسليم ساعده المربي وانتهز الفرصة لاستخدام طاعته في التخلق بالفضائل والتخلي عن الرذائل واذا كان مائلا الى العناد ونبذ الطاعة راضه باللين واللطف وبالحسنى والتي هي أحسن فاذا لم ينجع فيه ذلك أوقع به العقاب كما لا يعزب عنك علمه

سلامة الذمة

وهي خلق باعث الى اتباع الحق وترك الظلم ويدخل فيها الخلوص وصفاء السريرة والصدق ويخرج عنها الظلم والخداع والمكر والتبله والكذب والاضرار بالغير وخلاف ذلك من المساوى القبيحة

ومصدر سلامة الذمة أمران

أولهما الخشية من النواميس الالهية فمن خاف الله فأتمر بأمره وانتهى بنهيه غلبت عليه سلامة الذمة وخلوص القلب وصفاء السريرة ومن هنا تعلم فضل التدين بالدين الحنيف والشرع الشريف

ثانيهما الاحساس بالشرف فمن شرفت نفسه فلا سبيل له الى خبث الذمة ضرورة أن الشرف وسلامة الذمة خلقان يتعاونان ولا يفترقان فلا ترى ولن ترى من أحد شرف النفس مع خبث الذمة أو وضاعة النفس مع سلامة الذمة

أما اذا اجتمع التدين والاحساس بالشرف في أحد فقل انه مجمع الفضائل ومنبع الآداب ومحاسن الاخلاق ولذلك ينبغي تعهد ذينك المصدرين في الناشئة بان نبعث فيهم الخشية من الاوامر والنواهي الالهية كما تقدم لنا الكلام عليه آنفا وأن نحرك فيهم الاحساس بالشرف ونبعث من التفاتهم الى مواضعه منهم التي هي النفس والعرض والمال ولكن بحالة لا تصل بهم الى التعاظم والكبرياء أو الى الفخر والاعجاب (راجع الكلام على الاحساسات المادية في الجزء الاول)

ومن وسائط تعهد الناشئة بالاحساس الشرفي هو تغيير مواضع جلوسهم في المدرسة بعد الامتحانات وتقليدهم وظائف في الفصل للمساعدة واعطاؤهم الشهادات الدالة على مقدار معارفهم وسلوكهم

الالفـــــــة

وهى ميل الانسان الى نوعه ميلا قلبيا وظاهريا ولا تختص باصحاب المرء ورفقائه بل تعم جميع الناس . قال عليه الصلاة والسلام أحب الناس الى الله أكثرهم تحببا الى الناس ويدخل فيها حسن الخلق وجميل المعاملة والمعاشرة والمساعدة وعدم التحاسد وغير ذلك من فضائل المعاشرة والتعارف . قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق ولا تعزب عنك الآثار والاخبار الدالة على فضل الالفة ان لم يكن العيان أكبر برهان عليها(١)

ولتربيتها فى الناشئة مقامان

المقام الاول المنزل وأعظم مرب لهم فيه هن الامهات اللاتى طبعن على حب أبنائهن فيفرحن لفرحهم ويحزن لحزنهم وعلى الآباء أن يبعثوا الالفة والمحبة بين الاشقاء حتى لا يظلم أحدهم الآخر أو يحسده على شئ أو يؤذيه بالقول أو بالفعل ثم بين الابناء ورفقائهم ثم الناس

المقام الثانى المدرسة وفيها يكون بعث الالفة بين الناشئة بان يمرنهم المعلم ويعودهم على احترام بعضهم البعض وعلى حسن معاشرته ومعاملته وبان يحض نبهاءهم بمساعدة ضعفائهم وبان يقسم ناشئة الفصل الى أقسام كل قسم يذاكر على حدته ثم يقسمهم تقسيما آخر زمنا فزمنا وبان يكون المعلم نفسه ألوفا محبا للناس حتى يمكن للابناء أن يتمثلوا به ويعملوا باوامره

الصـــــــدق

وهو مطابقة حكاية اللسان للواقع ولا يكون الا فى الخبر والخبر اما أن يتعلق بالماضى أو المستقبل فيدخل فيه الوفاء بالوعد والصدق دليل على شرف النفس وسلامة الذمة كما أن الكذب الذى هو ضده دليل على خبث الذمة وضعة النفس قال الحسن عليه السلام كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب

والناشئة الذين لم يتجاوزوا السنة الخامسة من عمرهم لا يحكم عليهم بالصدق ولا بالكذب فان ما يأتون به من الحديث ليس الا كلاما ساذجا لانه متمحض لتفكرهم الذى يعبر تصوراتهم وتخيلاتهم الحكم على الاستحالة بالامكان ومع ذلك ينبغى ضبط تخيلهم بهديهم الى حقائق الاشياء وتعويدهم على ترك ما خالف الواقع

---

(١) راجع الكلام على الاحساس بالميل والكلام على الصحبة فى الجزء الاول اه مؤلفه

ولتربية الصدق فى الناشئة بالمدرسة يلزم

أولا أن يكون المعلم نفسه صادق القول ومن ذلك أن يفى بوعده ويوقع وعيده طلبا لاظهار الصدق والحقيقة واذن ينبغى له أن يكون محترسا لدى الوعد والوعيد

ثانيا أن يحمل الناشئة على الصدق وأن يريهم ان الصدق معتبر لديه أكثر من غيره وأن لا يتغاضى عن أقل كذب يصدر عنهم فالقليل منه يدعو كثيره

ثالثا أن يبعث فيهم الشعور بحقائق الاشياء أغلب أوقاته

رابعا أن يروض الذين يصدر عنهم الكذب شيأ فشيأ وأن يعاقبهم حسب أنواع كذبهم فان للكذب أنواعا تختلف باختلاف مصادرها فاذا كان كذب الناشئ صادرا عن كثرة اللغو فى الكلام ألزمه الصمت وتقليل الكلام واذا كان ناشئا عن الفزع والخوف عامله باللين واللطف وقوى من جاشه وبعث من حميته واذا صدر عن الفخر والاعجاب راضه بخلق التواضع واذا نشأ عن البخل والطمع طلبا للحصول على فائدة عامله بالضد كيلا يصل الى غرضه واذا صدر عن بغضه لاحد أو حسده إياه طلبا لايقاع الغير فى الضرر عاقبه على رؤس الاشهاد بنفس العقاب الذى كان يتمناه للغير مع رفع مكانة المكذوب عليه الى غير ذلك من الاحوال المختلفة واذا لم تنجع تلك الرياضة فى الناشئ الكذوب لزم أخذه بالعقاب الشديد ومتى تاب وارتجع ينبغى تصديقه وحسن الظن به

وربما صدر عن الصدق والخلوص بعض كلمات بمعزل عن الآداب وفى هذه الحالة يحسن بالمعلم أن يتغاضى عن ذلك ويأخذ صاحبها بالتهذيب من طريق آخر شيأ فشيأ

الحياء

هو انقباض النفس من فعل شئ أو تركه حذرا من اللوم عليه وهو مطلوب عادة وأدبا وشرعا وعقلا . قال عليه الصلاة والسلام الحياء شعبة من الايمان وقال بعضهم حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه وقال بعضهم

يعيش المرء ما استحيا بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء

وقال غيره

فلا وأبيك ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

والحياء نوعان نفسانى وأدبى فالنفسانى هو الذى خلقه الله فى النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والادبى هو امتناع الانسان عن فعل شئ قبيح عادة

وهو فى النساء خلق ممدوح يجعل لهن الاعتبار والوقار فى أعين الرجال وأما حياء الرجال فيعتبر فيهم لطفا وأدبا به يحفظون أنفسهم عن سلوك سبل القبائح

وينبغى للآباء والمربين أن يبعثوا خلق الحياء فى الابناء ذكورا وأناثا وذلك

أولا بان يجعلوهم موضع ملاحظتهم وترقبهم وأن يتخيروا لهم الرفقاء الادباء ويصونوهم عن مخالطة السفهاء دفعا للمعاصى أن يسمعوا منهم لفظا قبيحا أو ينظروا فعلا خبيثا ويمنعوهم عن مطالعة الكتب التى بها صور أو وصف يرفعان حجاب الحياء ويخدشان وجهه

ثانيا بان يعوّدوا الابناء على الاجتهاد والعمل والترتيب والنظام فى أعمالهم وأوقاتهم وعلى الاستحمام والرياضة البدنية

ثالثا بان يكون المربى أو المعلم ذا حياء فانه المثال الاعظم لهم فى الحركات والسكنات

أما الابناء الذين يهيجون أميالهم الحيوانية بجلد عميرة فيصعب شفاؤهم ولا واسطة لعلاجهم سوى سلطان سرى كالتعريض والتلميح والمراقبة أغلب الاوقات منعا لهذا الداء الذى كما يهدم من سور الجسم يضعف الروح والعقل ويوقع فى البله والحزن

الحشمة

وهى خلق يجعل الانسان مقبول الحركات والسكنات والاقوال والافعال ويدخل فيه حسن الخلق . قال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهى قوله انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم

ولبعث الحشمة فى الناشئة ينبغى

أولا تربية ذوقهم الادبى وتمرينهم على استعمال الاحتشام فى المدرسة والمجتمعات الاخرى كالحشمة فى المشى والقيام والقعود والكلام والمقابلة والقاء السلام ورده والحشمة فى المؤانسة والمجالسة والاستماع

ثانيا تمرين الناشئة على احترام بعضهم البعض صغيرهم لكبيرهم وبالعكس وعلى اتخاذ السلام فيما بينهم ومن ذلك أن يمنعهم المعلم عن مزاحمة أحدهم للآخر أو وكزه أو مجاهرته بفحش الكلام وعن الهزل الفاحش والسب واللعن ونحو ذلك

وينبغى للمعلم أن يعوّدهم على احترام ذاته وعلى أن يتركوا له المقام الاول فى السير والجلوس وأن لا يقطعوا عليه الحديث أو يجاهروه بصوت عال وأن يمرنهم على أن يسلموا عليه بالاحترام والتبجيل وأن ينبههم الى معاملة جميع الناس بحسن الخلق والادب وبشاشة الوجه ولين القول ولطف العريكة وسماحة السجية ونحو ذلك من آداب المعاشرة والمعاملة

التعـــــــاون

وهو صفة تبعث الانسان الى مساعدة أبناء جنسه والى الاتحاد معهم قولا وفعلا للحصول على المنفعة العامة وان شئت قلت هو تأثير الشعور بالوحدة الوطنية

والمنفعة العامة كامنة ضمن المنفعة الخاصة اذا تحاشوها الافراد وأخذ كل بيد الآخر وحافظوا على أسباب الائتلاف وتوطدت بينهم دعائم المحبة وكانوا كبنيان واحد يشد بعضه بعضا وأما اذا تفرقت قلوبهم ولعبت بهم الاهواء فلا ترى للمنفعة العامة لديهم محلا ولا يكونون أمة بل آحادا مجتمعين أجساما متفرقين قلوبا وأهواء تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى تستحكم فيهم الميول فتتمكن فى طباعهم العداوة والنفرة ويصيرون كما قيل غنما متبددة فى صحراء قد أحاطت بها أصناف السباع فبقاؤها مدة سالمة اما لان السباع لم تصل اليها بعد ولابد أن تصل اليها يوما ما واما لان السباع أدتها المزاحمة الى القتال وتمنعها شدة الجوع من المضى مع الغضب الذى ربما أذهبته شدة الجوع بالكلية أو يغلب فريق فريقا فيصير الغالب غاصبا ويصير المغلوب سارقا فتقع الغنم بين غاصب وسارق

ولا سبيل الى التعاون على المنفعة العامة الا اذا أشرب فى قلوب الافراد حب الوطن وصار لديهم الوطن كمنزل واحد هم أهلوه وأعضاؤه وقد جعله المشرع الاول عليه الصلاة والسلام من الخصال الدينية فقال حب الوطن من الايمان والآثار الصادرة عن الحكماء والسياسيين مؤذنة بطلبه وقد قصدوا بذلك بعث الافراد الى محبوب واحد وهو الوطن حتى تتفق أهواؤهم فتتألف قلوبهم فيعم الصلاح بينهم

ان المحب اذا أحب حبيبه * تلقاه يبذل فيه مالم يبذل

وقد جعل الله اختلاف الاهواء الذى هو ضد اتفاقها عقوبة زاجرة فقال «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا» قال بعض المفسرين العذاب الذى هو من فوقهم أمراء السوء والذى من تحتهم عبيد السوء وقوله أو يلبسكم شيعا المراد به الاهواء المختلفة

وحيث كان المقصود من تعلم الابناء هو صرفهم الى منفعة وطنهم وقيامهم بأداء حقوق مجتمعهم وجب أن يكون التعليم ملحوظا فيه تلك الغاية للعالمين والمتعلمين والا فلا يفيد التعليم سوى تعب الاجسام وضياع الاوقات وصرف الدرهم والدينار وعلى كل معلم أن يعلم الغاية المقصودة من عمله بشرط أن لا تغالطه نفسه وأن يثقف من عقول الابناء بايراد حكمة العلوم التى يتعلمونها

وذكر فوائدها العائدة عليهم وعلى أمتهم وأن يشرح لهم مثلا ضرورة احتياج الانسان لابناء جنسه وضرورة انقسامهم الى زارع وصانع وتاجر والسبب فيه واحتياج ذلك المجموع الى ناموس يسير عليه ليلزم كل منهم حدوده وذلك الناموس يكون بأيدى أناس يصرفون أفكارهم فى حفظه وتنفيذه فيما بينهم وهم الحكام والمأمورون وحيث ان كل قسم من هذا المجموع محتاج الى الآخر فالزارع محتاج الى الصانع وبالعكس وهما محتاجان الى التاجر الذى يوصل منافع أحدهما الى الآخر فلابد من تسهيل الحصول على ذلك بتمهيد الارض والطرق وأن ذلك يحتاج الى أعمال كثيرة يقوم بها أناس ليسوا من هذه الطوائف وهم يطلبون أجرة على عملهم فيجب أن يفرض على تلك الاقسام والطوائف دراهم يدفعونها الى الحكام القائمين بحفظهم جزء منها الخاصة أنفسهم مكافأة لهم على قيامهم بتلك الاعمال وجزء يصرفونه الى العمال الذين يشتغلون فى تسهيل المصالح العمومية الى غير ذلك من الاصول المدنية التى ينبنى عليها أساس الحكومة

وعلى المعلم أن ينير أفكار المتعلمين بتلك النواميس ليعلموا أنهم مشتغلون بأعمال لها غاية تعود فائدتها عليهم وعلى وطنهم وأن ينبههم الى أنهم مأخوذون بالتعلم لهذا الغرض وأنهم ان لم يجعلوا تلك الغاية أمام أعينهم فبقاؤهم ضرر للامة وحياتهم غير نافعة ويكونون فيما بعد كالسارقين الذين يعيشون بالسرقات الخفية التى لم تطلع عليها رجال القضاء «وما الله بغافل عما تعملون»

وابعث خلق التعاون وحب الوطن فى الناشئة وسائط أخرى منها تقليدهم وظائف يقومون بأدائها فى المدرسة ليتمرنوا على معنى الاخاء والامانة فى تأدية الواجبات ومنها تعويدهم على الطاعة والامتثال حتى يتطرق ذلك الى طاعتهم الحكومة ورجالها والى حب مولى البلاد وراعى الامة والى انقيادهم الى القوانين الوطنية ومنها أن يبعث المعلم من ميلهم وشغفهم باحترام العادات الوطنية وعدم ازدرائها دون عادات الاوطان الاخرى ومنها أن ينير من عقولهم ويبعث حب الوطن فى قلوبهم عند تدريسه اللغة الوطنية والاحوال التاريخية بذكر حسنات أسلافهم التى عادت على الوطن بالنفع الجزيل وعند الاحتفالات بايام التذكارات التاريخية (راجع فصل التاريخ) الى غير ذلك مما يحرك من جاشهم وينبه من عواطفهم ويخلع قلوبهم نحو الوطن وحبه والقيام بخدمته حتى يكون الكل ممتعا بالحياة آمن البال مسرور الخاطر والله على ما يشاء قدير

الفصل الرابع في العقاب والثواب

الغرض من ايقاع العقاب ثلاثة أمور وهي المسالمة والتخويف والاصلاح فمتى تعدى الناشئ الاوامر أو النظام المدرسي صار مدينا للمعلم الى أن يقع به العقاب فتحصل المسالمة بينهما على ما اقترفته يداه وينشأ الخوف من العودة وبذلك يكون الصلاح

وهنالك فرق بين العقاب المدرسي والعقاب القضائي فان العقاب القضائي لا ينظر فيه الى طباع الناس وأخلاقهم وطوائفهم وليس هم القاضي سوى النظر في أن يأخذ من المذنب حق القانون الذي مس بشرفه وتعدى حدوده وأما العقاب المدرسي فتلاحظ فيه الطباع والاخلاق والاحوال الشخصية والعائلية ولا يهم المعلم سوى التفكر في كيفية أخذ الناشئ بعقاب ملائم لحالته طلبا لاصلاحه وتقويمه

ومن هنا تعلم أنه ليس بالممكن وضع قانون للعقاب يشمل جميع الناشئة بدون ما تفريق لاسيما الناشئة الاطفال الذين لا يعرفون للنظام معنى ولا لمعناه لفظا على أن اختلاف الجنسين من الذكورة والانوثة بالنسبة الى العائلات يستدعي ملاحظة طباعهما فان الغلمان لشدة بأسهم أقدر على احتمال أنواع العقاب من البنات اللائي هن رقيقات الطباع لطيفات العرائك

ولذا وجب على المربي أو المعلم أن يكون متبصرا حكيما عارفا بأخلاق الناشئة وطباعهم وأحوالهم عالما بحقيقة الذنب كالطبيب يشخص الداء فيضع الدواء عادلا في العقاب ولا يكون ذلك الا في خمس حالات الاولى أن يكون ثم ذنب حقيقي يستحق الجزاء الثانية أن يكون العقاب موافقا لحالة الذنب الثالثة أن لا يكون العقاب منظورا فيه الى الاغراض الذاتية الرابعة أن يكون الناشئ على يقين من أن ما أتى به يستحق العقاب عليه الخامسة أن يكون المعلم صارم الارادة بحيث لا يستصغر اليوم ذنبا يستعظمه غدا

واعلم أنه ليس من الذنب اذا لم يفهم الناشئ ما يلقى عليه في الدرس أو لم يقدر على تأدية المطلوب منه أو كان مجرد منظره يدل عن الكسل وعدم التنبه أو على تشتت الفكر فان المبادرة بالعقاب على ذلك ليست من العدل في شئ بل تدل على الظلم والقساوة والاحرى بالمعلم حينئذ أن يرجع الى نفسه فربما كان الذنب لديه فيكون هو أجدر بالعقاب من تلامذته

فأما عدم فهم الناشئة أو عدم قدرتهم على تأدية المطلوب فكثيرا ما يكون ناشئا عن سوء شرح المعلم وتوضيحه وحينئذ يحسن به أن يكثر لهم من التوضيح ويسهل لهم الموضوع مع التؤدة والصبر حتى يقدر الضعيف على فهمه والنبيه على اقتفاء أثره

وأما وقوع الناشئة فى الكسل وعدم التنبه فربما صدر عن الملل بان يكون المعلم فى نفسه مملا أولم يأت بشيء جديد يحرك من تنبههم وشغفهم بما يلقيه عليهم أوحملهم مالا يطيقونه وربما صدر عن خمود القوى الجسمية لكثرة الحر أوالتعب من كثرة ما يلقى عليهم ولذا ينبغى له أن يبعث دائما من شغفهم نحو المطلوب تعلمه وأن يستحضر على الدرس استحضارا متينا كيلا يقع فى العى أوالخلط واذا احتاج الى اعادة موضوع فالاحرى به أن يغير العبارة عنه فان ذلك كافل بتوضيح المراد للضعفاء و بتحريك تنبه الاذكياء

وأما تشتت فكر أحدهم فيمكن أن يكون ناشئا عن مرض أوتوعك مزاج أوعن التفكر فى وقائع عائلية تقلق من خاطره وتشتت من باله وحينئذ ينبغى للمعلم أن يقف أولا على السبب ولا يبادر بالعقاب فيزداد الناشئ تشتتا ويكون لديه الموت أحلى مذاقا من مقاساة الظلم كما لا يخفى

ثم ان العقاب اما أن يكون مانعا أوجالبا فالمانع كحرمان الناشئ من شيء مملوك له ولا يتأتى ذلك الا فى العائلة وكحرمانه من اللعب والتفسح وكحرمانه من الشرف وغير ذلك وأما العقاب الجالب فكالتبكيت والايلام الجسمى ومن ذلك ينتج أن أنواع العقاب ثلاثة وهى عقاب التجريد عن الشرف وعقاب المنع عن الحرية وعقاب الضرب

فاما عقاب التجريد عن الشرف فكعزل الناشئ عن وظيفة مدرسية وكالزامه بالوقوف أمام باب الفصل اذا تأخر عن الحضور فى الوقت المعين أوبالوقوف فى زاوية من زوايا الفصل اذا تعدى حدوده ولا يجوز فى هذه الاحوال اضعاف احساسه الشرفى بالتهكم أوالسب واللعن

وأما عقاب المنع عن الحرية فكالزام الناشئ بعدم الخروج الى الفسحة أوبالاشتغال بينما اخوانه يلعبون أو بمكثه بالمدرسة ربع ساعة مثلا بعد انصراف رفقائه وهكذا

وأما عقاب الضرب فقد تضاربت فيه الآراء فبعض يجيزه والآخر يمنعه فاذا كان لاغنى للمعلم عن استعماله فليكن بالحكمة مع الاحتراس كيلا يحصل ضرر للناشئ كما يلزم أن يكون نادرا جدا ولذا ينبغى أن تكون العصا فى محل مقفول لا تظهر فى الفصل الا ظهور النجمة ذات الذيل فى السماء

وعلى المعلم أن يأخذ الناشئ أولا بانواع التأديب كمن التذكير الى التحذير ومن التحذير الى الانذار ومنه الى العقاب ومتى نجع نوع من تلك الانواع لا يجوز له أن يجاوزه الى غيره كتب شريح يوما الى معلم ولده هذه الابيات

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها * يبغي الهراش مع الغواة الرجس
فاذا أتاك فعضه بملامة * وعظنه موعظة الاديب الكيس
فاذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت ثلاثة لك فاحبس
واعلم بانك ما أتيت فنفسه * مع ما يجترعني أعز الانفس

ولتعلم الآباء والمعلمون أن العقاب بجميع أنواعه اذا زاد عن الحكمة لا يثمر سوى الخيبة ولا يظنون أن ذلك واسطة لحفظ أزمة الناشئة ولبعث الطاعة فيهم كلا بل يصير ذلك وسيلة الى عدم الطاعة الباطنية والى ارتكابهم الكذب والخداع والمكر ان لم ينبعث فيهم الخوف الذي يجعلهم هيو بين هلوعين مخلوعي القلوب وتمكن فيهم طبيعة الجبن الذي يقعدهم عن اكتساب الفضائل فيما بعد فمن عوّد الاساءة هانت عليه نفسه كما قيل

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام

وليعلم المعلمون أنه لا يجوز الضرب على الكفوف أو الاصابع أو أخمص الارجل ولا الصفع بالكف على الصدغ أو الفم أو الرأس ولا الضرب بالكتاب أو بالمسطرة ولا الوكز باليد ولا قرص الاذن ولا شد الشعر وغير ذلك من الاعمال التي هي في الحقيقة عادات بربرية تخدش بوجه الانسانية وتدل على الخشونة والتوحش

وعليهم أن يتعرفوا طباع كل ناشئ كي يتسنى لهم الاخذ بالتأديب فان البعض يؤثر فيه النظر بينما الآخر يصلحه الكلام كما تقدم لنا التنبيه عليه آنفا وأن لا يعاقبوا أحدا مدة الدرس طلبا لعدم تشتت أفكار الباقين ولا عند ثورة الغضب فان المبادرة بالعقاب عند وقوع الذنب دليل على استحكام شهوتي الغضب والانتقام

هذا ولعمري ان للمعلم الماهر مندوحة عن أخذ الناشئة بالعقاب اذا عوّدهم بادئ بدء على اتباع نظام المدرسة وصانهم عن التشبث بالخطأ واقتراف الذنوب فان تمرنهم على ذلك من أول الامر يجعله عادة وطبعا لهم لا يرون محيدا عن اتباعه كما أن المعلم اذا أمال جانب الناشئة اليه فلا سبيل الى نبذهم طاعته ولا يكون ذلك الا اذا كان هو محبا لهم شغوفا بتربيتهم وتهذيبهم كما بسطنا عليه الكلام آنفا

وأما الثواب وان شئت قلت المكافأة فالمقصود منه تنهيض الناشئة وبعث سرورهم بشرف الذات والتقدم ويتطرق فيه الى الغاية المطلوبة من التربية والتهذيب ولذا ينبغي عدم اختيار المكافآت التي تحرك من الاطماع

وكما أن العقاب لا يصدر الا عن احتراس وتبصر كذلك المكافأة فيلزم أن يكون حصولها نادرا حتى لا يطمع الناشئ ويظنها شرطا فى العمل ولقد نعلم أن خوف الناشئ من العقاب أشر منه الطمع فى المكافأة وأن تكون صادرة عن العدل فان ما صدر منها عن الظلم يوقع البغضاء بين الناشئة ويبعث فيهم عدم الثقة بالمعلمين ومتى نفدت الثقة ساءت التربية

أقول وأحسن المكافآت وأجدرها بالاستخدام فى المدرسة هو اظهار ارتياح المعلمين وسرورهم من الناشئ واقرارهم على فضله وذلك يكون بواسطتين

الاولى — الاقرار النظرى وهو أن ينظر المعلم الى الناشئ نظر سرور واعتبار لمكانته والناشئ من طبعه الميل الى التقرب من معلمه فاذا أظهر له ارتياحه وجد الناشئ من نفسه سرورا يدعوه الى تجديده وقتا بعد وقت بالاجتهاد والمداومة على العمل ولا يقدر على استخدام تلك الواسطة سوى لطفاء المعلمين واينى الجانب منهم

الثانية — الاقرار اللفظى وهو أن يخاطب المعلم الناشئ المستحق المدح بكلمات الاقرار والثناء على فعله وسلوكه مع بشاشة الوجه وارتياح الخاطر وفى هذه الحالة يلزم أن تكون كلمات الاقرار مختصرة جدا والاحرى بالمعلم أن يوقع الثناء على جميع تلامذة الفصل ثم يستثنى منهم الذين لا يستحقون وبذلك يجد فى الممدوحين سرورا يدعوهم الى الشغف بمداومة العمل وفى الملومين بواسطة الاستثناء انقباضا يبعثهم الى صرف الجهد فى مناهزة الباقين كما لا يخفى

واذا مدح واحدا منهم بمفرده فليكن متبصرا بعيدا عن التعصب ويحسن به فى هذه الحالة أن يحث الآخرين على الاجتهاد ويحرك من حميتهم واحساسهم بالشرف

وينبغى للمعلم أن لا يكثر من كلمات المدح وسردها معا كأن يقول شاطر جدع لطيف قوى عظيم خالص وما أشبه ذلك وأن يكون مدحه نادرا فان كثرة المدح تهبط بمقداره وترخص من شأنه لدى الناشئة والله الهادى الى أقوم طريق

الترجمة الثالثة

(فى المدرسة واحتياجاتها وفيها بابان)

الباب الاول

(فى نسبة المدرسة الى العائلة والحكومة)

من المعلوم أن الانسان مخلوق أدبى لا يمكن نمو قواه الادبية الا بفعل متميز عن الفعل الذى يؤثر فى بنيته بخلاف الحيوانات فلا تطلب سوى نمو جسمها ومن ثم لا يكتفى الانسان فى تربيته بالاحوال الطبيعية المكملة لتربية الحيوانات بل نراه مضطرا الى كون من جنسه يعرف الغاية الانسانية ليأخذه بتربية روحه وعقله ولذلك ألقى الحكيم جل شأنه فى قلوب الآباء رأفة طبيعية ومحبة فطرية الى أبنائهم ومن هنا تعلم أن الوالدين هما أول مرب للانسان وأن العائلة هى أول مقامات التربية

ولما كانت الهيئة الوطنية بما لها من التعارف والاجتماع تطلب من الافراد أمرين أحدهما الطاعة لناموس الوطن حتى ينقاد الكل الى ارادة واحدة وهى ارادة المجموع وثانيهما التعاون على الاحوال المعاشية حاجيها وكماليها حتى يمكن حفظ بقاء الامة وسرورها بالحياة تعلم أن العائلة مدينة للهيئة الوطنية بحيث يجب عليها عند تربية الابناء ملاحظة مجموع الامة وأحوالها الادبية والمعاشية

وبحكمة أن الحكومة هى القيمة على الهيئة الوطنية والناظرة فى شأن الافراد من جهة الخصوص وفى أحوال المجموع من جهة العموم طلبا لحفظ التناسب بينهما تعلم أن الحكومة مدينة أيضا للعائلة والامة بحيث يجب عليها تمهيد سبل التربية والتعليم وتنبيه الافراد الى واجباتهم ووظائفهم ضمن واجبات المجموع ولا يحصل ذلك الا بتأسيس عدد كاف من المدارس تتخرج بها الابناء علما وعملا وعقلا وأدبا ومن ذلك ينتج أن المدرسة هى الواسطة لجمع دائرتى العائلة والحكومة وهى مع ذلك ليست الا مكملة لنقص التربية فى العائلات ضرورة أن للعائلة المقام الاول من مقامات التربية كما لها النفوذ الاعظم على الابناء بصلاحها تصلح الناشئة وبفسادها يفسدون وهى الجو الاول الذى يتنفس فيه الناشئ فتى كان الجو خالص الهواء نظيفه تربى الناشئ سليم البدن والعقل والعكس بالعكس

والحكمة فى أن للعائلة التأثير الاعظم فى تربية الناشئة ان خيرا وان شرا أمور وهى

أولا - سلطة محبة الوالدين لابنائهما فانها تورث فى الابناء المحبة الى الوالدين ويتطرق ذلك الى محبة غيرهما وتلك المحبة المشتركة تعتبر أول أساس للتربية العمومية والحصول على الفضائل

ثانيا - سلطان المثال حيث يؤثر فى تربية الابناء ضرورة أنهم يصرفون عامة أزمانهم فى العائلة فمن كان أبواه مشغوفين بالنظام والترتيب محبين للوطن متكلمين بالفضائل كالكرم ورقة الجانب والرأفة ونحو ذلك خرج متطبعا بتلك الخصال والعكس بالعكس

ثالثا - الاحوال العائلية كالفقر والغنى والصحة والمرض والفرح والحزن فكل ذلك يؤثر فى خواطر الناشئة ويقف بتربيتهم عند حد محدود

رابعا - عطوفة الامهات لكونها المؤثر الاول فى تربية الابناء حيث ترى الام تلحظ ولدها بعين قريرة ملئت حبا وشغفا ولطفا ورقة وبما أنها أعرف الناس بولدها يصعب وجود عوض عنها فما تفعله أغنياء الناس من ترك أبنائهم الى المرضعات والخادمات ليس من الصواب فى شئ

خامسا - أحوال الاشقاء حيث تؤثر فى التربية العمومية فمتى كان الابوان محافظين على آداب أبنائهما كالعدل واللطف والرأفة ومصادمة حب النفس وعدم الحسد حسنت تربيتهم الشخصية والعمومية والعكس بالعكس

سادسا - أحوال الخدمة فبواسطتهم تتنبه الابناء الى معنى القيام بالواجبات ومعنى الاوامر والنواهى والفرق بين طاعتهم وطاعة الخدمة ويتبع ذلك أصحاب العائلة المختلفون على المنزل حيث ترى الابناء معاملة آبائهم لاصحابهم والفرق بين تلك المعاملة ومعاملة آبائهم لهم أنفسهم

ثم ان العائلة وان كان لها المقام الاول من مقامات التربية فليس فى وسعها أن تقوم بأداء التربية العامة المطلوبة للهيئة الوطنية لاسيما أن كثيرا من العائلات يصادمها أحوال لاتسمح بتربية الناشئة تربية يعتد بها وذلك لامور منها أن بعضا من الابناء يفقدون آباءهم فى صغرهم ولم يكن لهم من يقوم بتربيتهم وتعليمهم ومنها أن كثيرا من الآباء يجهلون واجباتهم لابنائهم فيتركونهم للصدفة والمقادير وبذلك تفسد أخلاقهم ومشاربهم ومنها أن كثيرا من العائلات يهدم سورها الفقر ويشتت من مجتمعها فيخرج الاب والام عامة النهار لاكتساب مايسد الرمق ويكسر ثورة الجوع وفى هذه الحالة تتربى الابناء على الجهل وعدم النظام والترتيب ومنها أن كثيرا من الآباء ليسوا بمتأدبين ولا متعلمين أو كانوا كذلك ولكنهم لايعرفون كيفية أخذ أبنائهم بالتربية وتثقيف عقولهم بنواميس العلوم أو لم تساعدهم المعايش للحصول على مرب مخصوص لابنائهم

أو لم يقدروا على الاشتغال معهم لان وظائفهم لا تسمح لهم بصرف الزمن فى التربية أو لم يميلوا طبعا الى شغل أنفسهم مع الابناء الى غير ذلك من العوائق الطبيعية أو المعاشية

ومن هنا تعلم أهمية تأسيس المدارس الوطنية

هذا و يجب أن يكون المنزل والمدرسة سائرين فى طريق واحد غاية الحصول على المقصود من التربية العامة والمدرسة لها النفوذ الاعظم بالنسبة الى التعليم بينما المنزل له التسلط الاكبر بالنسبة الى التربية ضرورة أن بالمدرسة وسائط للتعليم يفقدها المنزل كما أن المنزل أقدر على التربية بحكمة تصرف الآباء فى الابناء ومعرفتهم معرفة حقيقية ومع ذلك فالمدرسة تبعث فى الناشئة القيام بالنفس وتربى فيهم الطاعة العامة فان أول ما يشعر به الطفل عند دخوله المدرسة هو ارادة مصادمة لارادته وتلك الارادة شاملة للجميع وبذلك يتعلم الطاعة والانقياد

ومتى كانت المدرسة والمنزل بمعزل عن الاتحاد خابت التربية ولذا يحسن بالمعلمين أن يجهدوا أنفسهم ليلقوا حب المدارس فى العائلات واذا أمكنهم أن يتعرفوا بالآباء فليفعلوا فان ذلك أدعى الى حفظ العلاقات بين العائلة والمدرسة كما لا يخفى

ولكل من المدرسة والمنزل حقوق يجب القيام بها فاما حقوق المدرسة على المنزل فهى أن ترسل الآباء أبناءهم الى المدرسة فى الوقت المقرر لحضورهم يوميا وأن يمدوهم بأدوات التعليم وأن يتركوا لهم وقتا لتتميم أشغالهم المدرسية بالمنزل اذا اقتضى الحال وأن يساعدوا المدرسة بالقول والفعل كأن يمرنوا أبناءهم على النظام والترتيب فى أحوالهم و يلقوا فى قلوبهم حب الاجتهاد والتحصيل ونحو ذلك

وأما حقوق المنزل على المدرسة فهى أن تلاحظ المعلمون الاحوال العائلية كأن لا يطالبوا الناشئة بكثير من الاعمال لقيامهم بها فى المنزل بل يجب تقليل مثل تلك الاعمال ليكون لهم بذلك فرصة للعب ولخدمة العائلة وعلى المدرسة أن تلقى فى قلوب الابناء الخشية من الوالدين والاحسان اليهما والانقياد لاوامرهما وأن تمرنهم على الآداب العمومية ككيفية معاملتهم لآبائهم ولغيرهم وكيفية القاء السلام ورده وحسن الخطاب ولين الجانب وآداب المجالسة والاكل والتهانى والتعازى وغير ذلك من الآداب العامة

ومن حقوق الحكومة على المدرسة أن تبعث فى الابناء الطاعة لقانون الوطن وحبه والتعاون وتشريف العوائد والآداب الوطنية وحب مولى البلاد وراعى الامة (١)

(١) مما أراه حسنا أن تكون صورة الجناب الخديو الاعظم بكل مدرسة بحيث توضع فى القاعة العمومية بالمدرسة كى بذلك تتنبه الناشئة الى معنى الراعى والرعية اهـ مؤلفه

ولما كانت الهيئة الوطنية تطلب من الناشئ أن يكون له فيما بعد عمل اشترا كي يفيد به الامة بنماها ويستفيد وأن يكون له متوسط أدبي من الآداب العامة حتى تقوى الامة بالعمل وتسعد بالادب تعلم أن من حقوق الامة على الحكومة تأسيس مدارس عامة تتخرج بها الافراد ولا يتم لها ذلك الا بتعميم التعليم وجبر الآباء على ادخال أبنائهم في المدارس وتعليمهم مقدارا متوسطا من العلوم أو الصنائع حتى يكون الكل عارفا وظيفته الخصوصية ضمن وظيفة الامة العمومية

وللحصول على تلك الغاية الثمينة أربع وسائط عامة

الاولى — تأسيس عدد كاف من المدارس الابتدائية وتمهيد سبل التعليم للفقراء المعدمين

الثانية — تنظيم أحوال التربية والتعليم بان تكون المدارس الابتدائية في جميع أنحاء القطر سائرة سيرا واحدا وبان تكون مواد العلوم المقروءة فيها مناسبة لخواطر الناشئة وموصلة للغاية المطلوبة التي تساعد الافراد على اجراء مقتضيات وظائفهم المعاشية وأحوالهم الادبية

الثالثة — اتقان النظام الادارى للمدارس وذلك بان تكون المدارس الابتدائية تابعة لقانون واحد لا تتعداه وبأن تعهد ادارة المدرسة الى الذين كملوا أنفسهم بالعلوم العارفين بمقاصد التربية والتعليم العالمين باحوال الوطن أدبيها ومعاشيها

الرابعة — القاء زمام التعليم الى معلمين ماهرين وهذه الواسطة من أهم الوسائط ضرورة أن المعلم هو روح الانسانية فاذا لم تترب الروح ردأ نظام الجسم ولذلك وجب على الحكومة تربية شبان تعهد اليهم وظائف التعليم وتأسيس مدارس خصوصية يؤخذون فيها بنواميس التربية والعلوم وبطرق التعليم والتهذيب ولعمرى ان وظيفة التعليم لوظيفة سامية حيث ان الامة تعهد اليها تربية أبنائها في أوان هم أقبل فيه للتربية وأطوع للتعود وتمنحها التصرف والتأثير على عقولهم وقلوبهم وأميالهم فاذا ألقي زمام التعليم الى معلمين غير متكملين ولا عارفين بالتربية وطرقها وكيفية التأثير في العقول نشأت الابناء نشأة بهيمية تسوء بها أحوالهم الشخصية وتردأ بها الجامعة الوطنيه ولذا وجب أن يكون المعلم حائزا سلامة الاخلاق والعقل والجسم

فاما سلامة الاخلاق فتعد أهم الصفات التي يتحلى بها المعلمون ولذا ينبغي أن تختار الحكومة لوظيفة التعليم المؤدبين لطيفي الجانب الراضين الذين يقدرون على ضبط ارادتهم وحفظ أميالهم والذين يميلون الى حب الوطن وتربية أبنائه

وأما سلامة العقل فهي شرط مادي ويدخل فيها التبصر بالامور ومعرفة غايات الوطن من التربية ومعرفة طباع الناشئه وأخلاقهم ونحو ذلك

وأما سلامة الجسم فاقصد بها سلامة البدن والحواس الخمس فانك تعلم أن المعلم الضعيف الجسم والمريض مرضا مزمنا أحوج الى التفكر فى نفسه منه الى التفكر فى تربية الناشئة وتعليمهم على أن مرض الجسم يدعو الى سوء الخلق ولذلك نرى بعضا من المعلمين المرضى يتخيلون ويظنون أن كل ما تفعله الناشئة انما يصدر عنهم قصدا لتعنيفهم وزيادتهم مرضا على مرضهم كما لا يخفى

وتتميما للمقام يحسن بى أن أفاوضك الحديث فى مدارس المعلمين وواجباتها فاقول

مدارس المعلمين

والمقصود من تأسيسها هو تربية شبان تعهد اليهم وظائف التعليم فى المدارس الابتدائية وتحضيرهم الى القيام بتأدية واجباتهم للامة ولذا ينبغى أن تؤخذ أولئك الشبان بجميع مواد العلوم التى تدرس بها الابناء بالمدارس الابتدائية وحيث ان الغرض توصيل الابناء الى الغاية المطلوبة للهيئة الوطنية وجب على مدرسة المعلمين أخذ شبانها بأمرين

(الامر الاول) التعليم وليس الغرض من تعليمهم العلوم والفنون أن يكونوا علماء بل متمدنين عارفين بالامور العلمية والعملية عالمين باحوال الوطن وبالمقصود من تعليمهم ولذا وجب

أولا — أخذهم بفوائد كل علم يدرسونه وتنبيه أفكارهم الى منافعه فى الاحوال الوطنية والهيئة الاجتماعية

ثانيا — تمرينهم على العمل بالقواعد العلمية وعلى المهارة فى استخدامها واستعمالها فى الاحوال المعاشية

ثالثا — أخذهم بطرق تعليم كل فن ولذا لزم تعليمهم علم البيداجوجيا باقسامه الثلاثة التى هى البيداجوجيا العلمية الباحثة عن علم النفس وعلم الاخلاق والبيداجوجيا العملية التى تبحث عن طرق التعليم والتربية والبيداجوجيا التاريخية الباحثة عن الطرق التى اتخذها الاقدمون ويعتبر علم البيداجوجيا باقسامه المحور الوحيد الذى تدور عليه دائرة مدارس المعلمين لانه يعرفهم الغاية من تربية الانسان ويمرنهم على كيفية أخذ الابناء بالعلوم ويبعث فيهم الميل الى التربية والمهارة فى العمل والامانة فى الخدمة

رابعا — تمرينهم على حسن الالقاء والتعبير وصحة الانشاء والتحرير فان ذلك من أهم أعمالهم ووظائفهم

(الامر الثانى) التربيــة فيجب تهذيب نفوسهم وتلطيف عرائكهم وتحسين أخلاقهم وتمرينهم على الآداب العامة الوطنية وتعويدهم على التواضع والحلم وحب الحق والحقيقة وصلاح الباطن والظاهر وعدم حب النفس وعلى صدق الخدمة والدوام على العمل واللطف مع الجد وسلامة الذمة والرضا والصـبر وحب السلم وصرامة الارادة وحدة الفكر وتيقظ الخاطر الى غير ذلك من الخصال التى يتصف بها المعلمون والمربون

وأهم من ذلك ملاحظة الآداب والفضائل فيما بينهم وتنفيذ النظام المدرسى وتعويدهم على الاستقامة والنظافة والانتظام والترتيب والطاعة والانقياد بحيث يكون تنفيذ جميع ذلك معززا بكل حماس وصرامة وعزم طلبا لضبطهم وتمرينهـم على كيفية أخذهم الابناء بالتربية والتعليم ومتى تسوهل فى ذلك ردأت التربية فالامور بأسسها والشجرة بأصلها

هذا ولتعلم الشبان الذين تخرجوا بمدارس المعلمين أن المدرسة لم تكن الامحركة لخواطرهم منبهة لافكارهم ولذا وجب عليهم بعـد خروجهم منها أن يأخذوا أنفسهم بالتكميل وتوسيع نطاق معارفهم فان الانسان فى حاجة الى تربية نفسـه وتعليمها من المهد الى اللحد قيل لبعض الحكماء أيحسن بالشيخ أن يتعلم فقال اذا حسن به أن يعيش يحسن به أن يتعلم اهـ

على أن وظيفة التعليم تلجئهم الى مداومة البحث والتنقيب

وليعلموا أن المعلم الذى يستحق أن تكون الامة صنيعة شكره هو الذى لا يزال طالبا تلميذا محصلا مجتهدا ضرورة أن المعلم الذى يكمل نفسه تكمل به مدرسـته ولعمرى انها لهى الخيبة اذا ظن المعلم أنه لا يحتاج الى زيادة على ما علمه أو ادّعى عدم قدرته على التحصيل أو ظن أنه أحاط بكل شئ علما فان ذلك دليـل على ضعف نفسه وبرهان على أنه كان أو صار كسولا أو معجبا بالنفس جهولا ومثله لا يكون مدرسا بل دارسا ولذا حسن به أن يطرح جلباب العظمة والكبر ويرمى بنفسه فى بحر علمه المتلاطم حتى يشرف به السلف ويثنى عليه الخلف فلن ينال بعضا من العلم الا من صرف اليه كله وفدى به عمره

وعلى الشاب الذى تعهد اليـه وظيفة التعليم أن يقوم بتأدية وظيفته حق القيام وأن يستحضر على كل درس قبل أخذ الناشئة به مع مجاهدة نفسه كيلا تغالطه فى ذلك بقولها له أنت تعلم ذلك الدرس حق العلم أو هو سهل عليك ونحو ذلك وأن يشغل نفسه أغلب أوقاته بالتفكر فى تربية الناشئة وتعليمهم وترقب أحوالهم واسـتعداداتهم وأن يترقب ويلاحظ خصائص الامة وعاداتها وأحوالها المعاشية والادبية

وعليه أن يأخذ نفسه بخمسة أمور

أولها — أن يجهد نفسه فى اللغة الوطنية فيطالع علم أدبها وتاريخها ويبحث عن مشهورى الناثرين والشعراء ورسائل الكتاب وخطب الفصحاء وغير ذلك حتى تكون لغته طوع يده يصرفها فى التعبير عن أفكاره شفاهيا وتحريريا

ثانيها — أن يطلع على تاريخ علمه ليعرف مراتب نشأته ويقف على المقدار الذى وصلت اليه أمته سابقا فى ذلك العلم حتى يتميز له النقص من الكمال ويتسنى له السير على منهج أسلافه

ثالثها — أن يختار من الكتب منتقاها ويلزم نفسه بمطالعتها وترقب مواضيعها والقلم بيده ليقيد ما يسنح له منها

رابعها — أن يلزم نفسه بالترقب والتجارب فيترقب الناشئة ليعرف كيف يؤثر فى عقولهم ويأخذهم بالتربية والتهذيب والتثقيف والتعليم بحيث يقيد جميع ذلك فى دفتر صغير يكون بجيبه أينما سار وحل (١) ويوسع من نطاق تجاربه بزيارة مشاهير المعلمين ليشاهد كيفية تدريسهم وتعليمهم

وينبغى للمعلمين الذين جمعتهم مدينة واحدة أن يؤسسوا لهم جمعية علمية يعقدون بها جلسات ينظرون فيها فى طرق التربية والتعليم وذكر تجارب أفرادهم وآرائهم فى تقدم علم البيداجوجيا مع تقييد أعمالهم ونشرها فيما بين عامة المعلمين الوطنيين وليس ذلك بعزيز على من أوتى التبصر بالامور وهو العليم الخبير

الباب الثانى

(فى تأسيس المدرسة وأدواتها)

وقد عقدنا هذا الباب للبحث فى بناء المدرسة كفصولها ومقاعدها وأدواتها ونحو ذلك تتميما للمقصود وتطبيقا للعلم على العمل فنقول

بناء المدرسة

ان أهم شئ تلتفت اليه الانظار هو الصقع والاساس والمحيط والبعد عن منازل الناشئة ولذا كانت الارض المستنقعة أو الرطبة لا تصلح لبناء المدرسة لقبولها المواد المعدية الموقعة فى الامراض كما يجب أن تكون المدرسة بعيدة عن مجاورة ما يقلق الخاطر ويشتت الفكر

---

(١) يحسن أن يسمى ذلك الدفتر بالدفتر اليومى أو بالكتاب اليومى اهـ مؤلفه

كالمعامل والفابريقات ذات اللغط والدخان والغازات المضرة بالصحة وأن تكون بمعزل عن الطرقات العامرة ذات الوجبة الشديدة وأن تكون الابنية المجاورة لها بحالة لا تمنع النور والهواء عنها وأن يكون بعدها عن منازل الطلبة بالسواء والاولى احاطتها بالاشجار بحيث لا تمنع النور أو تحدث رطوبة جسيمة أما بناء وجهتها الى جهة معينة فيختلف باختلاف البلدان والاقطار وعلى الاطباء تعيين ذلك فى كل محل مخصوص

الحوش ومرسح الالعاب

ينبغي أن يكون بكل مدرسة حوش متسع بعضه مظل وبعضه معرض للشمس وأن يعد منه جزء مرسحا للالعاب الرياضية بحيث يخص كل تلميذ من مسطحه متران ونصف مربعا على الاقل ويلزم ملاحظته دائما بتمهيد أرضه والاولى رشه بالرمال ويحسن أن تكون أطرافه مغروسا فيها الاشجار وأن يوضع فيه بعض مقاعد ثابتة فى الارض وأن يرش بالمياه وقتا بعد وقت ولكن ليس بحالة تدعو الى الوساخة كما لا يخفى

الممرات

يلزم أن لا ينقص عرض دهاليز المدرسة عن متر ونصف واذا كان بالمدرسة طبقة عالية ينبغي أن تكون السلالم غير معوجة ولا حلزونية وبحالة بحيث يسهل على الناشئة الصعود والهبوط بدون تعب والاولى أن لا ينقص عرض السلالم عن متر وربع ولا يجوز أن يكون الفصل موضوعا على السلم رأسا دفعا لما عسى أن تقع الناشئة عند الخروج سريعا بل يجب أن يكون ثم عتبة واسعة ولا يعزب عن علمك أن يكون للسلالم حاجز متين والاولى أن تثبت على ذلك الحاجز قطع معدنية كرية الشكل تبعد احداها عن الاخرى بمقدار متر كيلا يمكن للناشئة أن يتسنموه كما هى عادتهم ويلزم أن تكون السلالم والدهاليز نيرة بعيدة عن الظواهر الجوية

مياه الشرب

ينبغي لذلك اتخاذ أحد أمرين اما توصيل اسطوانات تحت الارض لتوصيل المياه الى المدرسة بواسطة حنفية أو صنع حوض عظيم تركب عليه حنفيات تفتح وتقفل بالارادة وتحت تلك الحنفيات أحواض صغيرة لها مجار يتصرف فيها الماء وتعلق على تلك الحنفيات أكواز من المعدن السميك ويلزم تعهد ذلك الحوض بتنظيفه وتجديد مياهه غالبا

وأما الازيار المستعملة لذلك فليست من النظام فى شئ لانها تدعو الى الوساخة والتعب الشديد والى الاسراف فى صرف المياه

محـــــلات الادب

يلزم أن يكون ثم عدد من محلات الادب بحيث يخص كل ثلاثين تلميذا محل واحد ويجب أن تكون محكمة البناء والابواب بحيث يمكن قفلها من الداخل وبها شبابيك تسمح بدخول الهواء وتجديده ويحسن أن تصنع ملاقف مرتفعة بعض الارتفاع ولها مجار لتبول بها الناشئة والاولى أن تكون تلك المحلات في بناء مخصوص بعيد عن الفصول والممرات العمومية.

فصول المدرســـــة

ينبغي أن يكون لكل ناشئ من مسطح الفصل ستون سنتيمترا مربعا فاذا أعد الفصل لثمانين تلميذا مثلا وجب أن يكون طوله ثمانية أمتار وعرضه ستة أمتار وبذلك تكون مساحة الفصل ثمانية وأربعين مترا مربعا ومعلوم أن جميع ذلك لا يصرف لخاصة المقاعد فقط بل تكون منه الممرات بين صفي المقاعد وبين المقاعد والحيطان وكذلك مقاعد المعلمين

ويحسن أن يكون بعد صف المقاعد الايمن عن الصف الايسر أو بعد المقاعد عن الحائط الذي ليس به شبابيك بمقدار متر على الاقل وإذا كان بالحائط شبابيك ينبغي أن يكون بعد المقاعد عنه بمقدار ثلاثين سنتيمترا

ويلزم أن يكون ارتفاع الفصل مناسبا للطول والعرض والاولى أن يكون ثلاثة أمتار وكسور وبوجه آخر نقول ينبغي أن يكون لكل تلميذ من مكعب الفصل متران وثلث الى نصف متر مكعب على الاقل

وأما الشبابيك فينبغي أن لا ينقص مسطحها عن خمس مسطح الفصل وأن يكون ابتداؤها مرتفعا بحيث لا يمكن للناشئة لدى جلوسهم أن ينظروا ما يحصل خارج الفصل وأن يكون انتهاؤها قريبا من السقف حتى يدخل النور منها رأسي الاشعة صانعا زوايا قائمة ومعلوم أن النور يلزم أن يكون آتيا من الجهة اليمنى للناشئة فان النور الآتي من أمام يخطف بأبصار الناشئة والآتي من خلف يشغل أبصار المعلمين

وينبغي أن تغطى كمل السقف الخشبية بالخشب أو بغيره دفعا لشغل أنظار الناشئة حيث نرى الكسالى منهم يعدونها وقتا بعد آخر

وأما لون حيطان الفصل فيلزم أن لا يكون زاهيا كاسرا لاشعة النور حتى لا يخطف بالابصار كما ينبغي أن تكون أرض الفصل خالية عن الحفرات والاولى تجديدها بعد الاستعمال ويحسن أن يكون باب الفصل على حالة بحيث ينفتح الى الخارج طلبا لسهولة خروج التلامذة سريعا كما لا يخفى

المقاعد والمكاتب

أنت خبير بأنه لابد وأن يكون هنالك عدد كاف من المقاعد والمكاتب وأن تكون هيئتها لا تضر بصحة الناشئة وبحالة تسمح بالقعود والوقوف بدون ما تعب يلحق أجسامهم وأحسنها ما دعت الناشئة الى استقامة أعلى الجسم عند القراءة والكتابة زمنا طويلا بدون أن يلحقهم ضجر

والحصول على تلك الغاية يلزم

أولا أن يكون ارتفاع المقعد عن الارض أو محل وضع القدم كطول ما بين ركبتي الناشئ وقدميه بحيث تكون الارجل موضوعة على الارض وضعا أفقيا

ثانيا أن يكون عرض المقعد كطول ما بين الركبتين والمفصل الاعلى للفخذين

ثالثا أن يكون ارتفاع المكتبة بحالة تمكن الناشئ من أن يضع ذراعيه عليها عند الكتابة بدون أن يرفع من منكبيه أو يطأطئ من رأسه أو يقوس من ظهره

رابعا أن يكون المسند بوضع يجبر الناشئ على القعود مستقيم الظهر والاولى أن يكون ارتفاعه ضاربا الى نصف أظهر الناشئة

وبالجملة يلزم أن تكون المقاعد والمكاتب بهيئة تسمح للناشئة بالدخول والخروج واستخراج الادوات المدرسية من الادراج بدون تعب يعتريهم

ولقد تضاربت الاقوال والآراء في اختيار شكل كافل بتلك الغاية والكل يوجب أن تكون المقاعد والمكاتب قطعة واحدة بحيث لا ينفصل بعضها عن بعض ولا يخلو ما اخترعوه لذلك من ثلاث حالات

الحالة الاولى أن يكون خط طرف المقعد موازيا لخط طرف المكتبة على خط رأسي مستقيم

الحالة الثانية أن يكون طرف المقعد زائدا عن موازاته لطرف المكتبة بحيث تراه داخلا الى أمام

الحالة الثالثة أن يكون طرف المقعد ناقصا عن موازاته لطرف المكتبة بحيث لا يصل الى الخط الرأسي المفروض لتوازيهما

فالحالتان الاولى والثانية أدعى الى الصحة الا أنه يصعب على الناشئ فيهما الدخول والخروج والوقوف والحالة الثالثة وان مكنت الناشئ من الدخول والخروج مع الراحة فهي مضرة بالصحة لضرورة تقويس الظهر عند ارادة الكتابة

وقد حاولوا ملافاة هذه الاغلاط فبعضهم يجعل سطح المكتبة بحالة تسمح بسحبه ورده والبعض يجعل السطح بحيث ينطبق الى نصفين والآخر يجعل كل مقعد بمفرده على حالة بها ينطبق وينقلب على المسند عند ارادة الوقوف وآخر يجعل المقعد قطعتين تنطبق احداهما على الاخرى بالارادة ومعلوم أن جميع ذلك لا يوافق الناشئة لعدم متانته على أنه يدعو الاطفال الى اللعب بالمقاعد والمكاتب كما لا يخفى

وأحسن شكل كافل بالمقصود ما رأيته بالمكاتب الاهلية فى مدينة ليبسيك بمملكة صكصونيا وذلك أنهم اتبعوا الحالة الاولى المتقدمة ولكنهم اقتصروا على مقعدين فقط لتلميذين وبذلك يمكن لكل منهما الدخول والخروج سريعا بحكمة الفضاء الموجود على اليمين واليسار

هذا وينبغى أن يكون بالمكتبة محبرة لها غطاء وقد اختلفوا فى مادة الغطاء وهيئته فالبعض يجعله معدنيا كغطاء المحابر النحاسية لدينا ولكنه يؤدى الى لعب الناشئة وكسره والبعض يجعله سطحيا بحيث ينسحب يمنة ويسرة سواء كان معدنيا أو خشبيا ويحسن أن يوجد خط مقعر بطول طرف المكتبة لحفظ الاقلام عند وضعها دفعا لوقوعها

مقاعد المعلمين

يلزم وضع مقاعد المعلمين فى موضع يسمح للمعلم بأن يترقب الناشئة وللناشئة بأن ينظروه ويمكن أن تكون على صورتين إما كهيئة منبر له بعض درجات أو مجرد طاولة تثبت على قاعدة خشبية مرتفعة بمقدار خمس أصابع وهذه الصورة الاخيرة أحكم بالمدارس الابتدائية

تختة الطباشير

يلزم لكل فصل تختتان تعلق احداهما على الحائط وتوضع الاخرى على قائمة خشبية لها ثلاث أرجل لامكان نقلها حيث يراد ويلزم أن يكون كل منهما مضروبا باللون أسود حالك بدون لمعان كما يحسن أن يرسم فى سطح احداهما جدول باللون الاحمر يصنع مربعات لاستخدامه فى الرسم وينبغى أن يكون تعليق تختة الحائط بحالة تسمح باستخدام سطحيها بدون تعب وأن تكون قائمة التختة الاخرى على هيئة تمكن من رفعها وخفضها بالارادة

أدوات التعليم

ينبغى أن يكون لكل تلميذ نسخة من الكتب المستعملة بالفصل الذى هو موجود فيه وأن يكون بالمدرسة كرة صناعية وخريطة للوجه الذى فيه المدرسة سواء البحرى والقبلى

وخريطة للوطن بأجمعه وخريطة للبلاد الحجازية وبعض خرائط أو رسوم للاقسام الارضية وقطعة من الورق المقوى مكتوب عليها الحروف الهجائية بخط كبير لتعليقها فى الفصل الاخير وآلة لتعليم الحساب وأن يكون لكل تلميذ مسطرة وبرجل

ويحسن أن يكون بكل مدرسة مجموع من الحيوانات المصبرة ونموذجات للرسم وصور لبعض الحيوانات والنباتات والاحجار وصور لبعض المواضع التاريخية كالكعبة والمسجد النبوى والمسجد الاقصى والاهرام والابنية المشهورة فى التاريخ

كما ينبغى أن يكون بكل فصل دولاب توضع فيه الادوات المدرسية والنموذجات التعليمية والآلات الهندسية والصور والحيوانات المصبرة وغير ذلك

تنظيف المدرسة

يلزم تنظيف قاعات المدرسة يوميا وغسلها مرة واحدة فى كل أسبوع ويكون تنظيف الاشياء الخشبية بالخرق المبلولة وعلى النظار أن يلاحظوا نظافة المدرسة كيلا يكون هنالك بقايا الاوراق أو العيش والمأكولات وغيرها

ويحسن أن يكون بالمدرسة ممسحة للارجل توضع خارج مجتمع الفصول وأن يكون لكل فصل اناء مملوء رملا يوضع فى أحد أركان الفصل لتتفل فيه الناشئة عند الحاجة حيث لا يجوز لاحدهم ألبتة أن يتفل على الارض طلبا للنظافة والنظام

هذا وقد ذكرنا فى هذا الموضوع زيادة عند الكلام على طرق التعليم والتربية كما يظهر عند التتبع ولذلك أراه مندوحة لى عن اعادته هنا والله ولى الهداية والتوفيق

يقول مؤلفه

تم تأليف هذا الجزء بمدينة برلين عاصمة امبراطورية ألمانيا فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٠٩ ألف وثلثمائة وتسع هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

(ويليه الجزء الثالث فى التربية التاريخية)


Bibliotheca Alexandrina
0562811